



5 0354 454

Jeffery, A

OT47
J45

AUTHOR

Two Muqaddimas to the Qur'anic
sciences. 1954.

TITLE

236230

DATE
DUE

BORROWER'S NAME

DATE
RETURNED

B-72-55; binding smith sml

DEMCO

Library of the
UNION THEOLOGICAL SEMINARY
New York

Date Loaned

NY 19 '95

JUN 30 1995

SEP 1 1995

SE 3 '96

Demco 292-5

مقدمتان في علوم القرآن

وهما

مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية

نشرها من المخطوطات المحفوظة

في دار الكتب ببرلين ، ودار الكتب المصرية

ووقف على تصحيحهما وطبعهما

الأستاذ المستشرق الدكتور

أرثر جفري

الناشر مكتبة الحاجي

ص.ب. ١٣٧٥ مصر

ومكتبة المثنى ببغداد

١٩٥٤ م

مطبعة السنة المحمدية

ت ٧٩٠١٧

مقدمتان في علوم القرآن

وهما

مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية

نشرهما من المخطوطات المحفوظة

في دار الكتب ببرلين ، ودار الكتب المصرية

ووقف على تصحيحهما وطبعهما

الأستاذ المستعرق الدكتور

أرثر جيفري

الناشر مكتبة النخاعي
ص.ب. ١٣٧٥ مصر

١٩٥٤ م

الإهداء

لذكرى المرحوم الأستاذ

جنسليف برجستراسر

تَصْدِير

هاتان الرسالتان تقدمهما الآن لأصدقائنا في الشرق والغرب ، أعددهما تلبية لرغبة عبر عنها الأستاذ برجستراسر ، أثناء إقامته في مصر قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بسنتين . وقد كان حينئذ يبحث معي في تاريخ القرآن ، وتطور قراءته من أيام الخلفاء الراشدين إلى قراءة حفص المشهورة الموجودة في مصاحفنا المتداولة بين أيدينا ؛ وقد ساء في عينيه أنه لا يوجد سبيل إلى الإفادة من هاتين الرسالتين ، وهما : مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية لتفسيره المعروف .

وقد استعمل المستشرق الألماني الشهير نولدكي هاتين الرسالتين في أبحاثه في تاريخ القرآن ، وكذلك استعملهما من بعده تلميذه المستشرق شوالى ونظراً لأهميتهما قصد برجستراسر نشرهما معتمداً على المخطوطات المحفوظة في برلين ، بعد أن يتم نشر كتاب (غاية النهاية في طبقات القراء) لشمس الدين محمد بن الجزرى . ولكن ظروفاً قاسية حالت دون إنجاز قصده ، وقد منعتنى الأحوال العالمية من أن أسير قدما نحو ما يتم رغبته . وقد كان من حسن حظى ، والحمد لله ، أن أمكننى فيما بعد أن أحصل على صور المخطوطتين المحفوظتين سابقاً في دار الكتب في برلين بواسطة صديقنا الدكتور كريم ، وعناية أمين مكتبة جامعة توبنغن بألمانيا وحسن اهتمامه . وبناء على ذلك فما نحن نجروء على أن نقدم هاتين الرسالتين بين أيدي الذين يشغفون بالعلوم القرآنية .

أما مؤلف كتاب المباني فهو غير معروف ، لأن الصحيفة الأولى من النسخة الوحيدة التى بين أيدينا قد فقدت ، ويذكر المؤلف في الصحيفة الثانية من المخطوطة : أنه بدأ في تأليف كتابه في سنة أربع مائة وخمس وعشرين من الهجرة ، وسماه (كتاب المباني في نظم المعانى) وهو تفسير القرآن الكريم الذى صدره بمقدمة في عشرة أبواب . ويظهر لنا من لغته وأسانيده أنه من علماء المغرب .

وكثيراً ما نجد أن ما يدلى به ، يحلوا الأمور الغامضة الواردة في كتب أبي عثمان الداني القرطبي المنتشرة بيننا ، وتضيف الكثير إلى معرفتنا بما كان يلقيه علماء المغرب في العلوم القرآنية . وقد ذكر المؤلف في رسالته مصنفين آخرين ، وهما كتاب (الإبانة والإعراب) وكتاب (الدرر في ترفيع السور) ولكننا لم نجد أثراً لهما في فهارس خزانات المخطوطات .

أما مصنف الرسالة الثانية فهو من أهل المغرب أيضاً ؛ وهو : عبد الحق بن أبي بكر بن عبد الملك الغرناطي بن عطية ؛ وكانت وفاته حوالى سنة ٥٤٣ هـ ، أو نحو ذلك . وتوجد ترجمة له في كتاب (القلائد) لابن خاقان ص ٢٣٩ - ٢٤٧ ، و (البغية) للسيوطي ص ٤٩ ، وكتاب (الصلة) لابن بشكوال ص ٨٣٥ . وقد صنف تفسيره المسمى (الجامع المحرر الصحيح الوجيز في تفسير القرآن العزيز) في الأندلس ، وصدره بمقدمة في علوم القرآن . وكان تفسيره هذا كما هو معلوم أصلاً لكثير مما اشتهر به القرطبي في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) الذي طبع في مصر في عشرين مجلداً سنة ١٩٣٣ - ١٩٥٠ . هذا نفسه دليل دامغ على الأهمية العظمى التي لهذا المؤلف ، وعلى ضرورة نشر رسالته هذه .

وقد استعملنا في نشر هاتين الرسالتين النسخة المخطوطة الوحيدة من كتاب المباني المحفوظة تحت رقم ١٠٣ فتشتين في دار الكتب في برلين ، وكذلك استعملنا ثلاث نسخ من مقدمة ابن عطية . الأولى في برلين رقم ٤٠٨ سبرنجر ، والثانية في المكتبة التيمورية رقم ١٦٨ ، والثالثة في دار الكتب المصرية رقم ب ٢٥٠٣١ ومن حسن حظي أن أخص بالشكر الجزيل صديقي العالم العلامة فضيلة الشيخ سيد نوار الذي قرأ معي أصول الرسالتين وشرح لي كثيراً من التباساتهما ، والدكتور بطرس عبد الملك الذي تفضل فسمح لي بأن أنهل من ينابيع علمه ومعرفته ، وبفضل مساعدتهما لي وقفت إلى تصحيح الرسالتين ، وكذلك أمكن بفضل تشجيع مكتبة الخانجي ، وإقدامها ، ونشاطها ، ومثابرتها ، أن أقدم هذا الكتاب بين أيدي المشتغلين بهذه الموضوعات ، وبالله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

[.....^(١)] غرف الجنان ، وزوجهم بالخيرات الحسان ، المضارعات للياقوت والمرجان ، ويمنع من أعرض عنه اشتغالا بالعصيان ، فيهوى بهم إلى أسفل الهاوى والخسران ، وذلك : لأنه كلام الملك الديان ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه محفوظ بالحجة والسلطان ، محروس عن مكاييد أهل العنود والطفیان ، فتبارك الله ذو النعمة والإحسان ، والفضل والامتنان ، خالق الجن والإنسان ، وله الشكر الدائم ، والذكر اللازم ، ما اختلف الملوان ، ومرج البحران ، وتقلب فى حكمه الثقلان .

أما بعد : فإن الله تعالى أنعم على هذه الأمة بالقرآن العزيز الجليل ، وجعله سبيلاً إليه ، مقروناً بالحجة والدليل ، أكرم به رسوله الأمين ، وسماه صراطه المستبين ، وقرع العرب بالإتيان بمثله ، أو ببعض منه إن لم يقدرُوا على كله ، وسماه بأسمى محموده ؛ وضمنه معاني غير معدودة .

وكان : مما سماه به بعد وصفه بأحسن الحديث : الثانى . كما قال الله تعالى : (س ٣٩ آ ٢٣) « اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي » . فكما أن ظاهره حجة على فصحاء العرب بنظمه ، فكذلك باطنه حجة على علماء العجم بحكمه وعامه ، وكما أن ظاهره مربوط بنظم لا يتطرق إليه عيب^(٢) ، فكذلك باطنه مبسوط بحكم لا تبقى معه مادة لريب .

وكما أن ظاهره نظمه لو وقع فيه خلل لكان للطاعنين فيه مقال . فكذلك إن وقع فى نظم معانيه زلل كان للمعرضين عنه مجال . وإليه أشار بقوله سبحانه (س ٤١ آ ٤٢) « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ » أراد ، والله أعلم ، من جهة نظم ألفاظه ولا من جهة أحكامه ومعانيه ولكن هذا علم

(١) الصحيفة الأولى مفقودة من الأصل .

(٢) فى الأصل : بغير

خاص يختص الله به من يشاء فيهديه إلى معرفة طرق منهالة على منازل شرف به وعنه ، وهو الذى قال تعالى (س ٢٩ آ ٤٩) « بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ » .

ولعمري قد كنت شرعت فى باب الظاهر بكتب ألفتها فى فنونه ، وأوردت فى كل واحد منها ما هو الأليق فيه من عزيزه وعيونه ، وكنت أشرت فى بعضها إلى احتياج طالب هذا الباب إلى كتاب أستخرجه فيه ، ووعدته استخراج ذلك بمصادره ومبانيه ، وأحببت بعد ذلك أن أشرع فى إنجاز ما وعدت ، والوفاء بما عهدت ، فقد قيل : أنجز حرّ ما وعد . بكتاب أولفه فى معانيه ، والإبانة عن أسانيده ومبادئه ، وأخدم كتاب الله تعالى خدمة قلّ فيها المشاركون ، وكثر لها التاركون ، وابتدأت بالأخذ فى تأليفه ، واستخرجه يوم الأحد غرة شعبان سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، بعد الاستخارة والإخلاص فى الدعاء ، ومقارنة الدعاء بالثناء لأن يوفقنى ويسدّدنى ، ويلهمنى ويرشدنى ، ويسهل علىّ سبيل ذلك ، ويسرّلى المداخل والمسالك ، فإنه لا يوجد ذلك إلّا بتوقيفه وتيسيره وتطويقه ، وحمل السائل على تحقيقه ، إذ المرجع فى ذلك إلى محور الخواطر لا إلى صدور الدفاتر ، والله ولىّ التوفيق ، وييده الخير كله وهو كل شيء قدير .

واعلم : أن لكل شيء مقدمة وأساساً ، عقلاً كان ذلك أو قياساً ، والأخذ فى الشيء من مقدمته أوعب له برمته من الأخذ بطرف منه أو وسط ، لأن ذلك مما يؤدّى إلى إجحاف أو شطط ، وجعلت لهذا الباب مقدمات ومباني تتضمن ما قصدت له من المعانى وسميت هذا الكتاب : « كتاب المباني لنظم المعانى » ومقدماتها ومبانيها عشرة فصول . كل فصل منها تتصل به فوائد وأبواب ، ثم يكون الفصل الحادى عشر أصل الكتاب وعمدة هذا الباب .

الفصل الأول : فى ذكر ترتيب نزول القرآن ، وبيان المكي والمدني وما

قيل فيه .

الفصل الثانى : فى كيفية جمع المصاحف والسبب المؤدى إلى ذلك ، وما قيل فيه .

الفصل الثالث : فى بيان أن القرآن تكلم الله به على هذا الترتيب الذى هو فى أيدينا اليوم ، لا على ترتيب النزول .

الفصل الرابع : فيما ادعوا على المصحف من الزيادة والنقصان ، والغلط والنسيان .

الفصل الخامس : فى اختلاف نُسَخ المصاحف ، والقول فى كيفيتها .

الفصل السادس : فى اختلاف عدد السور وإحصائها .

الفصل السابع : فى ذكر التفسير والتأويل ، والحكم والمتشابه وما يحتاج إليه به .

الفصل الثامن : فى ذكر من تخرج عن التفسير ، ومن لم يتخرج وجواز استنباط معانيه على الشرائط اللغوية ، واجتهاد المجتهدين فى أحكام القرآن المختلف فى تأويلها .

الفصل التاسع : فى نزول القرآن على سبعة أحرف ، وما قيل فى معانيه .

الفصل العاشر : فى ذكر تنزيل الكتب ، وأجزاء القرآن ، وعدد الآيات والكلمات والحروف . ولكل فصل من هذه الفصول كتب ومقالات اختصرناها فى كتابنا هذا . ومن أراد الإبلاغ فيها فعليه بكتبنا المؤلفة فى كل باب منها فإن الأئمة الماضين رحمة الله عليهم قد بالغوا فيها ونصحوا ، ودفعوا عن كتاب الله تعالى ونصحوا .

أسأل الله جلّت عظمته ، وعزّت قدرته ، أن يجعل سعياى له ، ويعصمى من الخطأ والخلط وركوب الباطل فى القول والعمل إنه لطيف خبير .

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

في ذكر ترتيب نزول القرآن

اعلم أيديك الله بتوقيفه ، وهداك إلى سبيل الخير في تحقيقه ، انا إنما ابتدأنا كتابنا هذا بذكر هذا الفصل لئلا يظن الجاهل انا أغفلنا عنه ، أو قصر علمنا منه ، أو انه وقف من ذلك على ما لا يقف عليه غيره فتناهى إلى غيره خبره .

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن علي رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومأواه قال : أخبرنا أبو النضر محمد بن علي الطالقاني قال : حدثنا الشيخ أبو سهل محمد بن محمد بن علي الطالقاني الأنباري رحمه الله وذكره في كتاب فيه ما فيه ، وأخبرني الشيخ أبو القاسم عبد الله بن محمّاذ رضي الله عنه بهراة قال : أجاز لي الشيخ أبو سهل محمد بن محمد بن علي الأنباري بكتاب فيه ما فيه قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن سليم قال : حدثنا صالح بن محمد الترمذي قال : حدثنا محمد بن مروان الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : إن أول شيء نزل بمكة : (س ٩٦) اقرأ باسم ربك ، ثم : (س ٦٨) نون والقلم ، ثم : (س ٩٣) والضحى ، ثم : (س ٧٣) يأيها المزمل ، ثم : (س ٧٤) يأيها المدثر ، ثم : (س ١١١) تبت يدا أبي لهب ، ثم : (س ٨١) إذا الشمس كورت ، ثم : (س ٨٧) سبيح اسم ربك ؛ ثم : (س ٩٢) والليل إذا يغشى ، ثم : (س ٨٩) والفجر ، ثم : (س ٩٤) ألم نشرح لك صدرك . ثم : (س ١٠٣) والعصر ، ثم : (س ١٠٨) إنا أعطيناك ، ثم : (س ١٠٢) الهكّم ، ثم : (س ١٠٧) أرايت الذي ، ثم : (س ١٠٥) ألم تركيف فعل ، ثم : (س ١٠٩) قل يأيها الكافرون ، ثم : (س ١١٢) : قل هو الله أحد ، ثم : (س ٥٣) : والنجم ، ثم : (س ٨٠) عبس وتولى ، ثم : (س ٩٧) : إنا أنزلناه ، ثم : (س ٢٢) الحج ، ثم : (س ٩١) والشمس وضحاها ، ثم : (س ٨٥) والسماء ذات البروج ، ثم : (س ٩٥) التين والزيتون ، ثم : (س ١٠٦)

لإيلاف ، ثم (س ١٠١) : القارعة ، ثم : (س ٧٥) لا أقسم بيوم القيامة ، ثم (س ١٠٤) : ويل لكل همزة ، ثم (س ٧٧) والمرسلات عرفا ، ثم (س ٥٠) : ق والقرآن ، ثم (س ٩٠) : لا أقسم بهذا البلد ، ثم (س ٨٦) : والسماء والطارق ، ثم (س ٥٤) اقتربت الساعة ، ثم (س ٣٨) : ص والقرآن ، ثم (س ٧) الأعراف ، ثم (س ٧٢) : قل أوحى ، ثم (س ٣٦) : يس والقرآن ، ثم (س ٢٥) : الفرقان ، ثم (س ٣٥) : الملائكة ، ثم (س ١٩) : سورة مريم ، ثم (س ٢٠) : سورة موسى ، ثم (س ٢٦) : الشعراء ، ثم (س ٢٧) : النمل ، ثم (س ٢٨) : القصص ، ثم (س ١٧) : سورة بني إسرائيل ؛ ثم (س ١٠) : سورة يونس ، ثم (س ١١) : سورة هود ، ثم (س ١٢) سورة يوسف ، ثم (س ١٥) : الحجر ، ثم (س ٦) : الأنعام ؛ ثم (س ٣٧) : الصافات ، ثم (س ٣١) : لقمان ، ثم (س ٣٤) : سورة سبأ ، ثم (س ٣٩) : الغفر ، يعني : تنزيل الزمر ، ثم (س ٤٠) : حم المؤمن ، ثم (س ٤١) : حم السجدة ، ثم (س ٤٢) : عسق ، ثم (س ٤٣) : الزخرف ، ثم (س ٤٤) : الدخان ، ثم (س ٤٥) : الجاثية ، ثم : (س ٤٦) الأحقاف ، ثم (س ٥١) : الذاريات ، ثم (س ٨٨) : هل اتاك ثم (س ١٨) : الكهف ، ثم : (س ١٦) : النحل ، ثم (س ٧١) : سورة نوح ، ثم (س ١٤) : إبراهيم ، ثم : (س ٥٤) اقتربت ^(١) ، ثم (س ٢١) : الأنبياء ، ثم (س ٢٣) : المؤمنون ، ثم (س ٣٢) : الم السجدة ، ثم (س ١٣) : الرعد ، ثم (س ٥٢) : الطور ، ثم (س ٦٧) : تبارك الملك ، ثم (س ٦٩) : الحاقة ، ثم (س ٧٠) : سأل سائل ، ثم (س ٧٨) : عم يتساءلون ثم (س ٧٩) : سورة النازعات ، ثم (س ٨٢) : إذا السماء انفطرت ، ثم (س ٨٤) : إذا السماء انشقت ، ثم (س ٣٠) : سورة الروم ، ثم (س ٢٩) : العنكبوت . وهن ثلاث وثمانون سورة ممّا نزلت بمكة على النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : وأول شيء نزل بالمدينة : (س ٨٣) ويل للمطففين ، ثم (س ٢) :
البقرة ، ثم (س ٨) : الأنفال ، ثم (س ٣) : آل عمران ، ثم (س ٣٣) ،
الأحزاب ، ثم (س ٦٠) : الممتحنة ، ثم (س ٤) : النساء ، ثم (س ٩٩) إذا
زلزلت ، ثم (س ٥٧) : الحديد ، ثم (س ٤٧) : سورة محمد صلى الله عليه وسلم ،
ثم (س ٧٦) : هل أتى على الإنسان ؛ ثم (س ٦٥) : سورة الطلاق ، ثم :
(س ٩٨) سورة لم يكن ، ثم (س ٥٩) : سورة الحشر ، ثم (س ١١٠) :
سورة نصر الله ، ثم (س ٦٣) : سورة إذا جاءك المنافقون ، ثم (س ٢٤) :
سورة النور ، ثم (س ٥٨) سورة المجادلة ، ثم (س ٤٩) : الحجرات ،
ثم (س ٦٦) : سورة لم تحرم ، ثم (س ٦٢) سورة الجمعة ، ثم (س ٦٤) . سورة
التغابن ، ثم (س ٦١) : سورة الصف ، ثم (س ٤٨) سورة الفتح ، ثم
(س ٥) سورة المائدة ، ثم (س ٩) سورة التوبة ، وهي آخر القرآن
وسورة المائدة .

وإذا كانت فاتحة سورة نزلت بمكة كتبت بمكة ، ثم يزيد الله فيها
ما يشاء بالمدينة ، ونزلت بمكة (س ٩ آ ١٢٨) « لقد جاءكم رسول من أنفسكم »
إلى آخر السورة ، ثم (س ٥٦) سورة إذا وقعت ، ثم (س ١٠٠) : والعاديات
ضبحاً ، ثم (س ١١٣) سورة الفلق ، ثم (س ١١٤) : قل أعوذ برب الناس ،
وذلك ثلاثون سورة نزلت بالمدينة . فجميع ما نزل بمكة والمدينة مائة وثلاث عشرة
سورة . منها : ثلاث وثمانون بمكة وثلاثون بالمدينة .

قال : وأخبرنا أبو النضر قال : حدثنا أبو سهل الأنماري قال : حدثنا محمد
ابن حاتم الجوزجاني وغيره قالوا : أخبرنا إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا عمر
ابن هارون ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أول ما نزل بمكة
وما أنزل منه بالمدينة الأول فالأول . وكانت إذا نزلت سورة فاتحة الكتاب

بمكة كتبت بمكة : ثم يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينة فكان أول ما نزل بالقرآن^(١)
 (س ٩٦) : اقرأ باسم ، ثم (س ٦٨) : نون والقلم ، ثم (س ٧٣) ، المزمل ،
 ثم (س ٧٤) : المدثر ، ثم (س ١١١) تبت ، ثم (س ٨١) : إذا الشمس كورت ،
 ثم (س ٨٧) : سبح اسم ربك ، ثم (س ٩٢) : والليل إذا يغشى ، ثم (س ٨٩)
 والفجر ، ثم (س ٩٣) : والضحي ، ثم (س ٩٤) : ألم نشرح ، ثم (س ١٠٣) :
 والعصر ، ثم (س ١٠٠) : والعدايات ، ثم (س ١٠٨) : إنا أعطيناك ، ثم (س
 ١٠٢) : الحكم ، ثم (س ١٠٧) : أرأيت ، ثم (س ١٠٩) : الكافرون ، ثم
 (س ١٠٥) . ألم تر ، ثم (س ١١٣) : قل أعوذ برب الفلق ، ثم (س ١١٤) :
 قل أعوذ برب الناس ، ثم (س ١١٢) : قل هو الله أحد ، ثم (س ٥٣) :
 والنجم ، ثم (س ٨٠) : عبس ، ثم (س ٩٧) : إنا أنزلناه ، ثم (س ٩١) :
 والشمس ، ثم (س ٨٥) : البروج ، ثم (س ٩٥) : التين ، ثم (س ١٠٦) :
 لايلاف ، ثم (س ١٠١) : القارعة ، ثم (س ٧٥) : القيامة ، ثم (س ١٠٤) :
 همزة ، ثم (س ٧٧) : والمرسلات ، ثم (س ٥٠) : قاف ، ثم (س ٩٠) :
 البلد ، ثم (س ٨٦) : الطارق ، ثم (س ٥٤) : اقتربت الساعة ، ثم (س
 ٣٨) : ص ، ثم (س ٧) : الأعراف ، ثم (س ٧٢) : قل أوحى ، ثم (س
 ٣٦) : يسن ، ثم (س ٢٥) : الفرقان ، ثم (س ٣٥) : الملائكة ، ثم (س
 ١٩) : كهيعص ، ثم (س ٢٠) : طه ، ثم (س ٥٦) : إذا وقعت ، ثم (س
 ٢٦) : الشعراء ، ثم (س ٢٧) : النمل ، ثم (س ٢٨) : القصص ، ثم (س
 ١٧) : بني إسرائيل ، ثم (س ١٠) : يونس ، ثم (س ١١) : هود ، ثم (س
 ١٢) : يوسف ، ثم (س ١٥) : الحجر ، ثم (س ٦) : الأنعام ، ثم (س
 ٣٧) : الصافات ، ثم (س ٣١) لقمان ، ثم (س ٣٤) : سبأ ، ثم (س ٣٩) :
 الزمر ، ثم (س ٤٠) : حم المؤمن ، ثم (س ٤١) : حم السجدة ، ثم (س ٤٢) :
 (١) كذلك في الأصل : والمراد من القرآن .

حم عسق ، ثم (س ٤٣) : حم الزخرف ، ثم (س ٤٤) : حم الدخان ، ثم (س ٤٥) : حم الجاثية ، ثم (س ٤٦) : حم الأحقاف ، ثم (س ٥١) : الذاريات ، ثم (س ٨٨) : الغاشية ، ثم (س ١٨) : الكهف ، ثم (س ١٦) : النحل ، ثم (س ٧١) : نوح ، ثم (س ١٤) : إبراهيم ، ثم (س ٢١) : الأنبياء ، ثم (س ٢٣) : المؤمنون ، ثم (س ٣٢) : الم تنزيل ، ثم (س ٥٢) : الطور ، ثم (س ٦٧) : الملك ، ثم (س ٦٩) : الحاقة ، ثم (س ٧٠) : ذى المارج ، ثم (س ٧٨) : عم يتسائلون ، ثم (س ٧٩) : النازعات ، ثم (س ٨٢) : انفطرت ، ثم (س ٨٤) : انشقت ، ثم (س ٣٠) : الروم ، ثم (س ٢٩) . العنكبوت ، ثم : (س ٨٣) المطففين . فهذه ما أنزلت بمكة وهى : خمس وثمانون سورة .

ثم أنزل بالمدينة : (س ٢) : البقرة ؛ ثم (س ٨) : الأنفال ، ثم (س ٣) : آل عمران ، ثم : (س ٣٣) : الأحزاب ، ثم (س ٦٠) : الممتحنة ، ثم (س ٤) : النساء ، ثم (س ٩٩) : إذا زلزلت ، ثم (س ٥٧) : الحديد ، ثم (س ٤٧) : سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم (س ١٣) : الرعد ، ثم (س ٥٥) : الرحمن ، ثم (س ٧٦) ، هلى أتى ؛ ثم (س ٦٥) ، الطلاق ؛ ثم (س ٩٨) : لم يكن ، ثم (س ٥٩) : الحشر ، ثم (س ١١٠) : إذا جاء نصر الله ، ثم (س ٢٤) : النور ، ثم (س ٢٢) : الحج ، ثم (س ٦٣) : المنافقون ، ثم (س ٥٨) : المجادلة ، ثم (س ٤٩) : الحجرات ، ثم (س ٦٦) : لم تحرم ؛ ثم (س ٦٢) : الجمعة ، ثم (س ٦٤) : التغابن . فجميع سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة^(١) .

قال : وأخبرنا أبو النضر قال : أخبرنا أبو سهل الانمارى ، حدثنا محمد بن حاتم وغيره قالوا : أخبرنا إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا عمر بن هارون ، عن

(١) ويلاحظ أن السور الآتية غير موجودة فى هذا البيان وهى (س ٦١) : الصف ، (س ٤٨) : الفتح ، (س ٩) : التوبة ، (س ٥) : المائدة فعد السور فيه مائة وتسع سورة فقط .

عثمان بن عطاء الخراساني مثله . إلا أنه شك في (س ٩٣) : الضحى . قال لأدرى أمكية أو مدنية .

قال أبو سهل : فهذه الروايات كما ترى قد اتفقت على أن جميع سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة ، ولم يذكر في شيء منها فاتحة الكتاب في العدد ، ولا في أنها مكية أو مدنية ولا متى أنزلت . غير أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن محمد بن سليم جمعه ذكر أول ما ابتداء في التفسير أنها مكية ، وكذا كان مكتوباً في طيه . قال أبو سهل : وأخبرنا غير واحد : منهم إسحاق بن الحسن بن صدقة الجوزجاني ، عن محمد بن الأزهرى ، عن وكيع بن الجراح بن مليح قال : حدثني أبي وسفيان عن منصور ومجاهد قال : نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة ، وهذا إسناد كما ترى في صحته وشهرته .

قال أبو سهل : وقد وقع عندي حديث هو أوجب من هذه الأحاديث كلها ، وأقرب إلى المعنى المحتمل أن أول ما نزل من القرآن (س ١) : فاتحة الكتاب ، ثم (س ٩٦) : اقرأ باسم ربك ، وهذا عندي أشبه بالمعنى لجهتين . إحداهما : أنها سميت أم الكتاب لأنها أقدم ما أنزل وأوله كما سميت مكة أم القرى لأنها أقدمها . وسميت فاتحة الكتاب لأن الكتاب فتح بها أي ابتدئ النزول بتلك السورة ، والأخرى أن بها نفتتح القراءة في الصلاة ، وتنتهى في كل صلاة ، وليس من السور سورة بتلك المنزلة فيحتمل أن يكون تركهم ذكر نزولها وعدّها في عدد السور لشهرتها ، ولأنها لا تخفى على أحد منزلتها بذلك على ما ذهبنا إليه . وطرح عبد الله بن مسعود إياها من المصحف ، لأن المصحف إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان ، فلما لم تخف عليه فاتحة الكتاب طرحها من المصحف .

قال الشيخ أبو سهل : حدثنا أبو طلحة سريح بن عبد الكريم التميمي ، ومجبر بن محمد ، وأبو يعقوب يوسف بن علي ، ومحمد بن فراس الطالقانيون قالوا : حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي

قال : حدثنا سليمان بن حرب المكي قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن علي بن زيد
ابن جدعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه
قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ثواب القرآن فاجبرني بثواب كل سورة
سورة على نحو ما أنزلت من السماء وأن أول ما أنزل عليه بمكة فاتحة الكتاب ،
ثم (س ٩٦) : اقرأ باسم ربك ، ثم (س ٦٨) : نون والقلم ، ثم (س ٧٤) :
يا أيها المدثر ، ثم (س ٧٣) : يا أيها المزمل ، ثم (س ٨١) : إذا الشمس ، ثم
(س ٨٧) : سبح اسم ربك ، ثم (س ٩٢) : والليل ، ثم (س ٨٩) : والفجر ،
ثم (س ٩٣) : والضحى ، ثم (س ٩٤) : ألم نشرح ، ثم (س ١٠٣) :
والعصر ، ثم (س ١٠٠) : والعاديات ، ثم (س ١٠٨) : الكوثر ، ثم (س
١٠٢) : ألهمكم ، ثم (س ١٠٧) : أرأيت ، ثم (س ١٠٩) : الكافرون ، ثم
(س ١٠٥) : الم ، ثم (س ١١٣) : الفلق ، ثم (س ١١٤) : الناس ، ثم
(س ١١٢) : الإخلاص ، ثم (س ٨٠) : عبس ، ثم (س ٩٧) : إنا أنزلناه ،
ثم (س ٩١) : والشمس ، ثم (س ٨٥) : البروج ، ثم (س ٩٥) : والتين .
ثم (س ١٠٦) : لإيلاف ، ثم (س ١٠١) : القارعة ، ثم (س ٧٥) : القيامة ،
ثم (س ١٠٤) : همزة ، ثم (س ٧٧) : الرسائل ، ثم (س ٥٠) : قاف ، ثم
(س ٩٠) : البلد ، ثم (س ٨٦) : الطارق ، ثم (س ٥٤) : الساعة ، ثم (س
٣٨) : ص ، ثم (س ٧) : المص ، ثم (س ٧٢) : قل أوحى ، ثم (س ٣٦) :
يسن ، ثم (س ٢٥) : الفرقان ؛ ثم (س ٣٥) : الملائكة ، ثم (س ١٩) :
كهيعص ، ثم (س ٢٠) : طه ، ثم (س ٥٦) : الواقعة ، ثم (س ٢٦) :
الشعراء ، ثم (س ٢٧) : النمل ، ثم (س ٢٨) : القصص ، ثم (س ١٧) :
سبحان ، ثم (س ١٠) : يونس ، ثم (س ١١) : هود ، ثم (س ١٢) : يوسف ،
ثم (س ١٥) : الحجر ، ثم (س ٦) : الأنعام ، ثم (س ٣٧) : الصافات ، ثم
(س ٣١) : لقمان ، ثم (س ٣٤) : سبأ ، ثم (س ٣٩) : الزمر ، ثم :

الحواميات (س ٤٠ إلى س ٤٦) يتبع بعضها بعضا ، ثم (س ٥١) : والذاريات ،
ثم (س ٨٨) : الغاشية ، ثم (س ١٨) : الكهف ، ثم (س ١٦) : النحل ،
ثم (س ٧١) : إنا أرسلنا ، ثم (س ١٤) : إبراهيم ، ثم (س ٢١) : الأنبياء ،
ثم (س ٢٣) : المؤمنون ، ثم (س ٣٢) : الم السجدة ، ثم (س ٥٢) : والطور ،
ثم (س ٦٧) : الملك ، ثم (س ٦٩) : الحاقة ، ثم (س ٧٠) : سأل سائل ،
ثم (س ٧٨) : عم يتساءلون ، ثم (س ٧٩) : النازعات ، ثم (س ٨٢) : انفطرت ،
ثم (س ٣٠) : الروم ، ثم (س ٢٩) : العنكبوت ، ثم (س ٨٣) : المطففين ،
ثم (س ٨٤) : انشقت .

وما أنزل بالمدينة أول سورة (س ٢) : البقرة ، ثم (س ٨) : الأنفال ،
ثم (س ٣) : آل عمران ، ثم (س ٣٣) : الأحزاب ، ثم (س ٦٠) : الممتحنة ،
ثم (س ٤) : النساء ، ثم (س ٩٩) : إذا زلزلت ، ثم (س ٥٧) : الحديد ،
ثم (س ٤٧) : سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم (س ١٣) : الرعد ،
ثم (س ٥٥) : الرحمن ، ثم (س ٧٦) : هل أتى ، ثم (س ٦٥) : الطلاق ،
ثم (س ٩٨) : لم يكن ، ثم (س ٥٩) : الحشر ، ثم (س ١١٠) : إذا جاء
نصر الله ، ثم (س ٢٤) : النور ، ثم (س ٢٢) : الحج ، ثم (س ٦٣) : المنافقون ،
ثم (س ٥٨) : المجادلة ، ثم (س ٤٩) : الحجرات ، ثم (س ٦٦) : التحريم ،
ثم (س ٦٢) : الجمعة ، ثم (س ٦٤) : التغابن ، ثم (س ٤٨) : الفتح ،
ثم (س ٥) : المائدة ثم (س ٩) : التوبة ، ثم (س ٥٣) : النجم^(١) .

فهذا ما أنزل بالمدينة ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم جميع سور القرآن مائة
وأربع عشرة سورة ؛ وآيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست وثلاثون آية .
وجميع حروف القرآن ثلاث مائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف

(١) لا يوجد في هذا الجدول س ٦١ الصف ، و س ١١١ المسد .

ومائتان وخمسون حرفاً ، لا يرغبُ في تعلم القرآن إلا السعداء ، ولا يتعهدُ قراءته إلا أولياء الرحمن .

قلت : وأكثر الروايات قد تظاهرت أن (س ٩٦) إقرأ باسم ربك ، أول ما نزل من القرآن . وفي بعضها (س ٧٤) يا أيها المدثر ، مع أنه جعل المعوذتين مما أنزل بمكة . والمشهور من الروايات أنهما أنزلتا حين سحر لبيد بن أعصم ^(١) اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فأخذه عن عائشة ، ولأنه جعل (س ٥٣) النجم آخر القرآن نزولاً ، وهي في مشهور الروايات من أوائل القرآن نزولاً ، فكيف وقد ذكر فيه حديث الغرائق ، وسجود صناديد قریش ؛ وقد روى أنها أول سورة أظهرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولأن خطابتها توافق ابتداء الحال ولأن فيها حديث المعراج موافقاً لسورة سبحان (س ١٧) اللهم إلا أن نقول إن ذلك المعراج كان سوى هذا ، ولأنه جعل (س ١٠٠) ، والعاديات : مكية . وفي المشهور أنها نزلت في سرية ^(٢) أنفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عليه خبرها فاشتغل قلبه . وهذه من أوصاف كونه بالمدينة بلا مرية ، وأما تسمية سورة الحمد بفاتحة الكتاب فلا أنه ابتداء الله سبحانه في التكليم حين نزل بها جبريل عليه السلام إلى السفرة كما نذكره في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى .

وهذه الأحاديث كلها مكتوبة على وجهها في كتاب فيه مافيه للشيخ أبي سهل رحمة الله عليه . إلا أنه لم يكن عندي إسنادها ، ووجدت إسنادها فيما أجازني الشيخان أبو عبد الله محمد بن علي ، والشيخ أبو القاسم عبد الله بن محمّاذ ، رويتها عنهما لا كون قد جمعت بين ذكر المشايخ ، فيكون الكتاب مباركاً على وعلى من تخلف إلى ، فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، جعلنا الله ممن يقتدى بإيمان الصالحين ، وجمع بيننا وبينهم في أعلى عليين إنه أرحم الراحمين .

(١) انظر سيرة رسول الله لابن هشام ص ٣٥٢ (Ed. Wuestenfeld) ،

وأسباب النزول للواحدى ص ٣٤٦

(٢) انظر أسباب النزول للواحدى ص ٣٤١

الفصل الثاني

في كيفية جمع المصاحف ، والسبب المؤدى إلى تأليفها

ثم بعد أن ذكرنا ترتيب نزول القرآن ، وبيننا السور المكية من المدينة مع اختلاف الروايات فيها ، والله أعلم بحقيقة الأمر فيه ، فعلينا^(١) أن نذكر السبب الذى حملهم على تأليف المصاحف ، ومن الذى تولى ذلك لأكون قد استوفيت حظه من الكلام ، وقطعت بذكرها مواد الخصام .

ذكر الشيخ أبو سهل الانمارى رحمه الله فى كتابه . وأخبرنا الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن علىّ رضى الله عنه قال : حدثنا أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن أبى السرى البكائى بالكوفة قال : حدثنى الحسن بن الطيب بن حمزة الشجاعى قال : حدثنا جمعة بن عبد الله أبو بكر السلمى البلخى قال : حدثنا إبراهيم بن سعد ابن سعد الزهرى ، قال : حدثنا مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبيد بن السباق ، عن زيد بن ثابت قال : وأخبرنا منصور بن العباس ، قال : حدثنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا سويد بن سعيد الانبارى قال : حدثنا إبراهيم بن سعد قال : حدثنا ابن شهاب ، عن عبيد بن السباق قال : وأخبرنا أبو على أحمد بن محمد بن يحيى السجستانى قال : حدثنا محمد بن حامد بن هارون قال : حدثنا على بن عبد العزيز قال : حدثنا أبو موية قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إبراهيم بن سعد الزهرى ، عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت حدثه قال : قال أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وإذا عنده عمر فقال أبو بكر : إن عمر أتانى فقال إن القتل قد استحر بقاء القرآن يوم اليمامة ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقاء فى المواطن كلها ، فيذهب من القرآن كثير ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قال :

(١) فى الاصل : فينا

فقلت له : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لى عمر : هو والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى فى ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر . فرأيت فى ذلك الذى رأى . قال : قال زيد : فقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا تهملك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجعه . قال : فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن . قال : قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ، قال : فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والعسف والخفاف ، ومن صدور الرجال ، فوجدنا آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت (س ٩ : آ ١٢٨ ، ١٢٩) « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ » حتى ختم السورة هكذا .

قال أبو على : وفى رواية منصور قال : وجدت مع خزيمة أو أبى خزيمة الشك من إبراهيم آية قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فى التوبة (س ٩) « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » الآية . فكتبتها . وقال ابن أبى السرى فى حديثه حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو أبى خزيمة لم أجدها مع أحدٍ غيره « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » حتى ختم براءة ، ثم اتفقوا .

قال : كانت الصحف عند أبى بكر حتى مات ، ثم كانت عند عمر حتى مات ، ثم كانت عند حفصة بنت عمر . قال إبراهيم : لحدثنى ابن شهاب ، عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان ، وكان يغازى أهل الشام مع أهل العراق مع فتح أرمينية وأذربيجان فأفرعه اختلافهم فى القراءة . قال يا أمير المؤمنين : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى . فبعث عثمان إلى حفصة أن أرسلنى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف

ثم نردها عليك . فأرسلتها إليه فأمر عثمانُ زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوا الصحف في المصاحف .

وهذه رواية منصور وأبي عليّ ، ولم يذكر ابن أبي السريّ عبد الرحمن بن الحارث . ثم اتفقوا وقال لهم ما اختلفتم أتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإن القرآن نزل بلسانهم . قال ففعلوا ذلك حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان إلى كل أفق مصحفاً من تلك المصاحف التي نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . وقال أبو عليّ : أن يحرق أو يحرق ، ثم قالاً في حديثهما يحرق أو يحرق ، هذا لفظ منصور وقد انتهى حديثه وقال الاحراق . . . سوى ذلك . من القراءة في كل صحيفة أو مصحف .

قال ابن شهاب : فأخبرني خارجة بن زيد أنه سمع أبا زيد بن ثابت يقول : فقدت آية من سورة الأحزاب قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها (س ٣٣ آ ٢٣) « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا » فالتصفتها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت فألحقها في سورتها في المصحف . هذا لفظ ابن أبي السري ، وقال أبو عليّ في حديثه : فوجدتها مع خزيمة أو أبي خزيمة فألحقها في سورتها . قال ابن شهاب : واختلفوا يومئذ فقال النفر القرشيون : التابوت ، وقال زيد : التابوه . فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوه التابوت فإنه بلسان قريش . هذا لفظ أبي عليّ وقد انتهى حديثه .

وقال ابن أبي السري ، عن ابن شهاب : واختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد : التابوه ، وقال ابن الزبير ، وسعيد بن العاص : التابوت . فرفعوا اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوا التابوت فإنه بلسان قريش .

قال ابن شهاب : فأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال : يامعشر المسلمين أعزل عن كتابة المصحف وَيَوْلَاهَا رَجُلٌ ، والله لقد أَسْلَمْتُ وإنه لفي صُلْب رجل كافر . يريد زيد بن ثابت . قال : فلذلك قال ابن مسعود : يا أهل الكوفة ، أو يا أهل العراق : اكتبوا المصاحف وغلّوها فإن الله تبارك وتعالى قال (س٣ آ١٦١) « وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فالغّلّ الله بالمصاحف .

قال ابن شهاب : فبلغني أنه كره ذلك من مقالة ابن مسعود رجالاً من أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي لفظ الشيخ أبي سهل الأماري رحمه الله حدثنا أبو يعقوب يوسف ابن موسى قال : حدثنا محمد بن يحيى القطعي ، قال : حدثنا عبيد بن عجيل ، قال : حدثنا خارجة بن مصعب ، عن عمارة بن غزيرة ، عن الزهري قال : حدثني خارجة ابن زيد بن ثابت ، عن أبيه قال : جاء عمر بن الخطاب إلى أبي بكر فقال : يا خليفة رسول الله : إن الناس يوم القيامة تنازعوا في الشهادة وتهافتوا فيها تهافت الفراش في النار ، وإني خشيت أن يهلك القرآن وهلاكه بذهاب حملته ، وإني أرى لك أن تكتبه في صحيفة واحدة . فقال أبو بكر : أأصنع خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأخاف ما لم يخف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فتردّداً القول بينهما حتى انقطع عمر من مجلسه . فجلس مُحْزِئاً ليعني منقبضاً . قال زيد : وأرسل إليّ فجلست بين يديه فقال لي ، وأشار إلى عمر كالبكا : إِنَّ هَذَا أَرَادَنِي أَنْ أَجْمَعَ الْقُرْآنَ . فأيت عليه وقلت أأصنع خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت إليك فإن جامعتي على أمرى لم أتابعه ، وإن أنت جامعته على رأيك أتبعك ياعمر ماتقول ؟ قال عمر أرى أن تجمععه فإنما قصدك منه خير ، وإني خشيت إن لقي المسلمون مثلاً أن تذهب حملة القرآن .

وذهابه بذهاب حملته . قال أبو بكر : فما ترى يا زيد ؟ . قال زيد : كأن رأيت مثل رأيك ، وأرى عمر يقول : إنما قصدك منها خير . قال : فأما إذا تابعته فإنك كنت كاتب الوحي وأمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت عندنا أمين فقد أمرتك أن تكتبه ، وسأجعل معك رجلاً : إبان^(١) بن سعيد بن العاص الأموي الأكبر فإنه فتى من قريش فصيح . فقال : وأظنه قال هو من أفصح قريش ، وإنما أنزل القرآن بلغه قريش فابتدئه على بركة الله ، فإن أشكل عليكما شيء فارفعاه إلى لا يكون معكما فيه . ثم أرسل إلى من كان عنده من القرآن شيء فجمعه .

وكان عند عمر من ذلك حظ كبير لم يكن عند أحد مثله . وكان القرآن إنما هو في الأكتاف ، والسعف ، والألواح ، وقطع الأدم ، قال : فكتبنا ما اختلفنا في جمعه إلا في حرف واحد . قلت (س ٢ آ ٢٤٨) « أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ » ، وكانت لغة قريش التابوت ، ولغة الأنصار التابود فقال إبان ابن سعيد : « أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ » قال : فارتفعنا إلى أبي بكر فقصصنا عليه . فقال أبو بكر : أنفذاه التابوت على بركة الله . قال : وكتبناه أجمع في صحيفة واحدة قال : فعرضت عرضة واحدة فوجدتني قد أسقطت منه هذه الآية (س ٣٣ آ ٢٣) « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ » . فسألت المهاجرين والأنصار ، فلم أجد عند أحد منهم وقد كنت أعرفها ، وقد كان أملاها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسكرهت أن أثبتها حتى يشهد معي غيري ، فأصبتهأ عند خزيمه بن ثابت الأنصاري الذي أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ، فكتبتها . ثم عرضت عرضة أخرى فوجدتني قد أسقطت آيتين وقد عرفتهما (س ٩ آ ١٢٨) « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » حتى ختم الآيتين * فسألت عنهما المهاجرين والأنصار فلم أجدهما

(١) في الأصل أياد . والمراد : إبان . انظر أسد الغابة ١ : ٣٧ .

عند أحد منهم إلا عند خزيمه بن ثابت الذي أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته فكتبتهما في آخر براءة . قال : فعمد أبو بكر على ذلك حتى هلك ، ثم عمّد عمر على ذلك حتى هلك ؛ فالتقى أهل الشام وأهل العراق مكفر هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء . ثم أن حذيفة بن اليمان أقبل قافلاً حتى قدِم المدينة فنزل على عثمان قبل أن يأتي رحله فقال : يا أمير المؤمنين : أدرك الناس قبل أن يتفرقوا كما تفرقت بنو إسرائيل . قال : ولم ؟ قال : التقى أهل الشام وأهل العراق بمرج أرمينية ، فهؤلاء على حرف ، وهؤلاء على حرف ، يكفر هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء . قال زيد : فأرسل عثمان إلى فقال : إني أرى أن أجمع الناس على مصحف . فقلت : نعم مارأيت يا أمير المؤمنين . فأرسل عثمان إلى من كان عنده شيء من القرآن من المهاجرين والأنصار فجمعه كله فدفعه إلى فكتبت المصحف . وأرسل إلى حفصة ، ابعتي إلى بالرقعة ، فقالت إني أخاف أن تحبسه عني . فحلف لها عثمان ليردّه عليها . وأخرج المصحف إلى الناس وأحرق ما سوى ذلك .

قال : وقال الزهريّ : لما هلكّت حفصة أرسل عثمان إلى عبد الله بن عمر بعزيمة لما أرسل إليه بالرقعة فأخذها وأحرقها ^(١) .

قال الشيخ أبو سهل : وأخبرنا محمد بن حاتم ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد بن عمار بن غزيرة ، عن ابن شهاب ، عن خارجة ابن زيد ، عن أبيه ، بطوله بمثل معناه ، إلا أنه قال في الصحيفة ، فأعطاه إياها فغسلها غسلًا .

قلت : فعرفت بمجموع ما ذكرنا السبب الدّاعي إلى جمع القرآن ، وتأليفه في المصحف ، وعرفت أن مصحف عثمان هو مصحف أبي بكر والذي يؤيد ما ذكرنا حديث ذكره الشيخ أبو سهل قال : حدثنا موسى بن عيسى أبو عمران ^(١) في الأصل : فأخذه وأحرقه .

الطالقاني قال : حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني قال : حدثنا القاسم بن الحكم قال : حدثنا سفيان ، عن السري ، عن عبد خير قال : سمعت علياً قال : يرحم الله أبابكر هو أول من جمع بين اللوحين . فإن قيل : وكيف لم يجمعه النبي صلى الله عليه وسلم في المصحف ؟ فلو كان ذلك خيراً لكان هو الأولى بفعله .

قلنا : إنه صلى الله عليه وسلم لما وعده الله عز وجل أن يحفظ القرآن له وعليه ، ويثبتته في قلبه أمن نسيانه فعمل على أنه يحفظه على أتمه ، ولا يزال يقرؤه عليهم ، ويقرئهم إياه ، ويعظمهم به أحياناً ، ويعرفهم الفرائض والأحكام والمناسب^(١) من تأويله الذي يعرف بعد تلاوته ، فكان بذلك مستغنياً عن كتب القرآن وجمعه ، وكان المسلمون غانين ، وبينهم النبي صلى الله عليه وسلم ، عن تخليد القرآن في المصاحف والصحف ، فحين قبض نبيهم صلى الله عليه وسلم أشفقوا من أن تحدث الخواثر على حفاظ القرآن الذين عدتهم يسيرة فيضيع القرآن منهم ، أو يفقد من حملته باستشهاد حافظيه ، فلما حصلوا ذلك ، وعملوا عليه لم يجدوا شيئاً هو أحفظ للقرآن من كتبه وتخليده ، فكتبوه وخلدوه نظراً لأنفسهم ، ونصيحة لمن ينأى ويبعد من لا يحفظه حفظهم ، ولا يعرفه معرفتهم ، ولم يمكن الجمع له إلا بعد تشاور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاقهم على أنه طريق الحق ، وباب الصدق ، ومنهاج الاستقامة .

وروى عن حسان الجعفي قال : ذكر السري بن إسماعيل ، عن الشعبي قال : أبو بكر الصديق أول من جمع المصحف . وعن الجعفي أيضاً حدثنا ابن عيينة ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن صعصعة بن صوحان قال : أبو بكر الصديق أول من جمع المصحف .

وقد أخبرناك عن قول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وهم

القدوة الأعلام في الصدق ، وأئمة في الحق ، شهد بصدقهم رب العالمين ، وأجمع على ذلك طوائف المسلمين ؛ فمن ضعف ثقتهم ، ولم يقتد بروايتهم لم تصح له صلاة ، ولا زكاة ، ولا صيام ، ولا فريضة ، ولا نافلة لأن جميع هذا على ما أتوا ونقلوا ، فإذا ألحقهم تهمة بطلت الصلوات ، والزكوات ، وكل المفترضات . ثم نقول : لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بما يكون في أمته من بعد موته إلى أن تقوم عليهم الساعة ، فأخبر أن أبا بكر يتولى جمع القرآن وتأليفه ، وقد انبىء عن ارتداد أهل الردة ، ومجاهدته في سبيل الله ، وردده العرب إلى الإسلام ، كما أخبر عن حال أسامة وجيشه ، فأحب صلى الله عليه وسلم أن تكون تلك الفضيلة لأبي بكر من بعده ، ثم من بعد أبي بكر لعثمان بن عفان رضى الله عنهما ، واستأثر الله هذه الفضيلة لخلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده ، لا سيما وقد كان من جملة ما أخذ بمجامع فؤاده أمر القرآن . لأنه الجامع للحدود والأحكام ، المبين لجميع شرائع الإسلام . وبضيايع القرآن ضيايع جميعها ، فلم يكن الله ليخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الدنيا إلا وقد بشره بذلك ، وهذا من لطيف حكمة الله سبحانه في ذلك . ثم أن القرآن لما كان حجة الله المستقيمة ، ومحجته الواضحة المقيمة ، ولم يجد أعداء الدين فيه مغمراً ، ولا في نظمه مطعناً أخذوا يطعنون في الشيخ عثمان أمير المؤمنين رضى الله عنه إذ فوض أمر تأليف المصاحف إلى زيد بن ثابت دون أبي . وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : أقرؤكم أبي ودون ابن مسعود وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : من سره أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأ براءة ابن أم عبد . وقائل هذا ، المرقى ، عن صبح ، يعرض بأبي بكر وعمر رضى الله عنهما « ويسر حسوا في ارتغاء » ^(١) ، لأن من رتب وبدأ لهذه المرتبة ورآه موضعاً لهذه المنزلة ، أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وقد قال صلى الله

(١) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره .

عليه وسلم : اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر ، وَمَا لِعُثْمَانَ فِي أَمْرٍ زَيْدٍ إِلَّا سُلُوْكَهُ فِي الْأَمْرِ طَرِيقَ أَبِي بَكْرٍ ، وَعَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَبَنَؤُهُ عَلَى مَذْهَبِهِمَا : وَقَدْ أَخْبَرْنَاكَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا فُوضَ ذَلِكَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ شَابًّا حَافِظًا وَعَى الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَخْتِلَافِ بَيْنِ النَّاسِ فِيهِ ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ عَلَى الْعَرِضَةِ الْآخِرَةِ ، وَهِيَ آخِرُ مَرَّةٍ عَارِضَ فِيهَا جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْعَمَلُ عَلَى آخِرِ عَرِضَةٍ . فَكَانَ الَّذِي حَفِظَهُ زَيْدٌ هُوَ الَّذِي الْعَمَلُ عَلَيْهِ ، وَلِأَنَّهُ يَلِي كِتَابَةَ الْوَحْيِ ، وَيَرَى إِمْلَاءَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ . فَكَانَ يُشَاهِدُ مِنْ أَحْوَالِ الْقُرْآنِ مَا لَا يُشَاهِدُهُ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّ الْكِتَابَةَ بَابٌ مِنَ الْعُلُومِ جَلِيلٌ الْخَطَرُ دُونَ سَائِرِ الْعُلُومِ وَالْأَثَرِ . وَلَمْ يَكُنْ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهَا مِثْلَهُ ، وَلِأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ جَمَعَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ دُونَ ابْنِ مَسْعُودٍ .

وَرَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّامِيِّ أَنَّهُ قَرَأَ عَامَّةَ الْقُرْآنِ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ عُثْمَانُ وَالْيَ أَمْرَ الْأُمَّةِ . فَقَالَ لِي : إِنَّكَ تَشْغَلُنِي عَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِ النَّاسِ فَاْمْضِ إِلَى زَيْدٍ فَإِنَّهُ فَارِغٌ لِهَذَا الْأَمْرِ يَجْلِسُ فِيهِ لِلنَّاسِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ فَإِنْ قَرَأْتِي وَقَرَأْتَهُ وَاحِدَةً ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِيهَا خِلَافٌ فَضَيْتُ إِلَى زَيْدٍ ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ . فَكُنْتُ أَلْقَى عَلِيًّا بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاسْأَلَهُ فَيُخْبِرُنِي وَيَقُولُ لِي : عَلَيْكَ بِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ . فَأَقَمْتُ عَلَى زَيْدٍ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ أَقْرَأَ عَلَيْهِ فِيهَا الْقُرْآنَ فَعَرَفْتُ بِذَلِكَ فَضِيلَةَ زَيْدٍ فِي ضَبْطِ الْقُرْآنِ ، وَإِقْرَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ لَهُ بِذَلِكَ .

وَالَّذِي يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى تَصْوِيبِ الشَّيْخَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْوِيزِ ذَلِكَ الْأَمْرِ إِلَى زَيْدٍ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجْمَعُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرُ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَرَوَى عَنْ زَائِدِهِ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ : قَالَ لَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ :

أي القرآن تعدون أولاً؟ قلنا قراءة عبد الله^(١)، وقراءتنا هي الآخرة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يعرض عليه جبريل عليه السلام القرآن كل سنة مرة في شهر رمضان وانه عرض عليه في آخر سنة مرتين فشهد منه عبد الله مانسخ وما بدل .

وعن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : أي القراءتين تعدون أولاً؟ قلنا قراءة عبد الله . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعرض القرآن عليّ جبريل عليه السلام كل سنة مرة وأنه عَرَضَهُ ، وليس يقدر مثل هذا الطعن في كتاب الله عز وجل ، إذ هو منقول تلاوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقل المتواتر الذي لا يمكن فيه خلل ريب ، ولئن ساغ لأحد أن يشك في أن هذا القرآن بجميع سورته وآياته هو الذي قرأه محمد صلى الله عليه وسلم على أصحابه رضي الله عنهم ، وتحدى العرب أن يأتوا بمثله فلم يجيبوه إلى ذلك ، وهو الذي تلقف المهاجرون والأنصار تلاوته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلموه من بعدهم ، هَلُمَّ جَرًّا ، إلى أن اتَّصَلَ بنا ليسوغن له أن يشك في أن محمداً قد كان بمكة يدعى النبوة ، ثم هاجر منها إلى المدينة ، وأنه قد كان بينه وبين المشركين وقعة بدر ، ووقعة أُحُد وسائر الوقائع ، ثم توفي بالمدينة وهو المدفون بها . وإذا قد كان مَنْ أظهر الشك فيما ذكرناه مكابراً لنفسه إذ لا يمكن الشك في ذلك لمن خالط الناس فسمِع أخبارهم ، كذلك لا يمكن في أن هذا القرآن هو الذي قرأه محمد صلى الله عليه وسلم على الناس شك البتة ، ولو قد اقتصرنا في دحر الملحد وَقَذَعِهِ على هذا القدر لقد كان ذلك كافياً . غير أننا يجب أن نَدُبَّ عن هذا الخبر إذ قد يمكن أن يقع فيه ريب ، وإن لم يمكن ذلك فيما قلناه من أن هذا القرآن هو ما بلغه محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى .

فأقول : إن القرآن قد كان مجموعاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) يعني عبد الله بن مسعود .

وإنه ما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكتب له أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا . وقد تقدمت روايتنا عن أنس في ذكر من جمع القرآن من الأنصار ، ومن المعلوم الذي لا خفاء به أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يؤم أصحابه في الصلوات الخمس لا يخل بذلك في سفر ولا حضر ، فقرأ في الركعتين من كل صلاة بسورة مع فاتحة الكتاب ، ويسمعهم ذلك في الغداة والعشي . فإذا كان يسمعهم ؟ ليت شعري ، إن كانت آيات القرآن متفرقة ولم تنظم السور حتى أنها نظمت في أيام أبي بكر أو أيام عثمان ، فبماذا كان يقرع العرب حيث يقول الله تعالى (س ١١ آ ١٣) « فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ » . وذلك مما نزل بمكة ، ثم قال تعالى (س ٢ آ ٢٣) « فَأَتُوا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ » ونزل ذلك بالمدينة ، ولو كان ذلك على ما خيلوا لم يكن العباس بن عبد المطلب يهرب يوم حنين حيث انهزم القوم فيقول : يا أصحاب سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، هذا رسول الله ، يستدعيهم بذلك إليه .

ومن مشاهير ما نقلت الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله ابن عمرو بن العاص : إقرأ القرآن في كذا ليلة يدعوه إلى النسيير ، وهو يقول : إني أطيق أكثر من ذلك ، إلى أن قال له : إقرأ القرآن في ثلاث ليال . وأخبرنا الشيخ محمد بن علي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر ، وأبو منصور الحسن بن أحمد قالا : أخبرنا محمد بن أحمد بن حماد المعروف بأبن ثلة الفقيه قال : حدثنا أبو عيسى الترمذی قال : حدثنا عبيد بن أسباط بن محمد القرشي قال : حدثني أبي عن مطرف ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة ، عن عبد الله بن عمرو قال : قلت : يا رسول الله ، في كم أقرأ القرآن ؟ قال : اختمه في شهر . قلت : إني أطيق أفضل من ذلك . قال : اختمه في عشرين . قلت : إني أطيق أفضل من ذلك . قال : اختمه في خمس عشرة . قلت : إني أطيق أفضل من ذلك . قال : اختمه في عشر . قلت : إني أطيق أفضل من ذلك . قال : اختمه في خمس . قلت : إني أطيق أفضل من ذلك . فما رخص لي .

وقد روى في غير هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أول مرة :
 اقرأ القرآن في أربعين ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال له : لم يفقه من قرأ
 القرآن في أقل من ثلث . قال : وحدثنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس
 الوراق البغدادي إملاء قال : حدثنا يحيى بن محمد الصاعد قال : حدثنا الحسن
 ابن الحسن المروزي بمكة قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : حدثنا سفيان
 الثوري ، عن سليمان ، يعني الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدة السلماني ، عن ابن
 مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ على . فقلت : أعليك
 اقرأ ، وعليك أنزل ؟ . فقال لي : أحب أن اسمعه من غيري قال : فافتتحت سورة
 النساء فلما بلغت (س ٤١٤) « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا
 بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً » قال : فرأيت عينيه تذرفان ، فقال لي : حسبك .

قال الشيخ : وأخبرنا منصور ، عن الحسن بن سفيان ، عن أبي نمير ، عن
 حفص ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله ، نحوه .

قال : وحدثنا الأستاذ إبراهيم بن محمد الطرماحي رحمه الله قال : حدثنا
 أبو الحسن الكارزي قال : حدثنا أبو سعيد محمد بن يوسف الجوسقي قال :
 حدثنا يحيى بن يحيى قال : حدثنا عُبَيْدُ بْنُ زُبَيْدٍ ، عن العلاء بن المسيب ، عن عمرو
 ابن مرة ، عن طلحة بن زيد الأنصاري ، عن حذيفة قال : قام رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ليلة من رمضان في حجرة من جرائد النخل فَأَنْضَى عَلَيْهِ دَلَوًا مِنْ مَاءٍ ثُمَّ
 افْتَتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَلَكُوتِ ، وَذُو الْجَبَرُوتِ ، وَالْكَبِيرُ ، وَالْعَظِيمُ ،
 ثُمَّ افْتَتَحَ الْبَقْرَةَ . فقلت في نفسي اقرأ المائة ثم يركع ، فجاوز . فقلت في نفسي
 يقسمها بين الركعتين ، فجاوز . فقلت يختمها ثم يركع ، فختمها ثم أخذ في آل عمران
 فختمها ثم ركع فقال : سبحان ربّي العظيم ، يرددها في ركوعه نحواً من قيامه ؛ ثم
 رفع رأسه فقال : سمع الله لمن حمده ، اللهم ربنا لك الحمد ، يرددن نحواً من قيامه .
 ثم سجد فقال : سبحان ربّي الأعلى ، يرددن نحواً من قيامه . ثم جلس كذلك ،

ثم قام فصلى الأربع ركعات حتى جاء بلال إلى الغداة . وليس يمكن الاتيان على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرأ سورة كذا في صلاة كذا نحو ما روى أبو الأحوص عن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصبح يوم الجمعة (س ٣٢) : الم تنزيل ، و (س ٧٦) هل أتى على الإنسان . وروى أن عمر خرج يوم عيد فقال : يا أبا واقد : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في هذا اليوم ؟ [قال :] (س ٥٠) قاف و (س ٥٤) اقتربت . وعن النعمان بن بشير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين والجمعة (س ٨٧) سبح أسم ربك الأعلى ، و (س ٨٨) هل أتاك حديث الغاشية ، فإذا اجتمع العيدان في يوم قرأ بهما .

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (س ٣٨) ص ، فسجد فيها . وعن قتادة ، عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن (س ٣٦) يسن ، ومن قرأ يسن كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات .

وعن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة (س ٢) وفيها آية هي سيدة آى القرآن وهى آية الكرسي (س ٢٥٥ آ ٢) .

وعن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . من قرأ (س ٤٤) حم الدخان ، في ليلة أصبح يستغفر له ألف ملك .

وعن أبي الزبير ، عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ (س ٣٢) الم تنزيل ، و (س ٦٧) تبارك الذى بيده الملك .

وعن البراء بن عازب قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف (س ١٨) ، وإلى جانبه حصان مربوط بشطينين فتغشته سبحانه فجعلت تدنو وتدنو وجعل

فرسه ينفر فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال : تلك السكينة نزلت للقرآن .

وعن أسيد بن حضير أنه قرأ من الليل سورة البقرة (س ٢) فإذا هو مثل الظلة فيها أمثال المصاييح عرج إلى السماء حتى مر بها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : تلك الملائكة أتت لصوتك .

وقد ذكرت حديث ابن مسعود انه قال : لقد أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وسبعين سورة من فمه إلى فمي ، وإن زيدا غلام في الكتاب . أخبرنا به منصور قال : حدثنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا أبو الشعثاء قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا مولك ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بذلك .

قال : وأخبرنا منصور بن العباس ، قال : حدثنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا أبو عمار الحسين بن حارث قال : حدثنا علي بن الحسين قال : حدثني أبي ، قال : حدثني منصور ، عن سفيان قال : بينما نحن جلوس عند عبد الله إذ جاء نهيك ابن سنان فقال : يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف آياء أم ألف ؟ (س ٤٧ آ ١٥) « مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ » أو غَيْرِ يَاسِنٍ ؟ فقال : أو كل القرآن قد أحصيت غير هذا ؟ قال : إني لأقرأ المفصل في ركعة . قال : فغضب ثم قال : أهذا كهذا الشعر . لقد علمت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأهن كل سورتين في كل ركعة (س ٥٥) الرحمن ، و (س ٥٣) النجم ، و (س ٥١) الذاريات ، و (س ٥٢) الطور ، و (س ٥٤) اقتربت الساعة ، و (س ٦٩) الحاقة ، و (س ٥٦) الواقعة ، و (س ٦٨) نون ، [و] (س ٧٩) النازعات ، و (س ٧٠) سأل سائل ، و (س ٧٤) المدثر ، و (س ٧٣) المزمل ، و (س ٨٣) المطففين ، و (س ٨٠) عبس ، و (س ٧٦) هل أتى على الإنسان ، و (س ٧٥) لا أقسم بيوم القيامة ، و (س ٧٧) المرسلات ، و (س ٧٨) عم يتساءلون ،

و (س ٨١) إذا الشمس كورت ، و (س ٤٤) حمّ الدخان .

قال ولم تذكر هذه الأخبار استناداً إليها في أن هذه السور قد كانت معروفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورة في أصحابه ، إذ اليقين بذلك أقوى وءاكد من أن نحتاج فيه إلى نقل الأخبار بأسانيدها ، بل هو الأمر الظاهر المشهور والمنقول على سبيل التواتر الممتنع من أن يعتوره شك أو يخالج^(١) فيه ريب . لكننا ذكرنا هذه الأحاديث عروضاً لما عسى يتسلى به الملحد من بعض ما تقدمت روايتنا له في حديث الزهري عن عبيد بن السباق ، والأمر في ذلك على ما وصفناه من شأن السور ومعرفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وقراءتهم لها في صلاتهم ، وقيامهم بها طول ليالهم على ما أخبر الله عز وجل في قوله (س ٣٢ آ ١٦) « تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ » . وقوله تعالى (س ٥١ آ ١٧) « كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ » . وقوله تعالى (س ١٧ آ ٧٩) « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ » . وليس يمكن ذلك إلا بأن تكون السور معروفة منظومة ممتنعة من أسباب الريب ودواعي الشك ، على ما قال الله تعالى (س ٢٢ آ ٢) « أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ » .

ومن المشهور الذي لا يجهل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقام من صلى التراويح بالناس في ليالى رمضان وأمره أن يقرأ في الركعة الواحدة نحواً من عشرين آية فكان يحى القرآن في الشهر مرتين . ومعلوم أن ذلك لم يكن من المصحف الذى كتبه زيد ، لأن المصاحف لم تنسخ منه حتى كان في خلافة عثمان فانتسخت المصاحف حينئذ والناس قبل ذلك كانوا يقرءون القرآن مما حفظوه .

قال : فإن قيل قد عرفت ما قد سردتموه من قولكم إن القرآن قد كان منظوماً مجموعاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قولكم في الحديث الذى

(١) كذلك في الأصل : والأفصح يخالجه

قدّمتم روايته عن الزهريّ عن عبيد بن السّباقي في جمع القرآن أيام أبي بكر ثم أيام عثمان .

قيل له : الوجه في ذلك عندنا أن القرآن قد كان بحملته معلوماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت السور معدودة لا يريب فيها أحد منهم . غير أنهم لم يكونوا قد جمعوها فيما بين الدّفتين ، ولم يلزموا القراءة توالى سورها ؛ فكان الواحد منهم يقرأ سورة البقرة (س ٢) ، ثم يقرأ النساء (س ٤) أو الأعراف (س ٧) أو نحو ذلك من غير ولاء للشّور بفروض توقف عليه . وذلك أن الواحد منهم إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتبها ثم خرج في سرية فنزل في وقت تغييه سور ، فإنه كان إذا رجع فأخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ويتبع ما فاتته على حسب ما يتسهّل له ، فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه . وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب ، على ما كان من عادة العرب في حفظها أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة . ومنهم من كان يكتبها في مواضع مختلفة من قرطاس أو عسيب أو لخاف على ما روى في الحديث ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جدّ المسلمين في حفظ القرآن ، وشدة تعهدهم له . فلا يرون أكثرهم حاجة إلى مصحف ينظر فيه . فلما أن مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبيله وجند المهاجرون والأنصار أجناداً فتفرقوا في أقطار الدنيا ، واستحرج القتل في بعضهم على ما روى في الحديث ، خيف حينئذٍ أنه يتطرق إليه ضياع ، فأمر أبو بكر رضي الله عنه بجمع السور بين الدّفتين على الِولاء الذي كان يحفظه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي حفظه أيّ في العرضتين الأخيرتين . وكان يحفظه زيد وغيره من المهاجرين والأنصار الذين كانوا أحدث عهداً بأخذ القرآن وحفظه ، فكتبوا المصحف حينئذٍ وليس يقدر في الثقة بالقرآن أن كانت السور متفرقة على غير ولاء بعد أن كانت معروفة عند عامتهم ، محفوظة عن أن يزداد فيها أو ينقص . كما أنه ليس يقدر في قصائد زهير ، والأعشى

وغيرهما من الشعراء أن تكون قصائدهم متفرقة ، ثم تجمع في دفتين فتقدم قصيدة وتؤخر أخرى . ألا ترى أن قارئاً لو ابتدأ بسورة الأنعام (س ٦) فقرأها ، ثم قرأ بعدها سورة الكهف (س ١٨) ، ثم سورة البقرة (س ٢) . كذلك يفرق في القراءة بين السور ، لم يكن عليه حرج في ذلك ، ألا ترى أن المصلي لا يلزم في صلاته أن يوالى بين السورتين يقرأهما في الركعتين على ما هو في المصحف ؟ لكنه إن قرأ في الركعة الأولى من أول المفصل ، وفي الثانية من آخره لم يتوجه إليه عتب . فعلى هذه السبيل كانت السور تقرأ على غير ولاء ، وهي منظومة الآيات ، مصونة عن الزيادة والنقصان ، والتبديل والتحريف . ثم أنها كتبت في عهد أبي بكر رضى الله عنه على الولاء . ويدل على ما قلناه ، أن المصحف الذى ينسب إلى علي ، والذى ينسب إلى عبد الله^(١) ، لن يوجد في شيء منهما خلاف على المصحف الذى هو بين أظهرنا إلا في ترتيب السور أنفسها والآيات . فأنها هذه الآيات التى نقرأها بكلماتها وحروفها إلا أحرفاً لا تكاد تختلف باختلافها المعانى بمنزلة ما ذكر من مصحف عبد الله : (س ٢ آ ٢) « أَلَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ » بدل « ذَلِكَ الْكِتَابُ » من فاتحة سورة البقرة . وفيه (س ١٧ آ ٢٣) « وَوَصَّى رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ » بدل « وَقَضَى رَبُّكَ » وفيه : (س ١٧٠ آ ١٧٠) « وَالَّذِينَ مَسَّكُوا الْكِتَابَ » بدل « يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ » وفيه : (س ١٠٩ آ ١) « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لَا أُعْبَدُ مَا تَعْبُدُونَ » بدل « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ »^(٢) . وإنما اختلف ذلك في العرضين على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

قال : وأخبرنا أبو على قال : وحدثنا أبو الحسين محمد بن حامد قال : حدثنا عبد العزيز . قال : حدثنا أبو عبيد قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرني يوسف بن ماهك قال : إني لعند عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إذ جاء

(١) يعنى عبد الله بن مسعود

(٢) انظر Materials ص ٢٥ ، ٥٤ ، ١٣٣ ، ١١٢ .

أعرابي فقال : يا أم المؤمنين ، أريني مصحفك . قالت : لم ؟ قال : لعلي أولفُ القرآن عليه فإنما نقرؤه غير مؤلف . قالت : وما يضرك أيَّ قرأت قبل ؟ إنما أنزل أول ما أنزل من القرآن سور المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا أناب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لانتشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا ، ولقد نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارته بمكة ألعب (س ٥٤ آ ٤) « وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ » ، وما نزلت سورة البقرة (س ٢) إلّا وأنا عنده . قال فأخرج المصحف فأملت عليه السور . قال أبو علي : هذا حديث ابن حامد .

وفي حديث إسحاق . ولو نزل لا تُربُّوا لقالوا : لا ندع الرِّبَا ، بالراء والباء . وفي إسناده أيضاً بين ابن جريج ويوسف بن مَاهَك عطاء . أولاً ترى أنه اكتفى بإملاء السور عليه إذ لم يكن ماعنده وما في مصحف عائشة خلاف إلا في توالي السور ، وقد قالت له عائشة : وما يضرك أيَّ قرأت قبل ؟ ثم أخبرت أن نزول القرآن قد كان على ماهو أوفق لمصالح أولئك القوم الذين نزل فيهم ، ثم كان تأليفه على ماهو أوفق لمن بعدهم ممن مرتت نفوسهم على شريعة الإسلام ، وكان ذلك بما أوحى الله عز وجل إلى نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام ، ويدل على ماقلناه أيضاً أنه لولا السور والآيات قد كانت معروفة عند عامة الصحابة رضي الله عنهم لقد كان يجب أن يقع بين النفر الذين كتبوا المصحف اختلاف فاحش في نظمها ، وكذلك في آيات منها أو في أكثرها ، ولظهر ترفعهم في ذلك إلى عثمان كما ترفعوا في التابوت والتابوه ، ولتكلمت الصحابة في كثير من الآيات هل هي من القرآن أم لا . ولسنا نحد اختلافاً نقل عنهم في شيء مما بين الدفتين بتغير كلمة عن مجراها ، أو بنقل آية من موضعها ؛ وإنما اختلفوا في دعاء القنوت ، ثم لم يثبتوه في المصحف . وكان أبي بن كعب يظن أن قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لو أن لابن آدم واديين من ذهب لمتنى إليهما ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن

آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب ^(١) « هو من القرآن ، إذ كان قد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرأها ويذكر أنها مما قال الله عز وجل ، فظن أبي أنه من القرآن ولم تكتب بعد في المصحف .

وكان ابن مسعود لم يكتب المعوذتين وفاتحة الكتاب في مصحفه لثقته بأنها لا تُنسى ، وإنما يكتب القرآن ليستذكر بالنظر فيه حيث لا يخشى النسيان ، ولا يحتاج فيه إلى الاستذكار فلا حاجة إلى كتابته .

قال : فإن قيل أو ليس قد روى في الحديث الذى قدمتموه أن قوله تعالى : (س ٩ آ ١٢٨) « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » الآيتين ، وقوله تعالى (س ٣٣ آ ٢٣) « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ » قد كتبوها بشهادة خزيمه أو أبي خزيمه؟ قلنا : بلى . وليس معنى ذلك أنهم أخذوا الآيات منه ، بل أنها قد كانت معروفة عندهم ، ولكنهم لم يحدوها مكتوبة إلا عند هذا الرجل ، فلما وجدوها عنده كتبوها عنه ، ولو شاؤا لكتبوها عن حفظهم ، أو لا ترى أنها لولا أنها كانت معروفة عندهم لم يفقدوها ، وكيف يفقدون ما لا يعرفون هل هو أصلا ولكن الحافظ للقرآن قد يحتاط فيطلب مصحفاً يكتب منه . مع أن عمر رضى الله عنه قد اشتهر عنه الخبر لشدة إنكاره على من يكتب المصحف عن ظهر قلبه لما اختير الاحتياط ومنع الناس من المساهلة فيه .

ولقد أخبرنا منصور بن العباس قال : أخبرنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، وابن أبي شيبة ، ومحمد بن المثنى قالوا : حدثنا أبو معاوية قال : حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال : جاء رجل إلى عمر وهو يعرفه ، فقال : جئتكم يا أمير المؤمنين من الكوفة وبها رجل يملئ المصاحف عن ظهر قلبه فغضب - زاد ابن أبي شيبة وابن المثنى - وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبي

الرَّجُل ، قالوا : ثم قال : من هو ويحك ؟ قال : عبد الله بن مسعود . قال : فانظروا عنه الغضب ، قال : ويحك ما بقى من الناس أعلم بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يَسْمُرُ عند أبي بكر الليلية ، كذلك فى الأمر من أمر المسلمين ، وأنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجنا معه ، فإذا رجل قائم يُصَلِّي فى المصلى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قراءته فما كدنا نعرفه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد . قال : وجلس الرجل يدعو وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سل تعطه . فقلت : لأغدوّن إليه فلا بُشرنه فغدوتُ لأبشره فوجدتُ أبا بكر قد بشره ، ولوالله ما سأبقته إلى خير قط إلا سبقتنى إليه .

قال الشيخ رحمه الله : واستنكار الرجل ذلك من أوكّد دليل على أن العامة فى ذلك الزمان كانت تستنكره ، وكذلك تخصيصه عبد الله بذلك دليل على امتناع سائرهم من مثله . فمن هذا الوجه طلبوا النسخ الآيتين من يكتبونهما منه ويحتمل أن لم يحفظهما أول الكتاب ، ولكنهم عرفوها حتى أنه لو زيد فيهما حرف أو بدل لأنكروه .

وكذلك تجد أكثر المسلمين من قراء القرآن يعرفون السور والآيات ، حتى أنهم لو وجدوا فى المصحف حرفاً زائداً لأنكروه . ولذلك لو بدل حرف من موضعه إلا أن يكون فيما يجرى مجرى التقديم والتأخير ، أو كان بمنزلة قولهم : « عَذَابٌ عَظِيمٌ » بدلاً من « عَذَابٌ أَلِيمٌ » ، أو قوله « سَمِيعٌ بَصِيرٌ » بدلاً من « عَلِيمٌ حَكِيمٌ » أو نحو ذلك . فإن هذا قد يشبهه على من لا يحفظ القرآن ظاهراً .

فأما إبدال القرآن بما ليس فيه فليس يخفى على من عرف القرآن وقرأه وإن لم يحفظه عن ظهر قلبه . فلذلك ما كانوا يكتبونه من الرقاع والخاف ، ويأخذونه بشهادة رجل أو رجلين وإنما ذلك عرفوه معرفة لا يعتريهم فيها ريب له لأنهم

استوثقوا فيما ذكرناه من الألفاظ التي تجري مجرى إبدال تواصل الآيات بعضها ببعض على وفاق من المعنى . وكذلك تجد الواحد منا إذا رابه شيء من حروف المصحف سأل عنه واحداً من الحفاظ أو اثنين ، أو نظر في مصحف أو مصحفين ثم يجزمه على ما ثبت عنده ، ولسنا نجد من يرتاب في كلمة من قصيدة امرئ القيس إنها لعلها من القرآن ، وإنما يقع الارتياب بما يجري مجرى نقل حرف إلى موضع حرف حيث يتقارب المعنى فيه .

والذي يدل على ما قلناه أيضاً ما حدثنا به أبو منصور الأزهرى إملاء قال : حدثنا محمد بن إسحاق السَّعْدِيُّ قال : حدثنا يحيى بن الربيع قال : حدثنا سفيان أبو عيينة عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يخطب على المنبر : إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأنزل معه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم^(١) فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، وإني أخاف والله أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا لترك فريضة أنزلها الله ، ألا وإن الرجم حق على من زنى إذا أحصن وقامت البينة ، أو كان الحمل والاعتراف . ثم قد كنا نقرأ « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم ، أو أن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم »^(٢) .

قال وحدثنا أبو علي أحمد بن محمد بن يحيى قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم البُستى قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن ابن المسيب أن عمر بن الخطاب قال : أيها الناس : قد سُنَّتْ لكم السنن ، وترَكْتُمْ على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً ، وآية الرجم فلا تضلوا

(١) انظر الإتيان للسيوطى ص ٥٢٤ - ٥٢٨

(٢) انظر تاريخ الطبرى ١ : ١٨٢١ .

عنها فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا ، فلا تقولن لا نجد حدين
في كتاب الله فإنها قد أنزلت وقرأنا « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » ،
ولولا أن يقال زاد عمر في كتاب الله لكتبها بيدي . وَوَجْهُ الدلالة من هذا أنهم
إذا لم يكتبوا آية الرجم مع شهادة عمر بها ومع معرفتهم بأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجم فإن الرجم من فرائض الله ، ولم يكتبها عمر بيده مَهْمَا قطع القول
بأنها آية أنزلها الله ومع أنه أمير المؤمنين فكيف يظن بهم أنهم كتبوا آية في
المصحف بشهادة رجل أو رجلين لولا أن الوجه في ذلك ما قلناه ، مع أن مدار
حديث جمع القرآن على الزهريّ وليس يعرض خبر الواحد على النقل المشهور
المتعارف والذي لا يجهله وليّ ولا عدو .

* * *

الفصل الثالث

في بيان أن القرآن تكلم الله سبحانه به

على هذا الترتيب الذي هو في أيدينا اليوم لاعلى ترتيب النزول

وإذ قد بينا كيفية جمع المصاحف والسبب المؤدى إلى تأليفها والرد على الطاعن فيها ، فبنا أن تكلم أن الصحابة رضى الله عنهم لم يقدموا شيئاً آخره الله ، ولا أخروا شيئاً قدمه الله ، ولم يؤلفوه من ذات أنفسهم بل بتوفيق كان لهم فيه ، وقد تقدم في الفصل الثانى بعض ذلك إلا أنا لم نبلغ منه موضع الكفاية هناك .

والدليل على أن ما بين الدفتين هو القرآن الذى أنزله الله عز وجل على المصطفى صلى الله عليه وسلم . وأنه لازيادة فيه ولا نقصان منه ، فهو أن المسلمين كافة نقلوا من لدن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا خلفاً عن سلف ، وآخرًا عن أول نقلاً مستفيضاً منتشرًا متواترًا . إن ما بين الدفتين هو جميع ما أراد الله عز وجل بقاءه في هذه الأمة ، وهو القرآن العظيم الذى جعله الله معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ودلالة على صدقه ، وثبوت نبوته لازيادة فيه ولا نقصان منه ، وهم قوم لا يجوز عليهم الإجماع على نقل ما لا أصل له ، ولا التواطؤ على الإخبار عن باطل ، ولا على كتمان ما شاهدوه لكثرتهم وخروجهم عن الحصر ، وبمثل هذا النظر عرفنا النبوات والشرائع . ولئن جاز لنا الشك فيما نقلوه إلينا من القرآن لكان ذلك مؤدياً إلى الشك فيما نقل إلينا على ألسنتهم من الشرائع والأحكام ، ونعوذ بالله أن يرتاب موحد في شيء منه .

والذى يؤكد هذا النقل أيضاً إخبار الله عز وجل أنه تولى حفظه ، وضمن حراسته ، فقال تعالى (س ١٥ آ ٩) : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » . ولا يجوز أن يقع خبر الله بخلاف مخبره ، تعالى عن ذلك علواً

كبيراً . قال عز وجل (س ٤١ آ ٤٢) : « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ » . وأيضاً فإنه وفرّ دواعي هذه الأمة على نقل القرآن إلينا وتولى حراستهم ، ووفق قُرّاءهم لحفظه وتلقيه الناس حتى نقلوا إلينا المهرزة الثقلية والخفيفة ، وميزوا بين إطالة المشبعة واللطيفة ، واستقصوا في حفظ الاشمام على المعلمين ، ففرقوا بين الاشمام وروم الحركة ، وهو صفة لبعض الحركات على الحروف ، وغير ذلك من الدقائق التي يطول الكتاب بذكرها ، فكيف يجوز أن يتوهم على من هذه صفتهم في التوفر على حفظ القرآن انهم غفلوا غفلتهم عن سور كثيرة وآيات ذوات عدد أن تقع إليهم ، وإتّما وقع إلى إمام الزوافض بنواحي جبال أصفهان على حسب ما يدعونه ويتخرونه إن هذا لبعيد مستجمل في مُستمرّ العادة جدّاً .

وأما الدليل على انه في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي في أيدينا ، وانه تعالى أنزله جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم كان يُنزل منه الشيء بعد الشيء على حسب الحاجة إليه ، فهو قول الله تعالى (س ٧٥ آ ١٧ - ١٩) : « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » . وهذا ادلّ الدليل على أن الله عز وجل تولى تنزيله وجمعه ونظمه ، وأنزله على المصطفى صلوات الله عليه وسلامه على لسان جبريل عليه السلام ، وعصمه من السهو والخطأ ، والتحريف فيه . ويدلّ عليه حديث رواه أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريف بمرجان قال : إن أبا خليفة الفضل بن الحباب الجحفيّ حدثهم قال : حدثنا عثمان بن المهيم المؤذن قال : حدثنا عوف ، يعني ابن أبي جميلة ، عن يزيد الرقاشي ، عن ابن عباس ، قال : قلت لعثمان : ما حملكم على أن قرتم بين الأنفال (س ٨) وبراءة (س ٩) من الميآت ، والأنفال من المثاني فقرتم بينهما ؟ . فقال عثمان : كان إذا نزلت السورة من القرآن دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض من يكتب له فيقول : ضعها في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ،

فأنزلت الأنفال بمكة ، وبراءة بالمدينة من آخر القرآن ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخبرنا أين نضعها ، فوجدت قصتها شبيهة بقصة الأنفال فقرنت بينهما ولم نكتب بينهما ، سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، فوضعتها في السبع الطوال . وفي غير هذه الرواية ، كان إذا نزلت عليه الآية من السورة دعاً بعض من يكتب له فيقول : ضعها في موضع كذا وكذا من السورة . وهذا من أوضح الأدلة على أن هذا الترتيب الذي رتبته الله عليه . ولأجله كان صلى الله عليه وسلم يدهم على موضع السور من القرآن ، والآية من السورة ، ليكتب ويحفظ على نظمه وترتيبه .

ويدل عليه أيضاً حديث روى عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : آخر ما نزل من القرآن (س ٤ آ ١٧٦) « يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ » . قال أبو بكر بن عياش : وأخطأ أبو إسحاق لأن محمد بن السائب روى عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : آخر ما نزل من القرآن : (س ٢ آ ٢٨١) « وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ » الآية . وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة .

والذي يؤيد ما ذكرناه : حديث رواه الحسين بن عبد الله بن أيوب المخزومي قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ختم السورة حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم . وهذا أيضاً من أدل الدليل على أن ترتيب السور التي في أيدينا هو ما كان عليه في اللوح المحفوظ .

وتدل عليه أيضاً الأخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم في تسميته سورة : الحمد لله رب العالمين ، فاتحة الكتاب ، فلولا أنه صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بأن يرتبوا هذا الترتيب عن أمر جبريل عليه السلام ، عن الله عز وجل ، لما كان لتسميته هذه السورة فاتحة الكتاب معنى ، إذ قد ثبت بالإجماع أن هذه السورة ليست

بفاتحة سور القرآن نزولاً فثبت أنها فاتحته نظماً وترتيباً وتسكماً .

ويدل عليه أيضاً : إجماع أكثر أهل مكة على التكبير عقيب كل سورة من سورة والضحى (س ٩٣) إلى آخر القرآن . ومعلوم أن هذه السور مختلفة النزول . وذلك : أن أول سورة أنزلت (س ٩٦) : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » أو سورة المدثر (س ٧٤) .

ويروى عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت جابر بن عبد الله : أى القرآن نزل أولاً ؟ فقال (س ٧٤) « يا أيها المدثر » . فقلت له : إنهم يزعمون أن أول ما نزل من القرآن (س ٩٦) : « إقرأ باسم ربك » . فقال جابر : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى القرآن نزل أولاً ؟ فقال : كنت أهبط من حراء ، فسمعت صوتاً فنظرت أمامي فلم أر شيئاً ، فالتفت ورأى فلم أر شيئاً ، ونظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فرأيت الملك ، فأتيت خديجة فقلت : دثروني . دثروني . فأنزل الله تعالى (١٧٤ آ) « يا أيها المدثر » فكان أول القرآن نزولاً .

وروى عن أبي قرة ، عن أبي رجاء قال : كان أبو موسى يطوف علينا في هذا المسجد - مسجد البصرة - فيقعدنا حلقاتاً ، فيقرئنا القرآن ، وكأني أنظر إليه بين ثوبين له أبيضين ، وعنه أخذت هذه السورة (س ٩٦) « إقرأ باسم ربك الذي » . وكانت أول سورة أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ، يدل ذلك على أنهم حفظوا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الترتيب ، وأنهم عدوا من سورة والضحى « س ٩٣ » إلى آخر القرآن على هذا الترتيب الذي في أيدينا ، وأن آخر القرآن سورتا المعوذتين (س ١١٣ و ١١٤) ، ويدل عليه إجماع المسلمين على جواز قراءة القرآن على اختيار هؤلاء الأئمة السبعة ، وأسانيدهم متصلة لعثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب على هذا الترتيب الذي في أيدينا ، فدل على أن

جماعة الصحابة رضى الله عنهم حفظوا القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الترتيب الذى فى أيدينا ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم حفظه عن جبريل عليه السلام على هذا الترتيب الذى بأيدينا ، وإنه لم يكن بينهم خلاف فى شىء من ذلك ، إذ لو كان بعض الصحابة من هؤلاء الذين ذكرناهم يخالف أصحابه فى ترتيب أو تقديم أو تأخير أو زيادة أو نقصان ، لنقل ذلك إلينا عنه ، وفى ترك النقل بخلاف ما ثبت عنهم أدل الدليل على صحة ما ذكرناه ، وبالله التوفيق .

وأما الذى يدل على أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر ، فهو قول الله تعالى (س ١٩٧ آ ١) « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » . ومعلوم أنه لم ينزله كله إلى الأرض فى ليلة واحدة ، ولكنه إلى السماء الدنيا ، ثم أنزل منه الشىء بعد الشىء كما قال تعالى : (س ١٧ آ ١٠٦) « وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ » وقال عز وجل : (س ٢٥ آ ٣٢) « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً » . فدل على أنه لم ينزله إلى الأرض جملة واحدة ، وإلا لم يكن لقول الكفار هذا جواب . وقد قال عز وجل جواباً لهم : (س ٢٥ آ ٣٢) « كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً » . أى أنزلناه كذلك ليكون أجدر أن يثبت فى فؤادك ، ويدلك عليه حديث ذكره منصور بن العباس الفقيه ببوسنج أن الحسن بن سفيان أخبرهم قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال : حدثنا عباد بن العوام ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نزل القرآن جملة من السماء العليا إلى السماء الدنيا فى رمضان ، وكان الله تعالى إذا أراد أن يحدث فى الناس شيئاً أحدثه . يعنى ، والله أعلم : أن الله عز وجل كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة عند الحاجة إليها ومعرفة حكمها ، والوقوف على ما أراد الله تعالى من خلقه عند حدوث تلك الحوادث التى كان ينزل عقيبها القرآن .

وأما الدليل على أن معنى جمع أبى بكر الصديق رضى الله عنه القرآن فى

المصحف هو جمعه في مصحف واحد بعد ما كان مفرقاً في أيدي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين صيانته له ، وأماناً من ذهابه ونسيانه بذهاب أهله .

حدث الزهري عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت حَدَّثَهُ قال : أُرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، وذكر الحديث بتمامه ، وهذا حديث صحيح ذكره البخاري في جامعه الصحيح ، عن موسى بن اسماعيل ، عن إبراهيم بن سعد ، وفيه بيان شاف ، وأن السبب الذي دعا أبا بكر رضي الله عنه إلى جمع القرآن في المصحف ما ذكرناه . وقول زيد بن ثابت : فقدت آخر سورة التوبة (س ٩) ، دليل على أنه كان محفوظاً عندهم على هذا الترتيب الذي ذكرناه ، ثم الذي يؤكد جميع ما ذكرناه أنه على الترتيب الذي في أيدينا إجماع قراء الأمصار على تلقينه^(١) على هذا الترتيب ، وأسانيدهم متصلة بنقل العدل عن العدل إلى النبي صلى الله عليه وسلم . والذي يؤيده أيضاً حديث الزهري ، عن خارجة ، عن زيد بن ثابت أنه سمع زيد بن ثابت يقول : فقدت آية من سورة الأحزاب (س ٣٣) حين نسخت المصحف ، وقد كنت أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها . فالتصفتها فوجدتها عند خزيم بن ثابت الأنصاري : (س ٣٣ آ ٢٣) « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ ... » فألحقها في سورتها في المصحف . وهذا أيضاً حديث صحيح رواه البخاري ، عن موسى بن إسماعيل ، عن إبراهيم ، وفيه أيضاً دليل على ما ذكرناه في الآية الأخرى ؛ وفيه أيضاً دلالة على أنه كان قبل أن جمعه عثمان في المصحف على الترتيب الذي في أيدينا ؛ لأن زيدا ذكر في الخبر : اني ألحقت قوله تعالى « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ » في سورتها في المصحف . وروى شبابة ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مُصْعَب بن سعد قال : لما كثرت اختلاف الناس في القرآن قالوا : قراءة ابن مسعود ، وقراءة أبي ، وقراءة سالم مولى أبي حذيفة ، قال : لجمع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال : إني رأيت

(١) أضيف في الأصل : وتلقيقه

أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت ، ثم أبعث بها إلى الأمصار . قالوا : نَعَمْ مارأيت . قال : فأى الناس أعرب ؟ قالوا : سعيد بن العاص . قال : فأى الناس أكتب ؟ قالوا : زيد بن ثابت كاتب الوحي . قال : فليُملل سعيد وليكتب زيد بن ثابت . قال : ثم كتب مصاحف فبعث بها إلى الأمصار . قال : فرأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون : أحسن والله عثمان .

وفى هذه الرواية البيان الشافى أن عثمان جمع الناس على حرف واحد باتفاق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإجماع منهم ورضاً بما فعله .

وأما المصاحف التى أمر بتحريقها فإنها ، والله أعلم ، كانت على هذا النظم أيضاً ، إلا أنها كانت مختلفة الحروف على حسب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم سوغ لهم فى القراءة بالوجه ، إذا اتفقت فى المعنى وإن اختلفت فى اللفظ ، ثم بان لنا باتفاقهم على هذا الوجه الواحد أن الإباحة التى كانت فى قراءة القرآن من اختلاف اللفظ بالكلمة إذا اتفق المعنى قد نسخ ، وأنه لا تجوز القراءة بما يخالف هذا المصحف المتفق عليه .

وروى عن علقمة بن مرثد ، عن العيزار قال . لما دخل المختار بن أبى عبيد الكوفة كنأ أيها الحى فيمن تسرع إليه ؟ فأتانا سويد بن عطية إلى مسجدنا . فقال : يامعشر تنع ، يعنى اسم قبيلة : إن لكم قرابة وجواراً وحقاً ، وأنه قد بلغنى تسرعكم إلى هذا الرجل ، وإنى محدثكم بما سمعته منه ، كنت أسير بين مكة والمدينة فأحسستُ قضيباً بين كتفى ، فالتفتُ فإذا المختار فقال ياشيخ : ماتقول فى هذا الشيخ ؟ فقلت : أى شيخ ؟ قال : على بن أبى طالب . قلت : أحبه وأتولاه بسمعى وبصرى ، وقلبي ، ولسانى ، قال : وإنى أبغضه بسمعى وبصرى ، وقلبي . فقال القوم لسويد : أبيت إلا تثبيطاً عن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرة لنَعَثِل^(١) حرق المصاحف . فقال : أما إذا قلتم حرق المصاحف فوالله لأحدثكم

(١) وهذا اسم أطلقوه على عثمان للتحقير . ومعناه ضيع .

بحديث سمعته من علي بن أبي طالب رضى الله عنه - سمعت علي بن أبي طالب يقول : يا معشر الناس اتقوا الله عز وجل وإياكم والغلو في عثمان وقولكم : حرق المصاحف ، فوالله ما حرقها إلا عن كلامنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . قال : ماترون في المصاحف ؟ فإن الناس قد اختلفوا في القراءة حتى أن الرجل يقول للرجل : قراءتي خير من قراءتك ، وقراءتي أفضل من قرائتك ، وهذا شبيه بالكفر . قلنا : فما الرأي عندك يا أمير المؤمنين ؟ قال : الرأي عندي أن يجتمع الناس على قراءة فإنكم إذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافًا ، قلت : الرأي رأيك يا أمير المؤمنين . ووالله لو كنت الوالى وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذى فعل عثمان . فقال القوم لسويد : بالله الذى لا إله إلا هو أسمعته هذا من فى علي بن أبي طالب ؟ فقال سويد : والله الذى لا إله إلا هو لسمعت هذا من علي بن أبي طالب . وفى هذا الحديث دليل على تصويب عثمان فى تأليفه وتحريقه وإن ذلك كان باتفاق من الصحابة رضى الله عنهم .

فإن قيل : كيف صح قولكم إن القرآن مرتب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ؟ وإن الصحابة لم ترتبه بأنفسها ؛ وقد انتشرت الأخبار أن أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم (س ٩٦) « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » وقوله (س ٧٤) « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » وقالوا : إننا وجدنا مصاحف عتقا مفرقة فى البلاد ، منسوبة إلى عبد الله بن مسعود على خلاف هذا الترتيب الذى فى أيدينا ، فكيف يجوز مع هذا انخالات الظاهر أن يدعى أن هذا الترتيب متفق عليه .

قلنا : إنه قد روينا فيما تقدم عن ابن عباس أنه قال فى قوله تعالى (س ٩٧ آ ١) « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » ، يعنى أن الله عز وجل أنزله جملة إلى السماء الدنيا ، ثم كان ينزل منها نجوماً السورة بعد السورة ، والآية بعد الآية على حسب الحاجة إليه وإلى معرفة أحكامه ، وتعليمه وترتيبه ، ومعرفة موضع كلماته . وسوره . ومثال هذا فى الشاهد أن تعلم المبتدئ بيتدئ بتلقيه من أول

القرآن ، وربما يبتدىء من آخره ؛ وقد يبتدىء من وسطه سُورًا متفرقةً من القرآن على حسب رغبة المبتدئ وحرصه واحتياجه إلى تعلمه ؛ ثم لا تأمره بأن يحفظ على هذا الترتيب الذي لُقِنه ، بل تأمره بأن يضع كل سورة منها في موضعها عند الحفظ والجمع والدراسة والتلاوة . كذلك كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة على حسب الحاجة كما تقدم عن ابن عباس وأبي ابن كعب . يدلُّ هذا الذي ذكرنا أن مصاحف كثيرة قد وجدت وهي متفقة غير مختلفة بحمد الله ومنه .

وقد روى عن محمد بن كعب القرظي قال : رأيتُ مصاحف ثلاثة : مصحفًا فيه قراءة ابن مسعود ومصحفًا فيه قراءة أبي ، ومصحفًا فيه قراءة زيد ، فلم أجد في كل منها ما يخالف بعضها بعضًا . وهذه الحجج كلها نيرة دالة على صحة ما أنبأنا عنه ، وبطلان ما ادعاه علينا المخالفون المعاندون .

وقال الشيخ محمد بن الهيصم رحمه الله : وليس يعرف لأبي مصحفٌ يخالف هذا المصحف إلا ما ينسبُ إليه بخبر الواحد دون الجمع الذي يلزم اليقين ، وإنما كانت قراءته هذه القراءة التي عليها العامة ، قال : وقد ذكر بعض مشايخنا رحمهم الله أنه رأى مصحفًا منسوبًا إلى أبي خالف ببعض حروفه حروف هذا المصحف ، لكننا لا نأمن أن يكون ذلك من جهة بعض من يحب الافتخار بالغريب ، فإن هذه بليّة قد أضرت بالدين ، وأخلّت بمصالح المسلمين ، وطرقت الملحدّين إلى الطعن في أركان الإسلام ، وسهّلت عليهم الشغب في أموره ، ولقد نرى من المفتئين نواب الملوك ، وعبيد أرباب الأموال ، وأبناء الدنيا إذا لم يجدوا للقرآن ، وعلوم الدين عندهم موقعًا فيتقربون إليهم بغرائب الكتب ؛ وإذا أعوزهم الغريب الذي يستدرع به أخذوا بعض الكتب المعروفة يزيدون فيها وينقصون ، ويقدمون ويؤخرون ، ويعنونونه بعنوان بديع ليتسببوا بذلك إلى استخراج شيء منهم ، فعلى هذا النحو لا يؤمن أحدهم أن يعتمد إلى مصحف فيقدم منه

سوراً ، ويؤخر أخرى ، ويحرف ألفاظاً . ثم يزعم أنه مصحف عليّ ؛ أو مصحف عبد الله ، أو مصحف أبيّ . وليس غرض البأس من ذلك إلا أن يحمله إلى بعض الملوك فيقول : إن خزانة مثلك يحِبُّ أن لا تخلو من نسخة من كل مصحف ، ليستخرج من حطامه شيئاً ولا يبالي مما كان من جنابة على الدين وأهله ، فمن سبيل العاقل أن لا يجعل نفسه عرضة الترهاتِ فتهوسه فإن الحق أبلغ ، والطريق منهج ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

قال : والذي عندي أن القوم لم يأمرؤا زيداً بأن يكتب القرآن على غرض كان له ؛ ولا على غرض كان لأبي بن كعب ، وإنما أمروه أن يكتب على القراءة الظاهرة المشهورة المعروفة التي سمعها الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها في المساجد والمشاهد ، ويقرأ بها الناس في آخر عمره عند ما انبسط الإسلام ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، دون التي قرأ بها قبل ذلك . وذلك أنه ليس في شيء من الروايات أنهم اشتروا عليه عرض أبيّ أو غيره .

فإن قيل : وليس في شيء منها أيضاً أنهم اشتروا قراءة العامة وما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم بآخره .

قلنا : إنهم لم يحتاجوا إلى هذا الاشتراط ، لأنهم علموا أن زيداً إنما حفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة المشهورة في الناس ، إذ هو إنما صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأخذ عنه بآخره لصغر سنه قبل ذلك ؛ إلا أن عرض أبيّ كان على التأليف الذي هو تأليف المصحف أوله فاتحة الكتاب ، ثم سورة البقرة ؛ وآخره سورة الناس ، على ما رواه في حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث ذكر فضل سورة بسورة من أول القرآن إلى آخره على هؤلاء الذي هو في مصحفنا ، كما نذكره في آخر هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

وكان الكثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً قد حفظوا منه تأليف السور ، فقد يجوز أن يكون زيد احتذى حذو أبي في تأليف السور ، وقد

يجوز أن يكون هو يحفظ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه أخبرني غير واحد عن الشيخ أبي سهل الأثماري رحمه الله قال : حدثنا محمد بن نضر الطالقاني قال : حدثنا محمد بن الفضل بن نبأثة ، قال : حدثنا يحيى بن إسحاق السَّالْحُونِي قال : حدثنا يحيى بن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شماس المهرى أخبره ، عن زيد بن ثابت قال : بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نُؤَلِّفُ القرآن من الرقاع ، إذ قال : طوبى للشام . قيل : يا رسول الله ولم ؟ قال لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها . وإذا قد كان هو يؤلف القرآن من الرقاع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبالحرى أن يكون قد حفظ تأليف السور منه ، ويجوز أن يكون أبو بكر وعمر أو غيرهما من الصحابة قد حفظ ذلك فاحتذى زيد حَدْوَهُ ، ولا يضر أن لا يكون تأليف السور عند عامتهم واحداً في الشهرة ، والكلام كله على ما بيناه في السور أنفسها ، فإن السور لو لم تكن مشهورة كان لا يصح التحدى بها والدعوة إليها . وكان لا يمكن إقامة الصلوات بها ، وكان تكون للملحد فيها مغمز أو يقول : فما يدريك إذا أنها كلام الله من غير زيادة فيه أو نقصان منه ؟ فأما إذ قد شهرت السور وعرفت فَلَيْتَن لَمْ يَعْرِف تَأْلِيفَهَا ، فليس يخل ذلك بشيء من أمر الدين ، ولا مغمز فيه لأحد من الملحدين .

وأما أبي في فضله ، رحمه الله ، وعلمه فأحد الأسباب التي يمكن أن يكون لأجلها لم يولوه ذلك ، هو أن تكون كانت به علة تمنعه في ذلك الوقت عن القيام بذلك من مرض أو شغل ، ويمكن أن تكون المعلوم عندهم عن أبي ، رحمه الله ، أنه وإن كان أقرأهم للقرآن ، فلم يكن أعرفهم بالكتابة ، وكان زيد أعرف بذلك منه ، ويمكن أن يكون زيد أحفظ لقراءة العامة من أبي ، وإن كان أبي يحفظ ما تلقفه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في عَرْضِهِ الذي عَرَضَ عنه خاصَّةً ، مع أن قوله صلى الله عليه وسلم : اقرأكم أبي ، ليس يُوجِبُ أن يكون اقرأ الصحابة جميعاً حتى

لا يكون أحد أقرأ منه ، فإن للكلام مخارج وأسباباً تدل السامعين بما يشاهدونه من الأحوال ويعرفونه من الأسباب على المراد ، وليس من غاب كمن شاهد ، ولا من عرف الأسباب والمقدمات كمن جهل ، فنحن إذا وجدنا الذين شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا قوله شفاهاً عدلوا في العمل إلى خلاف الوجه الذي يسبق إلى قلوبنا من ظاهر اللفظ ، وأجمعوا وأجمع جمهورهم على ذلك علمنا أن معنى الكلام ما ذهبوا إليه دون ما سبق إلى قلوبنا ، وإذا قد وجدنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدموا في القراءة زيدا ، وولوه كتابة المصحف ذلكنا ذلك على أنهم استرجحوه في القرآن ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال : أقرأكم أبي ، فإنه ذكره بالمتقبة التي كانت أفضل فيه بعد الإسلام وهي القراءة ، ولم يرد بذلك ترجيحه بها على جميع الصحابة ، لكن على الكثير منهم ، كما أنه لما قال : أصدقكم لهجة أبو ذر ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ ، فإنه لم يرد ترجيحهما على أبي بكر ، وعلي رضي الله عنهما في الصدق والعلم بالحلال والحرام . الا ترى أن الأمة صنفان : صنف هم أهل السنة ، وصنف هم الشيعة ، فلوسألتهم جميعاً عن أصدق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمهم بالحلال والحرام لقال السني أبو بكر ، وقال الشيعي علي .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : خير أهل الله عمر ، وأهل الله هم أهل مكة ، ولا أحد يزعم أن عمر خير أهل مكة ، لأنه لا أحد إلا ويفضل عليه ، إما أبا بكر وإما علياً .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يحىء معاذ يوم القيامة برتوة متقدما العلماء برتوة . فلم يرد بذلك تفضيله على جميع العلماء ؛ وكذلك ما قال : أقرأكم أبي ، لم يوجب تفضيله على جميع الصحابة ، ولا يمنع ذلك أن يكون زيد أقرأ منه ، وإن كان هو أقرأ من كثير من الصحابة ، وإن زيد بن ثابت وإن كان في حداثة من السن في جانب أكابر الصحابة ، فلقد كان من أكابرهم في

الفقه والرأى ، وكانت الرئاسة له بالمدينة فى القضاء والفتيا ، والقراءة والفرائض فى عهد عمر ، وعثمان ، وعلى إلى أن توفى سنة خمس وأربعين بعد وفاة على بخمس سنين وذكر عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال : كان عمر يوجه الناس فى البلدان فيقال له فى زيد بن ثابت فيقول ، لم يسقط على مكان زيد ولكن أهل البلد يحتاجون إلى رأى زيد .

قال : وأخبرنى أبو على أحمد بن محمد ، قال : حدثنا إسماعيل بن محمد البغدادي الصفار ، قال : حدثنا الرمادي ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : كان قضاة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة : عمر ، وعلى ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو موسى الأشعري ، وزيد بن ثابت . فكان قضاء عمر ، وأبن مسعود ، والأشعري يوافق بعضه بعضاً ، وكان يأخذ بعضهم من بعض ، وكان قضاء على ، وأبي يشبه بعضه بعضاً ، وكان يأخذ بعضهم من بعض . قال : وكان زيد يأخذ من على وأبي ما بدا له .

وروى عن بكير بن عبد الله الأشج أنه قال : جُل ما أخذ به سعيد بن المسيب من القضاء والفتيا من زيد بن ثابت ، وكان لا يذكر له قضاء ولا فتياً عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال فاين زيد بن ثابت ؟ عن هذا ، زيد أعلم الناس بما تقدمه ، ويقول : لا أعلم نزيد قولاً لا يعمل به أهل الشرق والغرب ، وأنه لتأتيني عن غيره أحاديث وعلم مارأيت احداً من الناس يعمل بها . قال الشيخ رحمه الله : أخبرنا أبو النضر ، قال : حدثنا الشيخ أبو سهل الانباري رحمه الله ، قال : أخبرنا أبو الوليد قال : حدثنا محمد بن سلمة ، عن أبي عبد الرحمن ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن أبي إسحاق ، عن مصعب بن سعيد قال : جلس عثمان بن عفان على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه فقال : ألا إن عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة سنة وأنتم تختلفون فى القراءة . يقول الرجل لصاحبه : والله ما تقيم قرائتك ، فأعزم على من كان عندد من القرآن شئ إلا جاء به . فجاء الناس بما عندهم ، فجعل يسألهم

على ذلك البينة أنهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : من أعرب الناس ؟ قالوا : سعيد بن العاص . قال : من أكتب الناس ؟ قالوا زيد بن ثابت . قال : فليُملَّ سعيد ، وليكتب زيد . فكتب مصاحف ففرقها في الأجناد . قال مصعب : فلقد سمعت رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : لقد أحسن عثمان .

قال رحمه الله : وإنما سأل البينة لما يمكن أن تشبهه من إقامة الحروف دون الآية والسورة اللتين لا يشتبهان ، وماذا يظن بعثمان بن عفان رضى الله عنه أنه مال إلى زيد بن ثابت ، وزيد لم يكن رجلاً من بنى أمية ، ولا كان لعثمان به علاقة نسب ، وإنما كان رجلاً من عرض الأنصار لولا الثبوت ، ولو قد أمر عثمان بكتابة المصحف ابن مسعود لكان لقائل أن يقول ، مال إليه لقوله : حيث ولى أمرنا خير من بقى . ولم قال : إذ كان ذلك قوة لشعبه ، أو أمر بذلك عبد الرحمن ابن عوف لقال قائل : ذلك لأنه اختاره للخلافة ، أو أمر به بعض بنى أمية لكان فيه مغمز . وكذلك أبو بكر ، وعمر رضوان الله عليهما حيث أمرا زيداً بذلك ، وأنه لم يكن له بهما اختصاص بوجه يوجب التهمة والله المستعان .

فإن قيل : كيف اعتمدتم حديث ابن عباس ، وتركتم حديث أبي ، وابن مسعود وغيرها . وقد كان أصغر منهم سنّاً وتعلم منهم بعض علومه .

قلنا : لأنا وجدنا ابن عباس قد بلغ من الشروع في علم التفسير والتأويل مبلغاً لم يبلغه أحد من الصحابة فمن بعدهم فيما علمناه ، وإن كان الأكثرون من أفاضل الصحابة وقد كانوا أكبر منه سنّاً وأكثر صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكثير منهم قد فضلوه في العلم وشرف المنزلة . غير أن الله عز وجل يختص كل واحد من عباده على حسب ما سبق من علمه فيه . وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

وقد كان رضوان الله عليه أتى من الذكاء ، والفهم ، وجودة القريحة ، وشدة

العناية في طلب العلم مالم يؤت أحد من أقرانه ، وامتدت أيامه إلى أن كثرت طلبّة العلم واحتاجت إليه الأئمة فانتشر علمه ، وعظمت بركته وأقر له أهل زمانه بالبراعة واعترفوا له بالسّبق .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي رحمه الله قال : أخبرنا أبو علي أحمد بن محمد بن يحيى قال : أخبرنا أبو جعفر محمد مُعَاذِ المَالِينِي قال : حدثنا الحسين ، هو ابن الحسن المروزي ، أخبرنا هُشَيْمٌ ، عن ابن بشير ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : كان عمر يأذن لأهل بدر ، ويأذن لى معهم . فقال بعضهم : أتأذن لهذا الصّبيّ معنا وفي أبنائنا من هو مثله ؟ فقال عمر : إنه من قد علمتم . فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم فسألهم عن هذه السورة (س ١١٠) : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ » . فقالوا أمر الله نبيّه إذا فتح له أن يستغفره ، وأن يتوب إلى الله . فقال لى ما تقول ؟ فقلت لعله لیس كذلك ؛ ولكن أخبر نبيّه بحضور أجله فقال : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ » ، فتح مكة ، « وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا » ، فذلك علامة موتك : « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ » ، إنه كان تَوَّابًا . فقال عمر : كيف تلوّموننى عليه بعد ماترون ؟

قال : وأخبرنا غير واحدٍ منهم : أبو العباس محمد بن محمد الأُتَمَارِيُّ قالوا : حدثنا الشيخ أبو سهل الأُتَمَارِيُّ رحمه الله قال : حدثنا عمر بن أحمد بن إسماعيل الشَّغَامِي قال : حدثنا خليل عن سالم البرّاد البصريّ قال : حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال : حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره فقال : اللهم علمه الحكمة .

قال : وأخبرنا منصور بن العباس قال : أخبرنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : أخبرنا المغيرة بن سلمة الخزوميّ قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد قال : حدثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عباس قال :

كان عمر إذا دعا الأشياخ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دعاني معهم فقال: لا تتكلم حين تتكلموا . فدعانا ذات يوم أو ليلة فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر ما قد علمتم ، التمسوها في العشر الأواخر وترأ في أي الترتونها ؟ فقال رجل برأيه : إنها تاسعة ، سابعة ، خامسة ، ثالثة . فقال لي : مالك لا تتكلم يا ابن عباس ؟ قلت يا أمير المؤمنين : إن شئت تكلمت . وقال : مادعوتك إلا لتتكلم ؟ فقلت : إنما أقول برأى . فقال : عن رأيك أسألك ، فقال : إني سمعت الله أكثر ذكر السبع ، فذكر السموات سبعاً ، والأرضين سبعاً ، حتى قال فيما قال : وما أنبت الأرض ، سبع . قال عاصم قال : أي ؟ فقلت له : كل ما قلت عرفته . فما تعنى بقَوْلِكَ ما أنبت الأرض ، سبع . فقال (س ٢٦٨٠ - ٣١) « ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعَيْنَبًا وَقَضْبًا ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا » . والحداثق : كل ما يلتف حديقة ، والأبُّ ما أنبت الأرض مما لا يأكل الناس . فقال عمر : أعجزتم أن تقولوا مثل ما قال هذا الغلام الذي لم تستور شؤون رأسه ؟ ثم قال : إني نهيتك أن تتكلم معهم ، فإذا دعوتك فتكلم معهم .

وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كنت في بيت ميمونة فوضعت للنبي صلى الله عليه وسلم وضوءه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من وضع هذا ؟ فقالت ميمونة : وضعه عبدُ الله . فقال : اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين .

وعن عمرو بن دينار ، عن طلوس ، عن ابن عباس قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح على ناصيتي وقال : اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب .

وعن الأعمش ، عن شقيق قال : كان ابن عباس على الموسم فافتتح سورة هود (س ١١) فجعل يقرأ ثم يُفسر . فقال شيخ من الحى : ما رأيت كالיום كلاماً يخرج من رأس رجل لو سمعت به الترك لأسلمت .

وعن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير قال : لما مات ابن عباس جاء

طائر من السماء أبيضُ فدخل في أ كفانه فكانوا يرون أنه عليه .
وعن المعتمر بن سليمان قال : سمعت أبا زياد قال : حدثنا أبو رجاء العطاردي
قال : هذا المكان من ابن عباس مثل الشراك البالي من الدُموع . ووضع المعتمر
أصبعه على جفن عينه السفلى .

قال : وأخبرنا أبو علي أحمد بن محمد قال : حدثنا دَعْلَجُ بن أحمد قال :
حدثنا محمد بن غالب قال : حدثنا أبو حذيفة قال : حدثنا سعيد ، عن سلمة بن
كُهَيْلٍ ، عن كُريب ، عن ابن عباس قال : بت عند خالتي ميمونة فقَام النبي
صلى الله عليه وسلم من الليل فأَتى حاجته ثم غسل يديه ووجهه ، ثم نام ، فقام إلى
القربة فأطلق شيئاً فيها ، ثم توضأ وضوءاً بين الوضوءين ولم يكثر وقد أبلغ ، ثم
قام يصلي . فقمتم فتمطيتُ كراهية أن رأني كنت أراقبه فقمتم عن يساره فأخذ
رأسى فحوّلني عن يمينه فتمت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة
ركعة ثم نام حتى إذا نفخ ، وكان إذا نام ، يعني نفخ ، أتاه بلال فأذّنه فقام
يُصلي ولم يتوضأ . وكان يقول : اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ،
وفي بصري نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، ومن فوق نوراً ، ومن
تحت نوراً ، ومن خلفي نوراً ، واعظم لي نوراً .

قال : وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن يزيد النيسابوري رحمه الله ، ومنصور بن
العباس البوسنجي قال : أخبرنا الحسن بن سفيان . قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة
عن هُشَيْم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير وابن عباس قال : جمعتُ المحكم
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلت له ما المحكم ؟ قال : المفصل .
قال أبو بكر : وزاد فيه غير هُشَيْم وقبض وأنا ابن عشر .

قال رحمه الله : ولم يعرض هذه الأخبار أو يستقص فضائل ابن عباس فإن
ذلك غير ممكن لاسيما في هذا الكتاب ، وإنما أردنا من ذلك أن يعلم الناظر في
هذا الكتاب ما سبق له من دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ما كان من

جَدَّ عَنَانِيَّة فِي مِرَاقِبَةِ أَحْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرًّا وَعِلَانِيَةً ، لَيْلًا وَنَهَارًا ،
 حَتَّى كَانَتْهُ كَانَ لِيَتَعَمَّدَ الْمَيْمِيتَ فِي بَيْتِ خَالَتِهِ مَيْمُونَةَ لَيْلَةً يَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا ، ثُمَّ يَحْتَفِظُ عَنِ النَّوْمِ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا يَفْعَلُهُ ، ثُمَّ يَحْتَذِي حَذْوَ مَا يَفْعَلُهُ
 وَيَحْفَظُ دَعْوَاتِهِ ، وَيُرَاعِي حَرَكَاتِهِ وَسَائِرَ حَالَتِهِ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ بَعْضُ مَنْ بَلَغَهُ
 صَغُرُ سَنِهِ كَانَ ، حَيْثُ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَبِيلِهِ ، يُقَدَّرُ فِيهِ
 قُصُورًا عَمَّا يَرَادُ عِلْمُهُ فِي بَابِ التَّفْسِيرِ ، فَإِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرَ أَنَّهُ جَمَعَ الْمَفْصَلَ وَهُوَ
 ابْنُ عَشْرٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَلَمْ يُزَنْ بِوُفُورِ عِلْمِهِ صَغُرُ سَنِهِ حَيْثُ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَسِيَا بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ سَبِيلَ الْخَوْفِ عَلَى تَفْسِيرِهِ يَتَجَهَّ
 عَلَى وَجْهِهِ مِنْهُ مَا يُعْرِفُ مِنْ جِهَةِ اللُّغَةِ ، وَذَلِكَ مَا لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى تَعَلُّمٍ إِذْ هُوَ شَيْءٌ
 خَلَقَ ، يَعْنِي ، نَشَأَ عَلَيْهِ . وَمِنْهُ مَا يُعْرِفُ مِنْ جِهَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَنْزَلَتْ الْآيَاتِ
 فِيهَا ، وَالْأَحْوَالِ الَّتِي وَجَّهَتْ إِلَيْهَا ، وَذَلِكَ مَا قَدْ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ شَاهِدَ الْكَثِيرِ
 مِنْهَا ، وَمَا لَمْ يَشَاهِدْهُ فَقَدْ كَانَ يُحَدِّثُ بِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي مَجَالِسِهِ حَتَّى كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَشَاهِدِ الَّذِي لَا اسْتِرَابَةَ فِيهِ .
 وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ يَعْرِفُ الْعَامَّ وَالْخَاصَّ ، وَمَا هُوَ مِنَ الْأَوَامِرِ حَتْمٌ وَمَا لَيْسَ بِحَتْمٍ ،
 وَبِهِ يَفْرُقُ بَيْنَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ، وَمِنْهُ مَا كَانَ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى سَمَاعٍ وَبَيَانٍ كَمَثَلِ
 أَرْكَانِ الصَّلَاةِ ، وَمَقَادِيرِ الزَّكَاةِ ، وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ الَّتِي أَجْمَلَتْهَا آيَاتُ الْقُرْآنِ ،
 وَبِالسَّنَةِ يَعْرِفُ تَفْسِيرَهَا ، فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ فَإِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ كَانَ فَهَمٌ
 فِي صَغُرِ سَنِهِ جَمَلَةً وَافِيَةً بِمَا وَهَبَ لَهُ مِنَ الْعَقْلِ وَالْقَرِيحَةِ ، وَجَدَّ الْعَنَانِيَّةَ . وَمَا عَدَا
 ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِإِذْلَالٍ
 فِي ذَلِكَ وَسَعَهُ ، مُسْتَفِرِّغًا فِيهِ مَجْهُودَهُ إِلَى تَوْفِيقِ سَاعِدِهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَدَعَاءِ
 اسْتِجَابٍ فِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال : حدثنا الحسين بن أحمد بن قيسر الدامغاني قال : حدثنا محمد بن إبراهيم
 ابن بومرد قال : حدثنا عمار بن رجاء قال : أخبرنا وهب بن جرير قال : حدثنا

أبى ، هو جرير بن حازم ، قال : سمعت يعلى بن حكيم يحدث عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار : هلم نسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنتعلم منهم . قال : العجب لك يا ابن عباس . أترى أن الناس يحتاجون إليك ، وفي الأرض من يراهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فتركت ذلك وأقبلت على المسألة فاتبع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كان ليبلغني عن الرجل الحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت قائلًا : فأتوسد ردائي على باب داره ، فتسنى الرياح في وجهي ، فإذا خرج قال : ما حاجتك يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . فأقول : حديث بلغني عنك تحدته عن النبي صلى الله عليه وسلم فأحببت أن أسمعه منك . فيقول : فهلا بعثت إليّ حتى آتيك ؟ ! . فأقول : أنا كنت أحق أن آتيك . قال : فإن ذلك الرجل يمرُّ بي وقد ذهب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاحتيج إليّ . فيقول : أنت كنت أعقل مني .

قال : وحدثنا أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى إملاء قال : حدثنا محمد بن إسحاق السعدى قال : حدثنا يحيى بن الربيع قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : كنت أقرئ عبد الرحمن ابن عوف ونحن بمى ، وذكر الحديث بطوله تمام خطبة عمر رضى الله عنه ، وإذ قد بلغ من منزلته فى الشرف أنه كان يُقرئ مثل عبد الرحمن بن عوف فى خلافة عمر مع سوابق عبد الرحمن ، وشرف منزلته فما الذى يتعجب المتعجب من براعته فى علم القرآن وتقدمه على سائر من بقى بعد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر نفرًا من أصحابه فخص كل واحدٍ منهم بما خصه الله به من الكرامة ، ثم قال : وحبر هذه الأمة ، وفى بعض الروايات وبحر هذه الأمة ، عبد الله بن عباس .

وبلغنا عن عبد الله بن مسعود أنه قال : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

قلت: ثم لما كان ابن عباس في فضله، وبراعته، وإقرار الأكابر من الصحابة بفضله وفطنته، وتقدمه في تفسير القرآن وترجمته، أخبر أن الله تعالى أنزل القرآن جملة من أوله إلى آخره على الترتيب الذي في أيدينا إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل منه نجومًا نجومًا على حسب الحاجة إليه، ووافقه ظاهر النص بحاجته إلى قول ابن عباس رضي الله عنهما مع النصوص والأخبار، فوجب الاعتقاد بذلك، والانقياد له. لأنه لم يقل شيئًا من هذا إلا بعد سماع له قائم، أو برهان لازم، مع شدة الوعيد لمن يقول في القرآن برأيه، ومن زعم أن بعض القرآن سقط على المسلمين وقت جمع المصحف، وأن السور ضم بعضها إلى بعض بالمشورة والرأى فقد أعظم على الله الفرية. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملئ كلما نزل من القرآن على كتابه أولاً بأول ميلًا إلى حفظه وصيانتة، فحفظ القرآن من أوله إلى آخره على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الستة الذين ذكرناهم.

وجمع أبو بكر المصحف، ونحنا نحوه في الجمع عمر، وقفوا أمرها فيه عثمان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسنون ذلك من فعله ويجمعون على تسديده، ثم أحضر عثمان المصحف التي جمع فيها عمر القرآن فعارض بها صحفه فما خلفها في حرف. فمن أي وجه سقط على المسلمين بعض القرآن وبين أظهرهم من يحفظه منذ وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والحفاظ له يعلمون الناس على المداومة والمتابعة؟ وإن عثمان لم يجمع المصحف حتى وعى جميع القرآن يدلك عليه قول حسان بن ثابت:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عَنَوَانِ السَّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقِرَاءً
وقول امرأته: إن قتلتموه فكثيراً ما كان يحتم القرآن في ركعة واحدة. ولم لا يحفظونه مع ملازمتهم النبي صلى الله عليه وسلم وقراءتهم عليه وأخذهم عنه في كل وقت وترغيبه إياهم في حفظه؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. وقال صلى الله عليه وسلم: إن لله أهلين من الناس. قيل من هم

يارسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته. وكيف يُنزل الله تعالى من كلامه ما يريد به نفع خلقه وهدايتهم، ثم يسقط عنهم حفظه حتى ينسى لفظه، ويبطل حكمه؟ وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا القرآن مَادُبَةُ الله عز وجل فتعلموا من مَادِبَتِهِ ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبل الله، النور المبين، والشفاء النافع، لا يعوجُّ فيقوم، ولا يزيع فيستعيب، ولا تنقضى عجائبه، لا يخلق عن رد.

وروى عن الحارث قال: دخلت المسجد فإذا الناس وقعوا في الأحاديث. فأتيت علياً فقلت: يا أمير المؤمنين: ألا ترى الناس وقعوا في الأحاديث؟ قال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنها ستكون فتنة. قلت: فما المخرج منها يا أمير المؤمنين؟ قال: كتاب الله، كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جَبَّارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشعب منه العلماء، ولا يخلق عن رد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن لما سمعوا عن أن قالوا: (س ١٧٢ آ ١) «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ». من قال به صدق. ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِر، ومن دعا إليه هُدى إلى صراطٍ مستقيم. أو قال: من استعصم به هدى إلى صراط مستقيم. ثم قال: خذها إليك يا أعور. فمذهب هذا القائل إبطال هذه الأحاديث لأنه إذا لم يكن تاماً ولا صحيح التأليف والترتيب فالحكم به غير جائز والمسلمون كلهم لم يهدوا إلى الصراط المستقيم، ولأن القرآن إذا أسقط منه شيء بطل الباقي، لأنه لا يجوز أن يكون الساقط ناسخاً الباقي، كما نسخ قوله (س ١٤٤ آ ٢): «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ» الآية، فنسخت هذه الآية صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين إلى بيت المقدس. وكما نسخ بقوله

(س ٩٥ آ ٩٠) « إِنَّمَا اتَّخَرُ وَالْمَيْسِرُ ، وَالْأَنْصَابُ » الآية ، شرب الخمر . لأنه لو سقط منه شيء لكان يمكن أن يكون الساقط ناسخاً للحاصل الباقي ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، فيما روى عنه أبو أمامة : من أعطى ثلث القرآن فقد أعطى ثلث النبوة ، ومن أعطى ثلث القرآن فقد أعطى ثلث النبوة كلها ، إلا أنه لا يوحى إليه . ولو لم يكن القرآن على ما هو عليه الآن في أيدينا لم نكن نقف منه الآن على ثلث ، أو ثلثين ، أو نصف ، أو ربع لا على جميعه ، ولم يكن أحد خاتماً له ولبطل فضل الختمات .

وروى عن العوام بن حوشب أن أبا عبد الرحمن السلمي كان إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال : يا هذا : إتي الله فما أعرف أحداً خيراً منك ، إن عملت بالذي علمت ، ففي هذا الحديث دليل على أن القرآن الذي في أيدينا كامل تام ، من ادعى نقصاً فيه ، أو زيادة ، أو تغييراً ، أو تبديلاً ، أو تقدماً ، أو تأخيراً فقد كذب على الله تعالى وبهت رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، لأن أبا عبد الرحمن كان خريج علي بن أبي طالب ومن أخذ القراءة عنه وتعلمها منه ، فإذا أخبر بأن آخر القرآن هو الذي ليس بعده شيء كان الذي يقول هو مذهب علي رضي الله عنه ، وقد كان علي رضي الله عنه يصلي بالناس صلاة المغرب والعشاء الآخرة ، وصلاة الصبح ، ويقرأ والناس يستمعون قرائته ويفهمون قوله . فلو خالف عثمان ، وأبا بكر ، وعمر رضي الله عنهم في حرف واحد إذا كثرت منه ليسارع الناس إلى السؤال عنه وتغييره في المصاحف . مع أن القرآن الذي حصله عنه أبو عبد الرحمن وفضله فيه هو كالذي كان يؤم الناس به في صلواته فيجدونه موافقاً لرأي أبي بكر ، وعمر ، وعثمان وسائر المسلمين ، ولو وقعوا فيه على زيادة حرف أو كلمة ، أو نقصان لفظة لوافقوا علياً عليها فأثبتوها في المصاحف على قوله ، وما يأمر به من رسمه ، لعلو درجته ، وارتفاع مرتبته ، فقد حصلوا في كلامه المنشور ضمة في حرف وباء في كلمة فتابعوا

حكايتهما عنه ونسبتهما إليه ، أحد الحرفين الذُهْقَانُ ، بضم الدال ، والآخر نيروزا من النيروز . فقد روى عن معاذ بن العلاء أخى أبى عمرو بن العلاء ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : ما أصبتُ من فيكم إلا هذه القارورة أهداها إلى الذُهْقَان ، ثم أتى بيت المال ، ثم قال خذ ، خذ ، وأنشأ يقول :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ قَوْصَرَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً

روى أنه أهدى إلى على رضى الله عنه فالزوج فى جام يوم النيروز فقال : نَيْرُوزَا لنا كل يوم ، فمن ضبط من لفظ على ضمة نادرة ، وياء نادرة فهو حقيق بأن لا يغفل من قراءته كلمة تثبت : ولفظة تسقط ؛ وحركة تغير . فمن ادعى أن ألفاظه فى منشور كلامه ضبطت ، وكلماته فى قراءة القرآن ضيعت فقد أخبر بمحال لا قبله ، ولا يشهد له بصحته حكيم . ولقد أوجب الله سبحانه علينا أن تتبع الصحابة بإحسان ؛ وأن نقابلهم بتوقير وإذعان . وكذلك أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولعن من يبسط فيهم لسانه بسوء وبهتان ، وإيهم جميعاً قد أجمعوا على هذا المصحف ، ولم يكونوا يجتمعون إلا على حق ، وصواب ، وصدق ، لاسيما وقد سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : فمن يزيد فى كتاب الله تعالى أو ينقص منه ، أو يرومه بنقص ، أو يفسره برأيه ، وهم كانوا أعظم حرمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيراً لكلامه من أن يستخفوا به وبكلامه ، وبالقرآن الذى هو علم لنبوته وبرهان لرسالته بما كسى من نظمه ، وفصاحته ، وكلامه ، وبلاغته . فلو لم يكن لهم توقير رضى الله عنهم منه ، صلى الله عليه وسلم ، أن القرآن مرتب بهذا الترتيب لما كانوا يرضون تأليفه ، ويثنون على أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه بالثناء ، والترحيب .

وكذلك تشهد له العقول الصحيحة ، والأذهان الصريحة . وإلا فأى عقل كان يوجب تأخير سورة إقرأ (س ٩٦) إلى أخريات الكتاب ، وهو من أوله

نزولاً؟ وتقديم قوله: (س ٢٨١ آ ٢) «وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ»، إلى أول الكتاب وهو من آخره نزولاً؟

وكيف كان يوجب تأخير السور المكية وهى من أوائلها نزولاً وتقديم السور المدنية وهى من أواخرها نزولاً؟ فعلمت بهذا أن هذا أمراً لا يهتدى إليه بعقل دون أن يكون له توقيف من سمع، وحاشا لله وعياداً به أن نظن بهم ظن السوء أو نحل بهم محل التهمة، ولو لم يكن الأمر على ما ذكرناه لما كانوا يؤخرون المنسوخ عن الناسخ. مثل قوله (س ٢٣٤ آ ٢): «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ»، نسخ قوله: (س ٢٤٠ آ ٢) «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ». والناسخ متقدم على المنسوخ في الترتيب. ولا شك في أن الناسخ يتأخر ومثله: قوله تعالى: (س ١٦ آ ٦٧) «وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُنَ مِنْهُ سَكَرًا»، نسخ بقوله (س ٩٠ آ ٥) «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ»، وهو قبله. ومثله: قوله تعالى: (س ٢٩ آ ٤٦) «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ»، نسخها قوله: (س ٢٩ آ ٩) «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» إلى قوله: «وَهُمْ صَاغِرُونَ». ولها نظائر. ومثله: تقديم قوله (س ٢ آ ٦٧): «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً»^(١). فهو مسبب^(١) على قوله (س ٢ آ ٧٢): «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا، وَهُوَ السَّبَبُ. ولو كانوا يفعلونه بعقولهم لقدموا السبب على المسبب^(١)، ولظهر لهم مخالف^١ يعمل بعقله في ذلك الوقت، ولنقل ذلك إلينا كما نقل هذا.

أفتراك أيها الطاعن عامت أنت بفطرتك ما جهلوا أولئك بعقولهم؟ ولم يدركوه بأذهانهم؟ ووقفت بقريحتك على ما لم يقفوا عليه في أوقاتهم وأحيانهم؟ وكل هذا وأمثاله يدلُّك على أنهم لم يفعلوا شيئاً في كتاب الله تعالى إلا بتوقيف. ألا تراهـم

(١) كذلك في الأصل ويجوز أن المراد منه مسبب .

كيف تحرّجوا عن تفسير بعض الآيات وهم أهل اللسان . يدلك عليه : ما روى عن ابن أبي مليكة قال : سئل أبو بكر رضى الله عنه عن تفسير حرفٍ من القرآن فقال : وأى سماء تظلنى ؟ وأى أرض تُقلنى ؟ وأين أذهب ؟ وكيف أصنع إذا قلت فى حرف من كتاب الله عز وجل بغير علم ما أراد به ربى تعالى ^(١) ؟

وروى فى غير هذا الوجه أنه سئل عن قوله (س ٤ آ ٨٥) « مُقَيَّتًا » ، وكذلك روى عن عمر ، قريب منه ، فى الأب ^(٢) ، وعن عبيدة ، والشعبي وغيرهم ، من تحرّجهم عن التفسير والتأويل بما يطول ذكره ها هنا ، ولعلنا نذكره فى موضع آخر ونبين وجه ذلك . وإذ قد كان تحرّجهم عن التأويل والتفسير لهذا المكان . فكيف كان يتفسر النص والكتاب ، وتقديم المؤخر ، وتأخير المقدم ؟ وكيف ينسبون تأليف السور ؟ بل كيف لا يأخذون أنفسهم بحفظها ، وسؤالهم عنها وفيهم من يحفظ جميع القرآن ؟ أفترأى حفظوا القرآن كله وهم لا يعرفون تأليف سورته ؟ ولأية علة لا يحفظ تأليف سور القرآن من كان لا يحفظ أول ما أنزل من القرآن وآخره وتأخيرها ، وناسخه ومنسوخه ، ومكيه ومدنيه ، وأحكامه وفرائضه ، وسننه ؟ وحفظ بعض هذه الأشياء أتعب وأشق من حفظ تأليف السور وضم بعضها إلى بعض .

فإن قيل : روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه جمع القرآن فى المصحف ، وروى أنه جمعه فى الصحف ، ومعلوم أن بينهما تبايناً لأن الصحف غير المصحف . قيل : لا تنافى بينهما ، وذلك : أنه جمع القرآن . وجعله أجزاء متفرقة ، أعشاراً وأسباعاً ، وأقل وأكثر ، فسميت بذلك الأجزاء . وما كانت بين الأخير صحفاً وصحيفة . وكان له فيه غرض . وذلك : أنه أجدى وأحوط من جمعه فى مصحف

(١) كذلك فى الأصل : ويجوز أن المراد منه ما أراده ربى

(٢) يعنى . أبناً فى س ٨٠ آ ٣١ .

واحد ويمكن أن يكون جمعه في مصحف ومدارج . وجمعه في جامع له فسماه مصحفاً . فكان الناس ينسخون من تلك الصحف والمدارج ، والمصحف محفوظ محفوظ عنده ، وهذا لا تنافي فيه لأنه جمعه إلى الصحف التي ليست بين لوحين ، وفي مصحف بين لوحين . ويحتمل أيضاً أنه جمع الصحف التي كانت في أيدي الناس مكتوباً فيها وحصلت عنده . ثم نسخ منها جامعاً بين لوحين وكانت الصحف محتفظاً بها عنده ؛ ثم عند عمر ؛ ثم عند حفصة ، وإنما حفظوها لأنها هي الأصل . وقد كانت عرضت وعرف صحتها . فلذلك اعتمد عثمان عليها . والذي يؤكد جميع ما ذكرناه حديث أبي بن كعب في فضل القرآن وسوره على هذا الترتيب . وقد كنّا أوردناها في « كتاب الغرر في أسامي السور » متفرقة إلا أنا أحببنا ذكرها هاهنا بلفظها لتكون أجمع وأقع .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن المنتصر رحمه الله قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريف بمرجان قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن حماد بن فضالة بالبصرة قال : حدثنا يحيى بن حبيب بن عدي قال : حدثنا يوسف بن عطية الباهلي أبو المنذر قال : حدثنا هرمز بن كثير قال : حدثنا زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي أمامة ، عن أبي بن كعب أن جبريل أتى النبي صلوات الله عليهما قال : يا محمد : آت أئبياً وأقرأه مني السلام وأقرأ عليه القرآن . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أئبياً . فقال : إن جبريل يقرئك السلام . فقال أئبي : عليه وعليك السلام يارسول الله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن جبريل أمرني أن أقرأ عليك القرآن . فقرأه عليه في تلك السنة التي قبض فيها مرتين . قال أئبي : بأبي أنت وأئمي يارسول الله . أما إذ كانت تلك خاصة قراءة القرآن لخصني بثواب القرآن مما علمك الله وأطلعني عليه . فقال : نعم افعل إن شاء الله . ثم قال صلى الله عليه وسلم : أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطى من الأجر كمن قرأ ثلثي القرآن ، وأعطى من الأجر كمن تصدق على كل مؤمن ومؤمنة . ومن قرأ سورة البقرة

(س ٢) فصلوات الله عليه ورحمته ، ثم أعطى من الأجر كالمرباط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته . وقال : يابئني : مر المسلمين يتعلمون السورة التي تذكر فيها البقرة ، فإن تعلمها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة . قلت : يا رسول الله : وما البطلة ؟ قال : السحرة . ومن قرأ آل عمران (س ٣) أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم . ومن قرأ سورة النساء (س ٤) أعطى من الأجر كأنما تصدق على كل من ورث ميراثاً وأعطى من الأجر بعدد من اشترى محرراً وبرئ من الشرك وكان من شيعته التي يتجاوز عنهم . ومن قرأ المائدة (س ٥) أعطى من الأجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجاتٍ بعدد كل يهودى ونصراني يتنفس في الدنيا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزلت عليّ سورة الأنعام (س ٦) جملة واحدة وشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد . فمن قرأ الأنعام استغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية يوماً وليلة وصلى الله عليه . ومن قرأ الأعراف (س ٧) جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً ، وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة .

ومن قرأ الأنفال (س ٨) ، وبراءة (س ٩) فأنا له شفيع وشاهد أنه برئ من النفاق ، وأعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة ، وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا .

ومن قرأ سورة يونس (س ١٠) أعطى من الأجر عشر حسناتٍ بعدد من كذب يونس وصدق به أو صدقه ، وبعدد من غرق مع فرعون .

ومن قرأ هود (س ١١) أعطى من الأجر عشر حسناتٍ بعدد من صدق نوحاً ، وهوداً ، وصالحاً ، ولوطاً ، وشعيباً ، وإبراهيم ، وموسى صلوات الله عليهم ، وكان عند الله يوم القيامة من الشهداء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : علموا أرقاءكم سورة يوسف (س ١٢) فأما

مسلم تعلم سورة يوسف وتلاها وعلمها ماملكت يمينه وأهله هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه قوّة أن لا يحسد مسلماً .

ومن قرأ الرعد (س ١٣) كان له من الأجر وزن كل سحابٍ مضى ، وكل سحابٍ يكون ، عشر حسنات ، وبعث يوم القيامة من الموفين لعهد الله .
ومن قرأ سورة إبراهيم (س ١٤) أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام ومن لم يعبدها .

ومن قرأ سورة الحجر (س ١٥) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ومن قرأ سورة النحل (س ١٦) لم يحاسبه الله يوم القيامة بما نعم في دار الدنيا ، وإن مات يوم تلاها كان له من الأجر كالذي مات حسن الوصية .

ومن قرأ سورة بنى إسرائيل (س ١٧) فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والأوقية خير من الدنيا .

ومن قرأ سورة الكهف (س ١٨) فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون . فإن خرج الدجال في تلك الثمانية الأيام عصمه الله من فتنة الدجال .

ومن قرأ عند مضجعه (س ١٨ آ ١١٠) « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ » إلى آخرها كان له نور يتلأل إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه ، فإن كان مضجعه مكة كان له نور يتلأل إلى البيت المعمور وحشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ .

ومن قرأ سورة مريم (س ١٩) أعطى حسنات بعدد من كذب زكرياء وصَدَّق به ويحيى ، ومريم وعيسى ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب وموسى ، وهارون ، وإدريس صلوات الله عليهم وبعده من دعا لله ولدا ، وبعده من لم يدع لله ولدا .

ومن قرأ سورة طه (س ٢٠) أعطاه الله ثواب المهاجرين .

ومن قرأ الأنبياء (س ٢١) حاسبه الله حساباً يسيراً ، وصالحه وسلم عليه كل نبي ذكر الله اسمه فيها .

ومن قرأ سورة الحج (س ٢٢) أُعطى من الأجر حَجَّةٌ وعُمْرة بعدد من حج واعتمر فيما مضى أو فيمن مضى ومن بقى .

ومن قرأ سورة المؤمنين (س ٢٣) بشرته الملائكة بروح وريحان وما تقرّ به عينه عند نزول ملك الموت به .

ومن قرأ سورة النور (س ٢٤) كان له عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة ومن قرأ سورة الفرقان (س ٢٥) بعث يوم القيامة وهو موقن أن الساعة آتية لا ريب فيها ودخل الجنة بغير حساب .

ومن قرأ طسم الشعراء (س ٢٦) كان له [من الأجر ^(١)] عشر حسنات بعدد من صدّق موسى وكذبه .

ومن قرأ طس النمل (س ٢٧) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من كذب موسى وصدقه ، وإبراهيم ، ونوحاً ، وهوداً ، وصالحاً ، ولوطاً ، وشعيباً ، وبعدد من لم يدع لله ولداً ، وبعدد من صدّق يعيسى وكذبه .

ومن قرأ طس النمل كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق موسى وكذبه ، وصالحاً ، وسليمان ، ولوطاً وخرج من قبره وهو ينادى لا إله إلا الله . ومن قرأ طسم القصص (س ٢٨) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق موسى وكذبه ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً (س ٢٨ آ ٨٨) « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .

ومن قرأ العنكبوت (س ٢٩) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين .

ومن قرأ سورة الروم (س ٣٠) كان له من الأجر عشر حسنات ، بعدد كل ملك يسبح من في السموات والأرض وأدرك ماضٍ من يومه وليته .

ومن قرأ لقمان (س ٣١) كان له يوم القيامة لقمان رفيقاً ، وأعطى من الحسنات عشراً عشراً بعدد من عمل المعروف ، ومن عمل المنكر .

ومن قرأ ألم تنزيل السجدة (س ٣٢) وتبارك الذي بيده الملك (س ٦٧) . أعطى من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر .

ومن قرأ سورة الأحزاب (س ٣٣) وعلمها ما ملكت يمينه وأهله أعطى أماناً من عذاب القبر .

ومن قرأ سورة سبأ (س ٣٤) لم يبق رسول ولا نبى إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصاحفاً .

ومن قرأ سورة الملائكة (س ٣٥) دعت يوم القيامة ثمانية أبواب من أبواب الجنة يدخل من أيها شاء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لكل شىء قلباً وإن قلب القرآن يس ، فمن قرأ يس (س ٣٦) يريد بها الله غفر له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة . أيما مسلم قرئت عنه إذا نزل به ملك الموت كان له بعدد كل حرف من سورة يس عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ، ويشهدون غسله ، ويتبعون جنازته ، يصلون عليه ، ويشهدون دفنه . وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت ، أو قرأت عنده ، لم يقبض ملك الموت رُوحه حتى يحياهه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشر بها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت رُوحه وهو ريان ، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان .

ومن قرأ سورة الصافات (س ٣٧) أعطى عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان ، وتباعدت منه مردة الشياطين ، ويشهد له حافظاه أنه مؤمن بالمرسلين .

ومن قرأ سورة ص (س ٣٨) كان له بكل جبلٍ وشجرة تُسَبِّحُ الله ثواب وحسنات ، وعصم أن يُضَرَّ على ذنبٍ صغير أو كبير .

ومن قرأ سورة الزمر (س ٣٩) لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة ، وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين يخافون الله عز وجل .

ومن قرأ المؤمن (س ٤٠) لم يبق نبى ولا صديق ولا شهيد ، ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له .

ومن قرأ حم السجدة (س ٤١) أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف منها .

ومن قرأ حم عسق (س ٤٢) كان ممن تصلى عليه الملائكة ويسترحون .

ومن قرأ الزخرف (س ٤٣) كان يوم القيامة ممن قال (آ ٦٨) « يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ » .

ومن قرأ الدخان (س ٤٤) فى ليلة جمعة غفر له ، وإن قرأها فى سائر الليالى كانت له نوراً يوم القيامة .

ومن قرأ سورة حم الجاثية (س ٤٥) سكن الله روعه وستر عورته عند الحساب .

ومن قرأ سورة الأحقاف (س ٤٦) كتب له عشر حسنات بكل رملة فى الدنيا .

ومن قرأ سورة محمد (س ٤٧) صلى الله عليه وسلم ، كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة .

ومن قرأ سورة الفتح (س ٤٨) كان كمن بايع تحت الشجرة مع محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن قرأ سورة الحجرات (س ٤٩) أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه .

ومن قرأ سورة ق (س ٥٠) هَوَّنَ الله عليه تاراتِ الموت وسكراته .

ومن قرأ سورة الذاريات (س ٥١) أعطاه الله عشر حسناتٍ بعدد كل ريح هبَّ وخرَّب في الدنيا .

ومن قرأ سورة والطور (س ٥٢) كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه ويتنعم في الجنان .

ومن قرأ سورة والنجم (س ٥٣) أعطاه الله عشر حسناتٍ بعدد من صدق بمحمد وكذب به .

ومن قرأ سورة اقتربت الساعة (س ٥٤) في كلِّ غيبٍ ، بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ، وإن قرأها كل ليلة ، كان ذلك أفضل .

ومن قرأ سورة الرحمن (س ٥٥) رحم الله ضعفه وأدَّى شكر ما أنعم الله عليه . ومن قرأ سورة الواقعة (س ٥٦) لم يكتب من الغافلين .

ومن قرأ سورة الحديد (س ٥٧) كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله . ومن قرأ سورة المجادلة (س ٥٨) كان يوم القيامة في حرم الله .

ومن قرأ سورة الحشر (س ٥٩) لم تبقى جنة ، ولا نار ، ولا عرش ، ولا كرسي ، ولا الحجب ؛ ولا السموات السبع والأرض ، والهواء ، والريح ، والطير ، والجبال ، والشجر ، والشمس ، والقمر ، والملائكة إلا صلوا عليه واستغفروا له . وإن مات من يومه وليلته كان شهيداً .

ومن قرأ الممتحنة (س ٦٠) كان له المؤمنون والمؤمناتُ شفعاء يوم القيامة .

ومن قرأ الصف (س ٦١) كان عيسى بن مريم مُصلياً مستغفراً له مادام في الدنيا ، وإذا مات كان رفيقه .

ومن قرأ سورة الجمعة (س ٦٢) كتب الله له عشر حسناتٍ بعدد من ذهب إلى الجمعة أو لم يذهب .

ومن قرأ سورة المنافقين (س ٦٣) برىء من النفاق .

ومن قرأ سورة التغابن (س ٦٤) رفع عنه موت الفجأة .

ومن قرأ سورة الطلاق (س ٦٥) مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ومن قرأ سورة لم تحرّم (س ٦٦) أعطاه الله توبة نصوحاً^(١) .
ومن قرأ سورة ن والقلم (س ٦٨) كان له ثواب الذين حسن الله أخلاقهم .
ومن قرأ سورة الحاقة (س ٦٩) حاسبه الله حساباً يسيراً .
ومن قرأ سورة سأل سائل (س ٧٠) أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم حافظون .

ومن قرأ سورة نوح (س ٧١) كان من المؤمنين الذين لحقتهم دعوة نوح .
ومن قرأ سورة الجن (س ٧٢) كان له بكلّ جنّ صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب ، به عتق رقبة .

ومن قرأ سورة المزمل (س ٧٣) رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة .
ومن قرأ سورة المدثر (س ٧٤) أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمد صلى الله عليه وسلم بمكة وكذب به .

ومن قرأ سورة القيامة (س ٧٥) شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمناً بيوم القيامة .

ومن قرأ سورة هل أتى (س ٧٦) كان جزاؤه على الله جنة وحريراً .
ومن قرأ الرسائل (س ٧٧) كتبت له أنه ليس من المشركين .
ومن قرأ عم يتساءلون (س ٧٨) سقاه الله من برد الشراب يوم القيامة .
ومن قرأ والنازعات (س ٧٩) لم يحبس في الحساب يوم القيامة حتى يدخل الجنة إلاّ قدر الصلاة المكتوبة .

ومن قرأ عبس (س ٨٠) كان وجهه يوم القيامة ضاحكاً مستبشراً .

(١) لا يوجد هنا جزء من قرأ سورة الملك (س ٦٧) لأنه ذكر تلك السورة

ومن قرأ إذ الشمس كُورَتْ (س ٨١) أعاده الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته .

ومن قرأ إذا السماء انفطرت (س ٨٢) كتب له بكل قطرة من ماء حسنة ، وبعده كل قبر حسنة ، وأصلح الله سيئاته يوم القيامة .

ومن قرأ ويل للعطفين (س ٨٣) سقاه الله من الرحيق المختوم (٢٥٠ آ٢٥)

ومن قرأ إذا السماء انشقت (س ٨٤) أعاده الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره .

ومن قرأ والسماء ذات البروج (س ٨٥) أعطاه الله من الأجر بعدد كل جمعة وكل غربة في الدنيا عشر حسنات .

ومن قرأ والسماء والطارق (س ٨٦) أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات .

ومن قرأ سبح (س ٨٧) أعطاه الله عشر حسنات بكل حرف أنزله الله على إبراهيم ، وموسى ، ومحمد عليهم السلام .

ومن قرأ سورة الغاشية (س ٨٨) حاسبه الله حساباً يسيراً .

ومن قرأ الفجر (س ٨٩) في ليالي العشر غفر الله له ؛ ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة .

ومن قرأ لا أقسم (س ٩٠) أعطاه الله أماناً من غضبه يوم القيامة .

ومن قرأ والشمس (س ٩١) فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر .

ومن قرأ والليل (س ٩٢) أعطاه الله حتى يرضى ، وأعفاه من العسر ويسر له اليسر .

ومن قرأ والضحي (س ٩٣) جعله الله يوم القيامة فيمن يرضى بمحمد أن يشفع له ، وكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل .

ومن قرأ ألم نشرح (س ٩٤) أعطى من الأجر كمن لقي محمداً صلى الله عليه وسلم مغتاً ، يفرّج عنه .

ومن قرأ والتين (س ٩٥) أعطاه الله خصلتين اليقين والعافية مادام يفعل الصلاة ، وكتب له بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم .

ومن قرأ إقرأ باسم ربك (س ٩٦) أعطى من الأجر كأنما قرأ المفصل كله .
ومن قرأ إنا أنزلناه (س ٩٧) أعطاه الله من الأجر كمن صام رمضان ووافق ليلة القدر .

ومن قرأ ألم يكن (س ٩٨) كان يوم القيامة من خير البرية مشهداً ومقيلاً .
ومن قرأ إذا زلزلت الأرض (س ٩٩) أعطاه الله من الأجر كأنما قرأ البقرة (س ٢) .

ومن قرأ والعاديات (س ١٠٠) أعطى من الأجر ، أراه قال ، بعدد من بات بالمزدلفة .

قال : حدثنا يحيى بن حبيب ، حدثنا مُعْتَمِر بن سليمان ، حدثنا هشام بن حسان قال : بلغه أن العاديات تعدل ثلث القرآن .

ومن قرأ سورة القارعة (س ١٠١) نقل الله بها منزلته يوم القيامة .
ومن قرأ الهاكم (س ١٠٢) عافاه الله من أن يحاسب بالنعمة التي أنعم عليه بها .

ومن قرأ سورة والعصر (س ١٠٣) ختم الله له بالصبر ، وكان من أصحاب الحق .

ومن قرأ ويل لكل همزة لمزة (س ١٠٤) أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

ومن قرأ سورة ألم تر (س ١٠٥) أعاده الله من العذاب والمسخ في دار الدنيا .

ومن قرأ لإيلاف (س ١٠٦) أعطاه الله من الأجر بعدد من طاف حول الكعبة واعتكف بها .

ومن قرأ أرايت (س ١٠٧) غفر الله له ، إن كان الزكاة مؤدياً .

ومن قرأ الكوثر (س ١٠٨) سقاها الله من كل نهر في الجنة ، وكتب له عشر حسنات بعدد كل قرآن قرّبه هو في يوم نحر أو قرّب به غيره .

ومن قرأ يأيتها الكافرون (س ١٠٩) أعطى من الأجر كأنما قرأ ربع القرآن ، وتباعدت منه مردة الشياطين ، وتعافى من الفزع الأكبر يوم القيامة .

ومن قرأ إذا جاء نصر الله (س ١١٠) أعطى من الأجر كمن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة .

ومن قرأ تبت (س ١١١) أرجو أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة .

ومن قرأ قل هو الله أحد (س ١١٢) أعطى من الأجر كأنما قرأ ثلث القرآن ، وأعطى عشر حسنات بعدد من أشرك بالله وآمن بالله .

ومن قرأ قل أعوذ برب الفلق ؛ وقل أعوذ برب الناس (س ١١٣ ، ١١٤) فكأنما قرأ جميع الكتاب الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم .

فتأمل رحمك الله هذا الحديث بطوله وفيه أربع من الفوائد :

أحدها : الترغيب في قراءة كل سورة على حيالها .

والثانية : بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن على أبي مرتين في السنة التي قبض فيها . وذلك يدل (على) أنه كان مجموعاً في حياته ليس أنه جمع بعد موته صلى الله عليه وسلم .

والثالثة : ما فيه الدلالة على أن سور القرآن ترتبها على ما كتبه زيد في المصحف . وقد كان محفوظاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان الكثير منهم قد كان يقرؤها على غير الولاء ، ولكن على ما اتفق له حفظه وكتابته .

والرابعة : مافيه من ذكر عدد سور القرآن ، فإن القرآن جملته مائة وأربع عشرة سورة على التأليف الذى جمع بين الدفتين ، واجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، إلا ما كان من ترك ابن مسعود كتابة المعوذتين وفتح الكتاب فى مصحفه اعتماداً منه فيها على حفظ العامة لها حتى لا يخاف عليها النسيان .

وأما ما ذكر عن أبي بن كعب أنه عدّ دعاء القنوت^(١) : « اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَسْتَعِيْنُكَ » إلى آخره سورة من القرآن ، فإنه إن صح ذلك عنه ، فإنه كتبها فى مصحفه لاعلى أنها من القرآن بل ليحفظها ولا ينساها احتياطاً ، لأنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم كان يقنت بها فى صلاة الوتر .

وكانت صلاة الوتر أوكد السنن فاحتاط عليها لذلك أشدّ مما احتاط على سائر السنن ، وقد يكتب الرجل فى كتابه ما تكون عنايته به أشدّ . والذى يدل على صحة هذا الوجه أنه رضى الله عنه لم يذكرها فيما ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثواب من يقرأ كل واحدة من سور القرآن ، فهو إذاً إن قال فيها شيئاً فهو أنه جعلها مما أوحى الله عز وجلّ إلى رسوله صلى الله عليه وسلم مما سوى القرآن ، ليس أنه عدّها فى سور القرآن . وذكر أنه رضى الله عنه داخلته الشبهة من حيث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فى تضاعيف أوقات كان يقرأ فيها القرآن فظنّه من القرآن ، ولا يستنكر دخول الشبهة على واحدٍ ، ولا أحقّ هذا الوجه لأنه رضى الله عنه كان فى العلم والدراية أجلاً من أن يخفى عليه القرآن ، ويكتسب عليه غيره ، سيما وقد قرأ (عليه) رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن مرتين . والذى يؤيد ما ذكرناه اتصال القراءة به كما ذكرناه ، ولم يذكر واحد من أولئك الأئمة عنه أنه عدّها فيما قرأوا عليه .

وذكر عن بعض المتقدمين أن القرآن مائة وثلاث عشرة سورة . وذلك على أنهم جعلوا الأنفال (س ٨) ، وبراءة (س ٩) ، سورة واحدة ، ولذلك

(١) انظر الاتقان للسيوطى ص ١٥٣ .

جُمَعَتَا فِي الذِّكْرِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَيْنَاهُ عَنْ أَبِي، وَجَمَعَهُ الْمَعُودَتَيْنِ أَيْضًا وَهِيَ
سُورَتَانِ بِلَا اخْتِلَافٍ، إِلَّا أَنَّ الْأَنْفَالَ وَبَرَاءَةَ لَمَّا جُعِلَتَا مِنَ السَّبْعِ الطُّوَالِ اشْتَبَهَ
أَن تَكُونَا عِنْدَهُمْ سُورَةٌ وَاحِدَةٌ.

فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْفَ قَدَّمَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ الْبَقَرَةِ (س ٢) عَلَى سُورَةِ الْأَنْعَامِ
(س ٦)، وَالْأَنْعَامُ نَزَلَتْ قَبْلَهَا؟ قُلْنَا: فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ أَجُوبَةُ:

أَحَدُهَا: أَنَّ هَذَا دَاخِلٌ فِي الشَّكْلِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْلَهُ، وَسْتَرَهُ
عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، إِذْ كَانُوا لَا يَضْطَرُّونَ إِلَى مَا فِيهِ، وَلَا مَعْرِفَةَ بِهِمْ إِلَى عِلْمِهِ
وَدِرَائَتِهِ، وَلَا ضَرَرَ يُلْحَقُهُمْ فِي غَمُوضِ عِلْمِهِ عَلَيْهِمُ وَالْإِيمَانُ بِهِ عَلَى هَذِهِ الْجِهَةِ
يَنْفَعُهُمْ وَيُؤَفِّرُ حَقَّهُمْ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا سَتَرَ عَنِ الْعَالَمِ تَعْيِينَ الْمُؤَذِّنِ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى (س ٤٤٧): «فَإِذْ نَفَخْنَا فِي السُّرُورِ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»
وَلَمْ يَعْلَمُهُمْ أَهْوَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَمْ مِنَ الْآدَمِيِّينَ أَوْ مِنَ الْجِنِّ.

وَالثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّمَ الْمَدَنِيَّ عَلَى الْمَكِّيِّ لِأَنَّهُ خَاطَبَ الْعَرَبَ بِلُغَتِهَا،
وَمَا تَعَرَّفُ مِنْ أَفَانِينَ خَطَابِهَا وَمَحَاوِرَتِهَا، فَلَمَّا كَانَ كَلَامُهُمْ مَبْنِيًّا عَلَى تَقْدِيمِ الْمُؤَخَّرِ
وَتَأْخِيرِ الْمَقْدَمِ وَلَوْ نَقَدُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ لَقَالُوا مَا بَالُهُ عَرَبِيٌّ مِنْ هَذَا الْبَابِ الْمَوْجُودِ فِي
كَلَامِنَا الْمُسْتَخْلَى مِنْ نِظَامِنَا. قَالَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ:

مَا أَنْ تَبَدَّلَتْ مِنْ أَهْلِهَا وَحُوشًا وَغَيَّرَتْ حَالَهَا أُخْطُوبُ
عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَرُوبُ كَانَ شَأْنُهُمَا شَعِيبُ
أَرَادَ عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَرُوبُ إِلَّا أَنْ تَبَدَّلْتَ مِنْ أَهْلِهَا وَحُوشًا فَقَدِمَ وَآخَرَ.
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ مَلْمُومَةٌ طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ
أَرَادَ طَالَتْ الْأَوْعَالُ فَلَيْسَ تَنَالُهَا فَقَدِمَ وَآخَرَ. وَقَالَ جَرِيرٌ:

طَافَ الْخَيَالُ وَأَيْنَ مِنْكَ لَمَّا

أَرَادَ طَافَ الْخَيَالُ لَمَّا وَأَيْنَ هُوَ مِنْكَ. وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

أَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خِرْقَاءَ مَنْزِلَةٍ مَاءِ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومٌ

أراد ماء الصبابة من عينيك مسجوم لأن ترسمت من خرقاء منزلة ، فقدّم وأخر . ونظائرهما كثيرة . والذي يؤيد الوجه الأول وإن إستتار علم ذلك اختصار من الله تعالى ، ماروى عن الربيع بن خثيم أنه قال : إن الله تعالى أنزل هذا القرآن واستأثر منه بعلم ما شاء ، واطلعكم على ما شاء . فأما الذى استأثر به لنفسه فلمستم بنائليه فلا تسألوا عنه . وأما الذى أطلعكم عليه فهو الذى نسائل^(١) عنه فتخبرون به . وما كل القرآن تعلمون ولا بكل ما تعلمون تعملون .

الثالث : هو أن سورة الأنعام (س ٦) وإن كانت مكية النزول ، وقرع بها أهل مكة فهم وإن كانوا خطباء مبرزين ، وشعراء مفلقين فهم كانوا أمة أميين لا عهد لهم بالكتاب والكتابة ، فدخل خاصّتهم فى جملة الجهال ، وأهل المدينة وإن كانوا كفاراً فإنهم كانوا من اليهود ، ويتعاهدون الكتب ويتدارسونها ويستمعون إليها ويحصلونها ، فدخلوا فى جملة العلماء . وكما وجب تقديم العلم على الجهل فكذلك وجب تقديم حملة العلم على الأميين فى الخطاب ، فإن ذنب العالم أقبح من ذنب الجاهل : وليس الذى هو محجوج بحجة العقل كالذى هو محجوج بحجة السمع ، فأوجب الحكمة الابتداء فى التكلم بالسور المدنية وإن تأخرت فى النزول . ويؤيده قوله تعالى : (س ٣٩ آ ٩) « هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » ؟ وهذا من لطائف القرآن . وبالله التوفيق .

(١) كذلك فى الأصل والمراد تسائلون

الفصل الرابع

في بيان ما ادعوا على المصحف من الزيادة والنقصان

والخطأ والنسيان والكشف عنها بأوجز البيان

وإذ قد بينّا الكلام في أن القرآن تكلم سبحانه به على هذا الترتيب الذي هو في أيدينا اليوم ، لاعلى ترتيب النزول ، وأوضحنا الحجج فيه من دلائل الأخبار والإجماع والمعقول ، فبينّا أن نأخذ في ذكر ما ادّعى على المصحف من الزيادة والنقصان ، والخطأ والنسيان ، لأنهم يتذرعون بذلك على ابطال حكم القرآن ظناً منهم أنهم يدحضون محكمات البرهان . زعموا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أسقط من المصحف خمسمائة حرف . وقد بينّا فيما قبل ما يكفيها القول فيه من اتفاق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على تأليفه ورضاهم بمصحفه .

ولو كان كما قالوا لعارضه الحفاظ الذين حفظوا جميع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما وافقوه وتابعوه على إنكار هذا الباطل ونظائره كان في هذا برهان على أن جميع ما ذكره باطل . ولأنه لو كان كما زعموا لكان على رضوان الله عليه حين افضت الخلافة إليه يتداركها . لأن من أقر الخائن على خيائته كان كفاعلها إذا أمكنه ردّها فكيف وهو الإمام المطاع . ولو كان من ذلك شيء لنقل إلينا كما نقل حرقه الرجل الذي قال له : أنت أنت بالنار ، وأنشد :

إني إذا رأيْتُ أُمراً مُنكراً أوقدتُ ناراً ودَعَوْتُ قَنبراً

لكان يحمل الناس على الحق ويمنعهم عن الباطل ، ولكان أولى الناس باتباعه أصحابه الذين رووا عنه وجوه الأخبار والروايات والقصص والقراءات .

فإن قيل : كيف يصح ما أسست عليه كلامك ؟ وهديت إليه نظامك ؟

وقد روى عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب وهو يخطب على المنبر : إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً بالحق ، وأنزل معه الكتاب ، وكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجننا بعده ، وإنى أخاف أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : والله ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا لترك فريضة أنزلها الله تعالى ، ألا وإن الرجم حق على من زنى إذا أحصن ، وقامت البينة أو كان الحمل والاعتراف . ثم قد كنا نقرأ « لَا تَرْغُبُوا عَنْ أَبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفِّرَ بَكُمْ . أو أن كفراً بكم أن ترغبوا عن أبائكم » . وفي بعض الروايات ، وقرأنا آية الرجم وَوَعَيْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا .

وروى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : يا أيها الناس : قد سُنَّتْ لَكُمْ السُّنَنُ وَتَرَكْتُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ إِلَّا أَنْ تَضَلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا ، وآية الرجم فلا تضلوا عنها فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجننا ، فلا تقولن : لا نجد حديثاً في كتاب الله فإنها قد أنزلت وقرأناها « الشيخ والشيخة فارجموها البتة » ولولا أن يقال زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي . وفي رواية أخرى عن عمر رضى الله عنه أن آية الرجم قد أنزلت وقرأناها ونحن لا نجد لها فيما بين الدفتين .

قلنا : إن هذه الأخبار آحاد لا يجوز الاعتراض بأخبار الآحاد على ما ثبت بالتواتر ، بل يجب أن تطلب لها وجوه تنزل عليها وتساق إليها ليجمع بين الآحاد كلها ويقال بموجبها ، ولأن كل ما بين الدفتين قد بان عن غيره لعجيب نظمه الذى عجز عنه الأولون والآخرين من أهل اللسان . وما عداه فقد دل نظمه على أنه ليس بمعجز ، وأنه ليس بقرآن . فإذا وجه الرواية في آية الرجم يحتمل ، والله أعلم ، أن يكون معناه ، كنا نرويها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهدنا فعبر عن الرواية بالقرأة ، ومنه يقال : فلان يقرأ الحديث والسنن على فلان .

والذى يؤيد هذا التأويل قوله : لولا أن يقال زاد ابن الخطاب في كتاب الله

لكتبتها في المصحف ، ولا يقال زاد فيه لما عُرف أنه متصل ، لكنه لما كانت عنده سنة مؤكدة ، وحكماً لازماً ، حث على حفظها وقراءتها ودراستها لئلا يغفل الناس عنها كما حث على حفظ آي القرآن .

والذي يؤكده هذا التأويل حديث ذكره محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه قال : أخبرنا أحمد بن نجد بن العدنان قال : حدثنا سعيد بن منصور قال : حدثنا ابن شهاب عبد ربه ، عن عوف الأعرابي ، عن الحسن أن عمر قال : لقد هممت أن ادعو بنجر من المهاجرين والأنصار ، معروفة أسمائهم وأنسابهم ، واكتب شهادتهم في ناحية المصحف . هذا ما شهد عليه عمر بن الخطاب وفلان ، وفلان يشهدون : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم في الزنى ، وإني خفتُ أن يحمي قوم من بعد يرون أن لا يحدونها في كتاب الله فيكفرون بها . ومما يدل عليه أنه لو كان من القرآن لاثبتته في المصحف ، ولما تركه بقول الناس لأن ما كان قرآنًا فإنه لا يترك مخافة قولهم لأنهم لا يقولون لما كان قرآنًا أنه ليس بقرآن .

فإن قيل : فما الذي خافه عمر من إثباته ؟ .

قلنا : إنما خاف أن يثبت في المصحف ما ليس منه فيقال زاد في القرآن ، ولعل من ينظر فيه يضيفه إلى سائر ما في المصحف من القرآن فيكون هو سبب ذلك . وكان مقصوده من هذا القول إثبات وجوب الرجم وفرضه . لا أنه من القرآن المتلوف في المصحف . وتخصيصه كتابتها في حاشية المصحف دون إثباته دليل على أن تأويله ما ذكرناه .

وأيضاً فإن عمر كان يحث أبا بكر الصديق رضي الله عنهما على جمع القرآن صيانة له وحفظه ؛ فكيف يجوز عليه أن يترك إثبات ما هو قرآن عنده ولا يكتبه في المصحف مع حرصه على جمعه وحفظه وصيانيته ؟ ولأن أبا بكر جمع القرآن في أيامه فلم يكن عمر ليثبت في المصحف ما لم يره أبو بكر منه . ولأن الستة الذين

جمعوا القرآن وحصلوه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو خفي على عمر شيء من القرآن لسألم عنه فإن عرفوه أثبتوه ، وإن لم يعرفوه لم يثبتوه ، وكان بهم مستغنياً عن شهادة العدول . ومحال أن يكون أبو بكر أسقط من القرآن شيئاً احتاج عمر إلى إثباته .

وقد أجاب بعض العلماء عن هذا الخبر بأن قال : إنه كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في الابتداء من الأمر والنهي والجواب عن السؤال . وفي حادث يحدث ما يقضيه الله عز وجل من غير أن يكون ذلك قرآناً يجب إثباته في المصحف ، أو تجوز الصلاة به ، ويشافيه جبريل عليه السلام بذلك ، فيكون ذاك رسالة مؤداة ، فينتهي إليه ويمثله . ولا يثبت به قرآن ، محتمل أن يكون ما ذكر في هذا الخبر وأمثاله نزل على هذه الجهة فثبت حكمها بأمر الله عز وجل ، ولم يثبت رسمها لأنها لم تنزل على الجهة التي كان ينزل القرآن المتلوفى الصلاة عليها ، على ما أخبرت به عائشة رضي الله عنها إنه لما نزل عليه ما نزل من القرآن في شأن أهله علته وغشيته وتمخله فتور كالقبضة أو النوم حتى غرق وغطَّ في غشيته ، ثم سرى عنه وأفاق وقد نزل ما نزل عليه في شأنها ، وكان يسمى ذلك في وقت نزوله قرآناً ، ووحياً ، وكتاباً ، وتنزيلاً مضافاً إلى الله عز وجل ، إذ هو قرآن على معنى أنه يقرأ ، إذ كان ما يقرأ جاز أن يسمى قرآناً في مجاز اللغة ، وكتاب روحى ، وتنزيل على هذا الوجه . وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى : (س ٣٣ آ ٣٤) « وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ » إن الحكمة ما كان ينزل على هذه الجهة .

ومما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : أوتيت القرآن ومثله معه ، إنه الحكمة . ومعنى قوله : ومثله معه . هو : ما كان على هذا الوجه الذي ذكرناه مما فيه إعلام حكم وإثبات قضية لا إثبات رسم ولا إنزال قرآن . وقوله صلى الله عليه وسلم لأبي العسيف : سأقضى بينكم بكتاب الله ، ثم قضى بالرجم وليس له ذكر في

كتاب الله عز وجل ، فإنه عني بقوله : كتاب الله ، حكم الله الذي أنزله على الوجه الذي ذكرناه .

وقال بعض أهل العلم : أراد بقوله : في كتاب الله ، حكم الله ، نظير قوله : (س ٣٩٨) « فِيمَا كُتِبَ قِيَمَةٌ » ، أى أحكام عادلة ، وقوله : (س ٥٥ آ ٤٥) « وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ » ، أى حكمنا . وقول الشاعر :

وَمَالَ الْوَلَاءِ بِالْبَلَاءِ وَمِلْتَمُ وَمَا ذَاكَ قَالَ اللَّهُ إِذْ هُوَ يَكْتُبُ

أى يحكم ، مع أن وجه الدلالة في هذا الحديث إنهم إذ لم يكتبوا آية الرجم مع شهادة عمر بها ، ومع معرفتهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ، وأن الرجم من فرائض الله ، ولم يكتب عمر بيده مع ما قطع القول بأنها آية أنزلها الله ، ومع ما أنه أمير المؤمنين ، فكيف يظن بهم أنهم كتبوا آية في المصحف بشهادة رجل أو رجلين لولا أن الوجه في ذلك ما قلناه ؟

وكذلك الدلالة من قول عمر على أنه إنما كان يجعل ذلك بمنزلة الشهود ، لم يكن يجعله مما يودع المصاحف ويتلى في الصلوات أوضح وأظهر . ألا ترى أنه قال : لولا أن الناس يقولون : زاد عمر في كتاب الله ، لكتبتها بيدي ؟ أخبر أنه إن كتبها ظن الناس أنها من القرآن ، وإن كان قد تجب كتبها لثلاثين آية الزمان إلى دروس حكمها لولا ما حذر من ظن يعرض للناس أنها كسائر آيات القرآن . وإلا فإن عمر قد كان بحيث لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولئن ظن ظناً في ذلك فليس ذلك أيضاً مما يبعد . وجملة الأمر : إن امتناع الأمة من إلحاق ما ذكر عن أبي ، وعن عثمان ، بالمصحف دليل واضح على أنهم إنما أخذوا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذاً ظاهراً جلياً ، لم يخالفهم في شيء من آياته وكلماته شك . ولم يعتمدوا في ذلك على قول الآحاد وإن قال القائل معظماً فيهم . فإن قيل : أليس قد روى عن زر بن حبیش قال : قال أبي بن كعب : كم آى تقرأ بسورة الأعراف (س ٧) ؟ قلت ثلاثاً وسبعين أو ثنتين وسبعين . قال

قط ؟ قلت : قط . قال : والله لقد كانت توازى سورة البقرة (س ٢) . ولقد كانت أطول ، ولقد كان فيها آية الرجم . قلت : يا أبا المنذر وما آية الرجم ؟ قال : « إذا زنى الشيخ والشيخة فارجمهما البتة نكالا من الله . والله عزيز حكيم » .

قلنا : إن هذا الحديث ليس من الصحة^(١) بحيث تجب به الحجة ، فضلاً عن الزيادة في القرآن به : لأن أهل النقل قد ضعفوا سنده . ثم إن صح احتمال أن يكون معناه أن تفسيرها كان يوازي سورة البقرة ، وأن في تفسيرها ذكر الرجم الذي وردت به السنة في قوله تعالى (س ٣٢ آ ٥٠) « قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ » فيكون ما فرض عليهم في أزواجهم الرجم على الحرائر ، والجلد فيما ملكت أيانهم . وقوله تعالى (س ٣٣ آ ٣٣) « وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى » . وقوله تعالى (س ٣٣ آ ٣٤) « وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ » . وقد ذكرنا ما قيل في تفسير الحكمة ، وقد قيل : إن الحكمة السنة ، وآيات الله القرآن ، وهي حكمة أيضاً . ولولا أن ذلك كذلك لما كان عمر يتمتع من إثباتهما في الكتاب ، وهو خليفة مطاع ، وقد شهد به مثل عمر ، وأبي بكر ولم ينكره المهاجرون والأنصار .

وقد أجاب بعض العلماء عن هذا الخبر بأن كل ما لم يكتب بين الدفتين مما ورد الخبر بأنه قرآن ، أو هو مما أنزل ، فهو من الجنس الذي كان ينسخ ، ويرفع من صدور الرجال أيضاً . فلا يكون محفوظاً^(٢) بالقلوب ، ولا مكتوباً^(٣) في المصاحف . والذي يزيد على ما في أيدينا من سورة الأحزاب (س ٣٣) قد رفع ونسخ رسمه وحكمه إلا آية الرجم فإنه نسخ رسمه وبقي حكمه .

والذي يؤيد هذا المعنى قول أبي في الخبر إنها كانت فيما مضى توازى سورة

(١) في الأصل : في الصحة

(٢) في الأصل : محفوظة ومكتوبة .

البقرة ، ولفظه كان إخباراً عما مضى ، فكأنه أراد أنها كانت فيما مضى توازى سورة البقرة ، وأنها الآن لاتوازيها لما وقع من النسخ في الزيادة على ما في المصحف . ومن الدليل على أن في القرآن ما نسخ ورفع ومحى حفظه من صدور الرجال ما روى أن رجلاً قام من الليل ليقراً سورة من القرآن فلم يقدر على شيء منها ، وقام آخر ، وقام ثالث ، فذكر الحديث إلى أن قال : فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها مما نسخ الله البارحة . وقد قيل إن هذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن رفع المحفوظ من القلوب في باب الإعجاز كحفظ الكثير في المدة البسيرة ، ولا يكون ذلك إلا وقت النبوة للدلالة على صدق رسالته .

فإن قيل : أليس روى عن عاصم ، عن زرّ قال : في قراءة أبي بن كعب : « ابن آدم لو أعطى وادياً من مال لالتمس ثانياً ، ولو أعطى واديين من مال لالتمس ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » . وروى عن عكرمة قال : قرأ على عاصم لم يكن (س ٩٨) ثلاثين آية هذا فيها .

قلنا : ذكر ابن الأنباري أن هذا باطل عند أهل العلم لأن قراءتي ابن كثير وأبي عمرو متصلتان بأبي بن كعب لا يفرقان فيهما هذا المذكور في لم يكن (س ٩٨) ، مع أن هذا معروف في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، على أنه من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لا يحكيه عن رب العالمين في القرآن . وما يرويه أثنان معهما الإجماع أثبت مما يحكيه واحد مخالفاً مذهب الجماعة لاسيما والقرآن كل آية فيه معجزة حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على المخالفين .

فإذا خرجت من القرآن آية عن جملته فصارت في كلام المخلوقين زايلاً للإعجاز وكما لا يقال : قال الله تعالى هذا في القرآن ، لما لم يقله في القرآن ، فكذلك لا يخرج

أن كتاب الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم شيء يُنقى عن رب العالمين ، ويدخل في كلام البشر .

والذى يؤيد ما ذكرناه حديث روى عن العباس بن سهل قال : سمعت ابن الزبير على المنبر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن ابن آدم أعطى وادياً ملآن ذهباً لأحب إليه ثانياً ، ولو أعطى ثانياً لأحب إليه ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » . ويُبين أنه من كلام البشر اختلاف الألفاظ فيه . ففي حال يحكى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : لو أعطى وادياً من مال ، وتارة يروى ، وادياً من ذهب . وقد نزه الله سبحانه القرآن عن هذا الاختلاف ونفاه عنه بقوله (س ٤ آ ٨٢) : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْفُتُورُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » . يعنى : أنه لما كان من عند الله زال عنه الاختلاف .

وذكر الشيخ محمد بن عليّ : أن ما ذكر عن أبيّ ابن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه إياها ، فإن لذلك وجهين : أحدهما : أن يكون ذلك مما قد نزل به الوحي ، ثم نسخ الله تلاوته ، فعرف عامة الصحابة نسخه . ولم يعلم ذلك أبيّ فأقام على ما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وعلى ذلك يدُل ما روى عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن عمر أنه قال : عليّ أقضانا وأبيّ أقرأنا ، وإنا لندع بعض ما يقول أبيّ . وأبيّ يقول : ما أخذت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أدعه . وقال الله تعالى : (س ٣ آ ١٠٦) « مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا » . ألا ترى إلى إمتشهاد عمر بقول الله عز وجل : « مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا » ؟ ولم يكن ليستشهد بذلك إلا ليدل على أن ما يقول أبيّ ، قد نسخ عن التلاوة .

وروى عن علقمة بن قيس أنه قال : رآني أبيّ بن كعب فقال : كم تعدون

سورة الأحزاب (س ٣٣) ؟ فقلت : ثلاثاً وسبعين آية . فقال أبي : أما إنها كانت توازي سورة البقرة (س ٢) ولكن ذهب رسمها . فهذا الإقرار منه يرفع ما ذكر عنه في الحديث الأول .

والوجه الآخر : وهو أولاها عندي ، وعليه كان يعتمد شيخى أبو جعفر محمد بن أحمد بن جعفر ؛ أن الذى ذكره أبي قد كان من الوحي الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مما سوى القرآن الذى هو متلو فى الصلوات ، وذلك بمنزلة السنن التى أوحيت إليه خارج القرآن . قال الله عز وجل (س ٧٥ آ ١٨ ، ١٩) « فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ » ، فآخبر عن بيان ، بعد ما يقرؤه جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى (س ٣٣ آ ٣٤) « وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ » وإنما هى حكمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوها سوى آيات القرآن ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أوتيت القرآن ومثله معه .

قال : وأخبرنا إبراهيم بن المطيب قال : حدثنا عمار عن على ، عن محمد ، عن أبان . عن أنس ، عن عبادة بن الصامت قال : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (س ١٥٤ آ ١٥) « وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ » إلى قوله « أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا » وقال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين ظهرانى أصحابه إذ تربد وجهه ، وأخذته الرِّحضاء ، ثم مسح وجهه ، ثم قال : اقبلوا عني ، ثلاث مرات قد جعل الله لهن سبيلا . قالها ثلاث مرات أيضاً البكر بالبكر ، جلد مائة وتغريب سنة ، والثيب بالثيب ، جلد مائة ورحم بالحجارة .

وروى همام ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن صفوان بن يعلى بن منيه ، عن أبيه قال : كان يعلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، وقال عمر : أيسرك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الوحي ؟ قال :

فرفع الثوب فنظرت إليه وله غطيظ ، قال همام : أحسبه قال : كغطيظ البكر . فلما سرى عنه قال : أين السائل عن العمرة ؟ قال : فقال : اخلع الجبة ، واغسل أثر الخلق ، أو قال : أثر الصفرة ، واصنع في عمرتك ما صنعت في حجك . وإذا قد كان هذا سبيل نزول السنة عليه ، والذي ذكره أبيّ مما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مما أنزله الله خارج القرآن ، وكان أبيّ يذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجعله وحياً أنزل عليه من غير أن يجعله قرآناً يتلى ، وإن ثبت أنه أطلق عليه اسم القرآن ، فإن ذلك على معنى اشتقاق الاسم مما يقرأ ، ليس أنه ادعى أنه مما يتلى في الصلوات .

وكان شيخى أبو جعفر يقول : إنه لا يبعد أن يكون أبيّ لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر تلك الكلمات عن الله ، ولعله ذكرها في تضاعيف ما يقرؤه من القرآن على ما قد يبين الواحد منا معنى آية في تضاعيف قراءته من غير أن سوى به قراءة القرآن ، أو ذكرها موصولة بآية يقرؤها فظن ، لذلك أنها من جملة المتلو . فليست أمثال هذه الظنون مما يمتنع على السنن ، ولم يلزمه في ذلك حرج المتلو . إذ هو لم يضيف إلى ربه تعالى ما ليس من وحيه ، وإنما أضاف إلى ما يجب تلاوته من القرآن ، فلم يبلغ خطأؤه في ذلك مبلغ الحرج والضلال .

قلت : وهذا ممكن . ولكن الأخذ بغيره أولى ، لأن أبيّ بن كعب لم يكن بالمحل الذى يخفى عليه القرآن وحكمه في نظمه وإعجازه فيصل به ما ليس في جدّ نظمه ولا إعجازه ، ولا سيما وقد قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في سنة مرتين وأخذ عنه القراءة .

فإن قيل : أليس قد روى عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد^(١) بن زُرارة ، عن عائشة أنها قالت : كان فيما يقرأ من القرآن

(١) في الأصل : ابن أسعد .

فسقط، يحرم من الرضاع عشر رضعات^(١)، ثم نسخن إلى خمس معلومات . وقد روى في غير هذه الرواية : فكانت في جُلَيْد فأكله الدَّاجن لاشتغالنا بموته ، تعنى موت النبي صلى الله عليه وسلم .

قلنا : هو على ماقدّمنا ذكره . إن هذا من جنس ما كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر والنهى وغير ذلك على جهة التبليغ ، لا على جهة أنه قرآن يتلى ويكتب فى المصاحف ؛ لأنه لو كان من القرآن المتلّو المكتوب فى المصاحف لما بطل بأكل الداجن ، ولما سقط بالنسخ ، والله عز وجل يقول : (س ١٥ آ ٩) « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » ، وقال تعالى (س ٤١ آ ٤٢) « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ » ، ولو كان من القرآن لما اجتمع النسخ والنسخ فى آية واحدة ، بل كانت الآية النسخة تتأخر عن المنسوخة ، كما لا يجوز أن يجتمع حكمان مختلفان فى وقت واحد ، وحال واحدة ، وكيف يجوز أن يكون قرآن يتلى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماأخبرت به عائشة رضى الله عنها ، ولا يحفظه واحد من الصحابة ؟ ولا كاتب الوحى الذى جمع القرآن فى زمن أبى بكر ، وعثمان ، وهو : زيد بن ثابت رضى الله عنهم ؟ ولو كان من القرآن لما احتمل ما يذكرون حدوثه فيه من السهو والإغفال والتفريط حتى أكله الداجن ، أو سقط من المصحف مع شدة حرص الصحابة رضى الله عنهم على جمعه وحفظه ، كما لم يحدث فى غيره من الآى يدل على أنه من جنس ما كان ينزل عليه على جهة التبليغ والرسالة ، لا على جهة أنه قرآن يتلى أو يكتب .

ومن نحو هذا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ، حكاية عن ربه عز وجل ، إنه قال : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به »^(٢) .

(١) انظر الموطأ للإمام مالك بن أنس ص ٢٤ ، والاتقان للسيوطى ص ١٧٥

(٢) انظر صحيح البخارى ، كتاب الصوم . باب ٩ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا عند ظن عبدى بى ، فليظن بى ماشاء » ونحوها أخبار كثيرة يعلم ويتيقن أنه صلى الله عليه وسلم لم يعلمه ولم يحكمه إلا بوحي ورسالة من الله عز وجل . فمن زعم أن هذه الكلمات من عند الله عز وجل ووحيه وتنزيله فقد صدق ، لأنه حكم حكم به وأوحاه وأنزله ، ولا يجوز تلاوة شيء منه فى الصلاة إذ لم ينزل بالنظم الذى نزل به سائر القرآن ، الذى أمرنا بتلاوته وكتابته فى المصاحف ، ونقله إلينا العامة عن العامة . وقال بعضهم : معنى قولها كانوا يقرؤونها أى : فى حكم السنة لا فى حكم الكتاب ، على نحو ما ذكرنا فيما تقدم أنه يقال : تقرأ السنن والأحاديث ، لأنها لم تقل : كان يقرأ من القرآن . ومعنى قولها : نسخن كما تنسخ السنة بعضها بعضاً ، وقولها : كانت فى صحيفة ، يجوز أن يكون من السنة المكتوبة فى الصحيفة ، لأنهم كانوا يكتبون السنن فى الصحيفة . ألا ترى إلى ما روى أنه صلى الله عليه وسلم كتب لآل عمرو بن حزم كتاباً فى ضروب من الفروض ، والصدقات ؟ ويحتمل إن صحت هذه اللفظة أن يكون من القرآن متأولاً مفسراً من حكمه ، لا متولاً من لفظه ونظمه . ولولا أنه كذلك لما كانت الأمة تجمع على إسقاط ما ضمن الله سبحانه حفظه من الكتاب ، ومع ذلك فإنه كيف يتوهم أن يكون ذلك قرآناً بطل ناسخه ومنسوخه بأكل الداجن ؟ وكيف يصح أن يكون الناسخ والمنسوخ قد نزلا معاً حتى كتباً جميعاً فى جُلَيْدٍ فأكثرهما الداجن ؟ فإن قول القائل : إنهما كتباً فى رقعة واحدة منفردة عن غيرها يشير إلى نزولهما معاً حتى اتفق كتابتهما معاً فى موضع واحد دون سائر المواضع ، ولئن كان الذى أكله الداجن أحدهما دون الآخر ، وبقي الآخر ، فما بال المسلمين ماسمعوها شيئاً من ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تفردت عائشة رضى الله عنها بسماعه ، وتغافلت عنه إلى أن أكله الداجن . هذا والله البعيد الذى لا يتوهم . ثم إن كثيراً من الأخبار قد نقلها قوم يحبون نقل الغريب والشهرة به ، والافتخار

بما يؤخذ عنهم دون غيرهم من غير أن يصح أصله أو يعتمد على نقله . وما كان بهذه المنزلة فلا معترض به على كتاب الله عز وجل .

ومن ذلك حديث رواه أبو أحمد الغطريفى ، عن الحسين بن سفيان ، عن سعيد بن جبير ، عن معقل بن عبد الله ، عن عكرمة بن خالد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أباي : إني أقرئك سورة ، فقال له أبي : أو قد أمرت بذلك يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمي ؟ قال : نعم . قال : قلت : فأقرئنيها بأبي أنت . فأقرأه (س ٩٨ ١٦-٣) « مَا كَانَ ^(١) الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ^(٢) بِمُنْفَكِينَ ^(٣) حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ، رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ، فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ » ، وكان ها هنا في أصل الغطريفى حرف لم نحقق صورته ، أى ذات اليهودية والنصرانية .

قال : ^(٤) وأنا أظنه غير ذات ^(٥) اليهودية والنصرانية . إِنَّ أَقْوَمَ الدِّينِ حَنِيفِيَّةٌ ^(٦) مُسْلِمَةٌ غَيْرُ مُشْرِكَةٍ ، وَمَنْ يَعْمَلْ صَالِحًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ . وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَخَالَفُوا الْكِتَابَ لَمَّا جَاءَهُمْ ، أُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . مَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً

(١) في مصحفنا ، لم يكن .

(٢) كذلك في الأصل : والقراءة المشهورة عن أبي بن كعب : والمشركون .

(٣) في مصحفنا ، منفكين .

(٤) زعموا أن كل هذا النص من مصحف أبي بن كعب . انظر Materials

ص ١٧٩ .

(٥) في رواية أخرى : ورأيت اليهودية .

(٦) في رواية أخرى : الحنيفية

وَاحِدَةً فَأَرْسَلَ ^(١) اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ ^(٢) وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ . أُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ . جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ . ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ . »

وروى عن شعيب ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبیش ، عن أبي ابن كعب قال : قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن (س ٩٨) ، وقرأ فيها : « لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ سَأَلَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ وَأُعْطِيَ لَسَأَلَ ثَانِيًا ، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا لَسَأَلَ ثَالِثًا ، وَلَا يَمَلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ » ^(٣) ، وقرأ فيها « إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْخَنِيفَةُ السَّمْحَةُ . لَا يَهُودِيَّةَ وَلَا نَصْرَانِيَّةَ . وَمَنْ يَفْعَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ » ^(٤) .

وروى عن عطية بن قيس ، عن أبي إدريس الخولاني ، أن أبا الدرداء ركب إلى المدينة في نفر من أهل دمشق ومعهم المصحف ليعرضوه على أبي بن كعب ، وزيد وغيرهما . فغدوا على عمر ، فلما مَرُّوا بهذه الآية (٤٨ آ ٢٦) « إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ وَلَوْ حَمِيَّتُهُمْ كَمَا حَمَوُا فَسَدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » : فقال عمر : ماهذه القراءة ؟ فقالوا : أقرأنا أبي ، فقال عمر لرجل : أَدْعِ لِي أَيْيًّا . فجاء فقال لعمر : أنا أقرأتهم ، فقال عمر لزيد بن ثابت : إقرأ يا زيد . فقرأ قراءة العامة ، فقال عمر : اللهم لا نعرف إلا هذا . فقال أبي : والله يا عمر ، إنك لتعلم أني كنت أحضر وتغيبون ، وأدعى وتحجبون ، وَيُصْنَعُ بِي . والله لئن أحبيت لألزمن بيتي ، فلا أحدث أحداً بشيء ، ولا أقرئ أحداً

(١) في رواية أخرى : فبعث .

(٢) في رواية أخرى : بالمعروف .

(٣) انظر الإتيان للسيوطي ص ٤٢٥ .

(٤) انظر صحيح الترمذي ، كتاب التفسير على س ٩٨ .

حتى أموت . فقال عمر : اللهم غفرًا ، إنا لنعلم أن الله قد جعل عندك علمًا ، فعلم الناس ما علمت . فهذه وما يشبهها أحاديثٌ لم تَشْتَهَرِ بين نقلة الحديث وإِنَّمَا يرغب فيها من يكتبها طلبًا للغريب ، وما كان كذلك فليس لأحد أن يعترض به على الكتاب الذى قد حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اتصل بنا كالنهار الذى لا يُرِيب فيه ذو عينين . مع أنه ليس مجرى أكثرها إلاَّ نقل كلمة من موضع إلى موضع وتقديم لفظ وتأخير . وقيل : قد يحتمل أن يكون ذلك مما استحب تلاوته ، وأن أبا أُخبر عما كانوا يقرؤونه قبل النسخ ، أو أن يكون ذلك مما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل العرض الأخير .

يدل على ذلك ما روى فى الحديث الطويل الذى ذكر فيه فضل من قرأ كل سورة من القرآن على حياها ، فقال أبى : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة التى قبض فيها مرتين ، وقال فيه : من قرأ سورة لم يكن (س ٩٨) ولم يقل : سورة ما كان ، وكذلك رواية زِر عن أبى . والذى يؤكده ما قلناه اتصال قراءة أبى جعفر بأبن عباس ، وأبى هريرة ، وابن مسعود ، وغيرهم ، وهم قرأوا على أبى بن كعب ، واتصال قراءة أبى كثير بمجاهد ، وقرأ مجاهد على أبى عباس ، وقرأ أبى عباس على أبى ، واتصال قراءة أبى عمرو بمجاهد ، وسعيد بن جبير ، وهما قرآ على أبى عباس ، وقرأ أبى عباس على أبى . فهؤلاء الأئمة ، وأعلام الدين الذين رووا عنهم وحفظوا عليهم نبرة ، ومدة ، وتشديدة ، فلو كان من قراءة أبى ذلك لقرأه عليهم ، ولرووا عنه وحفظوا عليه لطول تلك الألفاظ ، مع أن كل من صحت قريحته ، وسامت فطرته ، علم أن ما ذكره ليس من جنس ما يتحدث الله به العرب بالإتيان بمثله لأنهم لم تكس كسوة النظام ، ولم تلبس رونق الإعجاز . وكيف يصح ذلك ؟ وأن عمر كان عام الحديبية مع النبى صلى الله عليه وسلم حيث صدوا عن البيت ، وقال فيه ما قال : أنعطيك الدنيا فى ديننا ، وراجع النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، والصديق أبى بكر على ما ذكر ، فكيف كان يخفى

عليه ذلك ؟ وأنه مما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، سكن بذلك ماخامر قلب عمر من اختلاج الريب ، هذا والله محال من المقال ، وضلال في الجدل .

فإن قيل : أليس قد روى في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من سرّه أن يقرأ القرآن غصّاً كما أنزل فليقرأه كما قرأه ابن أم عبد^(١) ؟ فكيف بالذى ذكر عنه رضى الله عنه أنه قال : المعوذتان ليستا من كتاب الله تعالى ، وإنه كان يحكيهما من المصحف ؟

وروى عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله بن مسعود كان يحكى المعوذتين من المصحف ، ويقول : لا تزيد فيه ما ليس فيه . وقال بعضهم ، في كتاب ما ليس فيه . والذى ذكر عن وكيع ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين قال : كان ابن مسعود لا يثبت المعوذتين ، ولا فاتحة الكتاب في المصحف .

قلنا : قد صححنا بالأدلة التي قدمناها : أن قراءة عبد الله بن مسعود ، في هذه القراءة التي في مصاحفنا . وليس في هذا الخبر دلالة أن له قراءة بخلاف قراءتنا ، بل فيه أن قراءة عبد الله قراءة مرتلة محققة ، تجب على من أراد الترتيل أن يتابعه في قراءته . ثم إن هذا الخبر إنما ورد في تقديم ابن مسعود في التحقيق والتمكين ، وحسن الأداء ، وجودة القراءة ، والإعلام بأن قراءته مرتلة محققة ، مقومة مرسلّة ، لأن الغصّاة من صفات القراءة ، وليس فيه ذكر الحروف ، ولا اعتبار الترتيب بحال . ألا تراه قال : فليقرأه كما يقرؤه ابن أم عبد ؟ أى كما يرتله ويقوّمه ، ويحسنه ، ويحققه ، ويقوم ألفاظه .

والذى يؤكّد هذا أنه قال في رواية أخرى : من أراد أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل . فوصف القراءة والتلاوة بالطراءة ، وحسن اللفظ بها ، ولم يتعرّض لذكر الحروف والترتيب .

(١) يعنى عبد الله بن مسعود .

روى أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد الدرقاء قال: حدثنا أبو شعيب الحراني قال: حدثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد الحراني قال: حدثنا زهير قال: حدثنا أبو إسحاق أنه سمع أبا عبيدة، عن عبد الله بن مسعود، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج هو وأبو بكر، وعمر وكان أبو بكر دعاهم فخرجوا من منزله إلى المسجد، مسجد المدينة، وعبد الله قائم يصلي ويقرأ، ثم جلس وتشهد وأثنى على الله عز وجل بما هو له أهل أحسن ما يثنى رجل، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ابتهل في الدعاء والنبي صلى الله عليه وسلم قائم يسمع، فجعل يقول: سوف يُعطه. فقال أبو بكر: من هذا يا رسول الله؟ قال: عبد الله ابن أم عبد، فمن سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه كما قرأه ابن أم عبد، فابتدره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فسبقه أبو بكر، وزعم عمر أن أبا بكر سبقه، قال عمر: كان والله سباقاً بالخير. وهذا واضح في رجوع هذه اللفظة إلى صفة قراءته من الترتيل والتقويم والتحسين. وروى ابن عمر، ومحمد بن أحمد بن حمدان قال: أخبرنا أبو يعلى الموصلي قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير قال: حدثنا ابن فضيل قال: حدثنا الأعمش، عن خيثمة، عن قيس بن مروان، عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد.

ثم يقال لهذا السائل المعتض بهذا الخبر على ما ادّعا: إن تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بتحسين القرآن وترتيله لا يدل على أن غيره لا يزيد في قراءته، ولا يقومها ولا يحققها، بل فيه التنبيه على حسن قيامه بها، وعنايته بتقويمها، وهذا لتخصيصه سالماً مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، بأخذ القرآن عنهم، لا يدل ذلك على أن غيرهم لا يؤخذ عنهم، بل فيه الإبانة عن قيامهم به، وعائتهم بتعليمه. يدل عليه: حديث رواه أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن مطرف الجراحي القاضي ببغداد قال: [حدثنا] أحمد بن محمد بن الجراح، قال: حدثنا أبو سفيان سعيد بن مسلم قال: حدثنا إبراهيم بن مهدي قال: حدثنا أبو إسماعيل

المؤدّب ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذوا القرآن عن أربعة : عبد الله بن مسعود ، فبدأ به ، وعن أبي بن كعب ، وعن معاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة . ونحو هذا ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أقضاكم علىّ ، وأفرضكم زيد ، وأعلمكم بالحلّال والحرام معاذ بن جبل ، وما أظلت الحضراء ، ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر . والقصد به أنهم أكثر استعمالاً لهذه العلوم تخصيصاً لهم وتفضيلاً .

ومعلوم أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لا يوازي به أحد من الصحابة ومن بعدهم ، في الصدق ، وفيهم جماعة يتقدمون هذا في العلم بالحلّال والحرام . فدل أن ذلك إعلام منه بأنهم أشد الناس عناية بهذه العلوم ، وأكثرهم استعمالاً لها ، فكذلك ما روى من تقديم عبد الله على غيره ، في حسن اللفظ ، والترتيل ، والتحقيق ، والتقويم . والله أعلم بجميع ذلك .

وأما عبد الله بن مسعود فإنه كان يمتنع في الابتداء من تسليم مصحفه إلى عثمان ، وكره توليه زيد بن ثابت كتابة المصاحف دونه حتى قال عثمان : من يعذرني من ابن مسعود ، يغضب عليّ ، إن لم أولّه نسخ القرآن ، فهلاً غضب على أبي بكر وعمر ، وهما وليّا زيد بن ثابت ؟

وقد قيل في هذا الخبر : إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا قول ابن مسعود وأنكروه حين قال : أعزل عن المصاحف ؟ وقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ، وزيد بن ثابت ذو ذؤابتين يلعب مع الصبيان . وقد روى أن عبد الله رجع إلى قول عثمان ، وإلى رأى الجماعة وندم على ما قال ، واستحيا منه . فروى أبو وائل هذه القصة ثم قال عقيبه : إن عبد الله استحيا مما قال . فقال : ما أنا بخيرهم ، ثم نزل عن المنبر .

وأما المعوذتان فلم يكتبهما في مصحفه أمناً عليهما من النسيان لشيوعهما ، وما

أنزلنا لأجله في الرجال والنساء حتى كان لا يخفى حال ذلك الأخذ والسر على الولائد والصبيان .

ولما كان الذي حملهم على الكتابة والجمع بين الدفتين مخافة ضياع القرآن ، وأمنَ عن ذلك في هاتين فلذلك لم يكتبهما فيه ، وكذلك فاتحة الكتاب ، لتعلق الصلوات بها فلم يمكن نسيانهم إياها مادامت الصلاة باقية ، والشرعية قائمة . وقال بعض أهل العلم : إن صحت الرواية عن عبد الله بذلك فالوجه فيه : أن عبد الله لم يكتب المعوذتين وأم الكتاب في مصحفه ، الذي قد جمع فيه ما أخذه عليه ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن ، دون ما لم يأخذه عليه ^(٢) مما ثبت عنده أنه من القرآن ، فتظاهر النقل وإجماع الحجة ما لم يأخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما روى عنه من أنه قال لم يزيدون فيه ما ليس فيه ، وإنه حكى المعوذتين ، فإنه أيضاً إن كان صحيحاً ، فإن وجهه لم يزيدون في مصحف ما ليس منه ، ولم يرد بذلك المصحف الذي للناس كلهم كما يقول الرجل : لم يزيدون في سماعي ما ليس منه ؟ وإن كان قد صح عنه بغير سماع . فيجوز أن يكون مصحف عبد الله كان فيه ما أخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقيناً بالقصد منه إلى تلقينه دون مسمعه عنه في قراءته في الصلاة ، ودون ما بلغه عنه ، وثبتت عليه حجة النقل به . والدليل على ذلك ترك القوم البراءة من عبد الله إن كانت الرواية عنه بذلك صحيحة . ودليل آخر وهو : إنا وجدنا الذين تعزى قراءتهم إلى عبد الله ، وإلى عبد الله رضي الله عنهما ^(٣) متفقين في ذلك على أن هذه السور الثلاث من القرآن ، ولو كان ما ذكر صحيحاً عنه لما كان يأخذها عليهم ، وفي هذا قطع شأقتهم . وقال بعضهم : وأما المعوذتان فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بهما الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وكان ينفث بهما على بدنه إذا نام ، فيمسح

(١) كذلك في الأصل : والصواب عن ، وعنه

(٢) يعني ، عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس

بهما جسده . وكان عامة المسلمين يفعلون ذلك . فأمن ابن مسعود عليهما النسيان ، كما أمن على فاتحة الكتاب ، لذلك ترك كتبتهما في مصحفه ، وكيف يمكن أن يجهل ابن مسعود أنهما من القرآن وهو يصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغدوات والعشى فسمعه يقرأ فاتحة الكتاب ، وسمعه يقول : لاصلاة إلا بها ؟ وروى عن سفيان قال : كنت جالساً عند حذيفة فمر ابن مسعود فقال حذيفة : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن من أقربهم وسيلة عند الله ، ابن أم عبد .

وعن مسروق قال : قال عبد الله : والذي لا إله غيره : ما نزلت آية من القرآن إلا وأنا أعلم فيما أنزلت . ثم قال : والذي لا إله إلا هو ، لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله تعالى منى تبلغه الإبل لأتيته . وإذا قد كانت هذه منزلته في العلم والفضيلة ، فكيف يظن به إنكار سور من القرآن هُنَّ من أشهر السور وأشدّها شيوعاً ، وأولاهها عند الأمة بالحفظ ؟

فإن قيل : فكيف بالحديث الذى ذكره غفّار بن مُسلم الصغّار قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي حارث بن الأسود ، عن أبيه ، عن أبي موسى الأشعري قال : أنزلت سورة مثل براءة (س ٩) فنسيت وحفظ منها « إن الله يؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم ، ولو أن لابن آدم واديين من مالٍ لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ثم يتوب الله على من تاب » . قلنا : قد تقدم من قولنا فيه ما أغنى عن التكرار إلا أن فى هذا الحديث زيادة ، ولأجلها أعدنا ذكرها . مع أنه يجوز أن تكون هذه السورة حفظ من تأويلها هذا الكلام . ومعنى قوله نسيت : أى نسيها هو ، أى سورة هى ، دون الناس ، كما يقول الرجل للرجل يسأله عن الأمر ، قد نسي هذا . كيف كان ، فلا تسألنى عنه . يريد نفسه أنه هو النَّاسِ دون غيره ، ويقول : قد فرغ من هذا الأمر وعمل بكتليل . يريد أنه هو الفارغ منه ، والقائل له ، والمُدبر دون غيره ، فن

في آيات القرآن ، ما يحتمل تفسيره ، الكلام . من ذلك قوله تعالى (س ٥٧ آ ١٤) :
 « وَعَزَّزْتُكُمْ بِالْأَمْثَالِ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ » [و] كقوله تعالى (س ٢٠٨ آ ٢٠) :
 « وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا » ، أى ليس فيه نقص . وكذلك قوله : إن الله يؤيد
 هذا الدين بقوم لا خلاق لهم . يكون تفسيراً لما يليق من القول أن يكون ذلك
 تفسيراً له . كقوله تعالى (س ٦٢ آ ٣) : « وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ » .
 يريد لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ في الفضائل هم دُونَهُمْ في كل خير وفضل ، وإن شملهم اسم
 الملة . ويجوز أن يكون تفسيراً لقوله تعالى (س ٣٣ آ ٩) : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا
 لَمْ تَرَوْهَا » إلى (١٢ آ) « غُرُورًا » . وقد كان بعضهم يستأذن وبعضهم
 يثبط كما قال في موضع آخر . و(س ١٦٨ آ ٣) « وَقَالُوا ^(١) لِإِخْوَانِهِمْ
 وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا » . وقالوا : (س ١٥٤ آ ٣) « لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ
 الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا » . فقال الله عز وجل (س ١٥٤ آ ٣) (قل) :
 « لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ » .
 فقد كان المنافقون يقاتلون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون في الحرب
 إيماناً أنهم من المؤمنين المخلصين ، فتقوى بقتالهم المؤمنون على عدوهم ، وبعضهم
 يقاتل على أحساب قومه كما روى عن ورمات المنافق في يوم أحد ، وقد قتل من
 المشركين ما لم يقتله أحد يومئذ إلا أمير المؤمنين على أبى طالب رضى الله عنه ، وقد
 قال النبي صلى الله عليه وسلم : من يقتل فهو في الجنة ، يعنى من المؤمنين . فقال
 المنافق : والله ما أقاتل إلا على أحساب قومي . وخبره مشهور ، ذكره أبو إسحاق ،
 والواقدي وغيرهما من رواة المعارف ، فيجوز أن تكون السورة الأحزاب
 (س ٣٣) لأن فيها ذكر المنافقين ، وهى شبيهة في ذلك ببراءة (س ٩) ، ويكون
 قوله نسيئاً ، أى أنه هو نسيئها دون غيره .

وقوله : حفظ منها أى من تفسيرها ومعناها ، وتكون مشبهة لبراءة فى ذكر المنافقين الذين لاخلق لهم ، الذين يقاتلون على الوجوه التى ذكرنا ، ومن ذلك حديث على بن عاصم ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى الحارث بن أبى الأسود ، عن أبيه ، عن أبى موسى قال : نزلت سورة كنا نشبهها ببراءة (س ٩) تغليطاً وتشديداً فنسيناها . غير أنى أحفظ منها : « لو أن لابن آدم واديين من مال لمتنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ثم يتوب الله على من تاب » . قال أبو موسى : ونزلت سورة كنا نشبهها بالمشبحات^(١) أولها : « سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » فنسيناها غير أنى أحفظ منها : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ »^(٢) . فيكون هذا الكلام تفسيراً من أبى موسى للآية ، ويكون ، نسيناها ، تركنا تفقد ما فيها ، كما قال تعالى (س ٩ آ ٦٨) : « نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ » ، أى نسوا أمره وما يجب عليهم من اتباعه .

فإن قيل : فكيف بالحديث الذى ذكره عبد الرحمن بن مهدي ، عن نافع ، عن أبى نعيم ، عن ابن أبى مليكة قال : قال مسور بن مخرمة : قال عمر بن الخطاب : لعبد الرحمن بن عوف : لم نجد فيما أنزل الله علينا أن « جاهدوا كما جاهدتم أول مرة »^(٣) قال : بلى . قال : فإننا لانجدها . قال : أسقط من القرآن قال : أخشى أن يرجع الناس كفاراً ليكونن . وذكر سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبى مليكة ، عن مسور بن مخرمة قال : قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف : أتذكرنا وكنا نقرأ : جاهدوا فى الله فى آخر الزمان ، كما جاهدتم فى أوله . قال : نعم يأمر المؤمنين ، ومتى ذلك ؟ قال : إذا كان وإذا كان .

(١) وهى س ٥٧ ، س ٥٩ ، س ٦١ .

(٢) انظر الاثنان للسيوطى ص ٥٢٦ .

(٣) انظر الاثنان ص ٥٢٦ .

قلنا : يجوز أن يكون ذلك مما كانوا يعرفون من حكم القرآن وتفسيره ،
 ويكون تفسيراً لقوله تعالى (س ٥٤ آ ٥) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ
 مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ » ، الآيتين ، وقوله : (س ١٤٤ آ ٣) « فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
 أُنْقَلَبَتْكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » ، فيكون مبيناً أن عليكم أن تقاتلوا أبداً بعد غيبة
 الرسول صلى الله عليه وسلم كما قاتلتم أول مرة ، وقوله تعالى : (س ١٦ آ ٤٨)
 « سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ » . وما أشبه
 ذلك من الآي الكثيرة في القرآن التي تدل على أن الجهاد عليهم أبداً ، كما كان
 عليهم أول مرة وأنها كثيرة ، ويكون معنى ، فإننا لا نجد لها ، معنى في لفظه ، وإنما
 كنا نقرأها في تفسيرها ومعانيها . قال : أسقط من القرآن ، أى من لفظه ، فلم تنزل
 بهذا اللفظ ، ليس على معنى أنها كانت منزلة ، ثم أسقطت ، كما يقال : تسقط
 الأخوة لأب مع الأخوة ، من الأب والأم ، وتسقط الأعمام والأخوة مع^(١)
 البنين والآباء ، يعنى أنه لم يفرض لهم فتكون ساقطة من لفظه ، وثابتة مقرؤة
 في حكمه وتفسيره . وقوله : أنزل الله علينا ، وقد نزل الله عليهم لتفسير رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كما ينزل عليه القرآن ، كما قال تعالى : (س ١٨ آ ٧٥ ، ١٩)
 « فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ » ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » . وإلا فما منع عمر
 وعبد الرحمن بن عوف ، وقد أقعدهما أبو بكر لجمع القرآن من أفواه الرجال ، أن
 يكتب ما أجمعاً عليه ؟ وشهدا أنه من الكتاب والقرآن لفظاً ، لا على معنى تفسير
 حكمه ، كما قد ذكرنا ، وهما قد أثبتا من القرآن في مثل ذلك وقبلاه من غيرهما
 ممن لعلهم دونهما ، وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن ذلك مما أثبت من السنة
 احتياطاً لها وحذراً أن يضيع علمهما عنهم مع كثرة الحاجة إليه .

فإن قيل : فكيف بالحديث الذي رواه مالك بن أنس ، عن أبي بكر بن
 محمد بن عمرو بن حزم ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة زوج النبي
 (١) كذلك في الأصل والصواب بالبنين

صلى الله عليه وسلم أنها قالت : كان فيما أنزل الله عشر رضعات معلوماتٍ يحرم من ، ثم نسخن بخمس معلوماتٍ فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مما يقرأ من القرآن . وروى بعضهم : أنها كانت في حقيفة ، وإنهم اشتغلوا بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل الدّاجن فأكلها .

قلنا : هذا شيء قاله الشافعي ، وخالفه مالك وغيره وهو الراوى له . واحتجوا بأن ذلك لو كان يقرأ ماتركه المسلمون ، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على قرأته ، ثم لم يرفعه ولم ينسخه كما ادعيت في غيره . وقال بعض العلماء : ولو كان قد حفظ عليهم بالقراءة لما عُدَّ بَعْدَ الصحيفة التي أكلها الدّاجن . والله تعالى يقول : (س ١٥ آ ٩) « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » وكيف تسلط عليه الدّاجن ولا يحفظه من أكلها حتى يعدم من أجل ذلك ؟ وتبطل به سنة في مناكح الرضاع يحتاج لها في كل وقتٍ وزمانٍ ؟ فيكون المعنى : أنهم يقرأونه في حكم السنة كما قلنا ، إن كان الحديث محفوظاً ، فهذا وجهه ، و « نسخن » كما ينسخ بعض السنة بعضاً ، ويكون الراوى لما سمع قولها ، وتقرأ « ونسخن » ، فقال في القرآن لما يسبق إلى وهمه ، ولم يكن في لفظ الحديث القرآن . ويجوز أيضاً أن يكون لو ثبت في الحديث أنه في القرآن : يعنى متأولاً مفسراً من حكمه كما قلنا ، لا متأولاً ولا محفوظاً به ، فإن لم يكن كما وصفنا ، فقد وجب على من خالفنا في هذا التأويل أن يكون ما روى عن عمر ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبي موسى الأشعري فيما زادوا في القرآن حقاً على أنه لفظة من القرآن وذاته ، لا على ما قلنا . وقد أجمعت الأمة على إسقاط بعضه من الكتاب والخطاب ، وإن كان ما يعلمه الأئمة من إسقاط ذلك هو الحق ، فقد زاد القوم في كتاب الله ما ليس فيه . وقد حكمت في أنه من زاد غير ذلك في كتاب الله أو نقص منه فقد كفر ، والفرق بين الزيادة والنقصان فقد تقدم من قولنا فيه في الفصل الثالث بما أغنانا عن الإطناب والإسهاب ، وكذلك القول فيه لما يأتيك من هذا الباب ، ولو أخذنا

في ذكرها واحداً فواحداً ، لأورث سامعه ، والحافظ له مؤن الإتياب ، والله الموفق للصواب .

فإن قيل : أليس روى عن سفيان ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت ابن الزبير يقرأ (س ١٠٤٣) « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ » (١) .

قلنا: هذه الزيادة إن صحت عنه فإنها تفسير من ابن الزبير ، وكلام من كلامه ، فخلط فيه بعض الناقلين ، وألحقه بالفاظ القرآن . يدل على صحة ما وصفت ماروى عن أبي عون ، عن صبيح قال : سمعت عثمان بن عفان يقرأ : « يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ » ، فما يشك عاقل أن عثمان رضي الله عنه لا يعتمد هذه الزيادة من القرآن إذ لم يكتبها في مصحفه الذي هو إمام المسلمين ؛ وإنما ذكرها واعظاً بها ومؤكداً ما تقدمها من كلام رب العالمين .

فإن قيل : أليس قد روى عن ابن عباس أنه قرأ : (س ١٥٢٠) « أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي » (٢) . وقال : لا يخفى شيء من نفس رب العالمين عز وجل .

قلنا : هذا أيضاً إن صح فإن معناه التفسير للحرف الذي تقدم في القرآن فخلطه بعض الناقلين بالقرآن . وقد روى عن محمد بن جهم ، حدثنا القراء قال : في قراءة أبي : « أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي . فَكَيْفَ أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهَا » ، وهذا أيضاً لا يطعن به على مصحف المسلمين لأن القراء لم يعوا أيّاً ، وهو حديث مقطوع وسند أبي عمرو وابن كثير يبطلانه (٣) .

(١) انظر Materials ص ٢٢٧

(٢) انظر Materials ص ٢٠١

(٣) انظر Materials ص ١٤٦

فإن قيل : أليس قد روى عن عليّ رضي الله عنه أنه قرأ : (س ١٠٣) «وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٍ»^(١) .

قلنا : هذا يبطل من ثلاث جهات :

أحداها ما روى عن يحيى بن آدم ، عن أبي بكر بن عياش قال : قال لي عاصم بن أبي النجود : ما أقرأني أحد من الناس حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو عبد الرحمن قرأ عليّ رضي الله عنه ، وكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن وأعرض عليّ زر بن حبیش ، وزر قرأ عليّ عبد الله بن مسعود . قال أبو بكر فقلت لعاصم : لقد استوثقت . فإنا روى أبو عبد الرحمن عن عليّ رضي الله عنه : «وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٍ» كما يقرأ المسلمون بشهادة عاصم عليّ أبي عبد الرحمن ، ورواية أبي عبد الرحمن تنسخ كل رواية في القراءة عن عليّ لموضع أبي عبد الرحمن من عليّ وضبطه عنه ، وأنه كان يقرئ الحسن والحسين . فهذه جهة تدحض رواية من روى عن عليّ «وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ» .

والجهة الثانية : أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لما أفضت الخلافة إليه بعد عثمان ، وكان إمام المسلمين وقودتهم ، فلو أنه علم «وَالْعَصْرِ» في مصحف عثمان الذي أجمع عليه المسلمون نقص «وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ» لم يستحل ترك خلل في المصحف ، و بعض ألفاظ ينقص بها من ثواب القارئ حسنات ، ويزول من جهتها معنى أراد الله تعالى وقصد له . فترك عليّ «وَالْعَصْرِ» في مصاحف المسلمين عليّ ما لا يعرف غيره هو الدليل عليّ أن من روى عنه «وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ» كذب أو نسي .

والثالثة : إن المسلمين اجتمعوا عليّ أن هذا هو القرآن الذي أنزله رب العالمين عليّ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لا زيادة فيه ولا نقصان . فمن ادعى زيادة عليه أو نقصاناً منه أبطل الإجماع ، وبهت الناس ، وردّ ما قد صح عن الرسول صلى الله

عليه وسلم ، وكان كمن قال : الصلوات المفروضات خمسون صلاة ، وتزوج تسع من النساء حلال ، وفرض الله أياماً يصام فيها مع شهر رمضان ، فإذا ردَّ جميع هذا بالإجماع كان الإجماع على القرآن أثبت وأؤكد ، والبقاء عليه أولى . وعلى رضى الله عنه داخل فى الإجماع غير خارج منه .

فإن قيل : كيف اعتمدتم المصحف ، وفيه من الخطأ الظاهر ، واللعن والاختلاط الذى لا يكاد يخفى على من تعلق بطرف من العربية ؟

فمنها قوله : (س ٢ آ ١٧٧) « وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ » ،
 وفرغ قوله « وَالْمُؤْفُونَ » ونصب قوله « وَالصَّابِرِينَ » ^(١) . ومثله فى سورة النساء
 (س ٤ آ ١٦٢) « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ^(٢) . وفى سورة المائدة
 (س ٥ آ ٦٩) « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ » ^(٣) .

ومنها قوله : (س ٢٠ آ ٦٣) « إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » ^(٤) . ومنها قوله :
 (س ٦٣ آ ١٠) « فَأَصْدَقَ وَأَكْنُ مِنَ الصَّالِحِينَ » ^(٥) . ومنها قوله :

(س ٢١ آ ٣) « وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا » . وقوله (س ٢ آ ١٣٧)
 « فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ » ، وتصحيحه « فَإِنْ آمَنُوا بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ » .
 واحتجوا بما روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ « فَإِنْ آمَنُوا بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ » ^(٦)

ويقول : إن الله ليس له مثل ، ويحدث عروة ، عن عائشة أنها سئلت عن قوله
 (س ٢٠ آ ٦٣) « إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » ، وعن قوله : (س ٥ آ ٦٩)
 « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ » ، وعن قوله : (س ٤ آ ١٦٢)

(١) انظر تفسير الطبرى ١٦: ٦ .

(٢) انظر المقنع للدانى ص ١٢٦ .

(٣) انظر كتاب المصاحف لابن أبى داود ص ٣٣

(٤) المقنع ص ١٣٦

(٥) كتاب المصاحف ص ٣٣

(٦) انظر Materials ص ١٩٥

« وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ، فقالت : يَا أَبْنِ أَخِي ، هذا خطأ من الكاتب^(١) . قلنا لهم : هذه رسمت في المصحف على سنن الحق والاستقامة والصدق .

وأما قوله : (س ٢ ١٧٧) « وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ » . فالمؤفون مرتفعون على المدح ، على معنى وهم المؤفون بعهدهم ، « وَالصَّابِرِينَ » منصوبون على المدح أيضاً ، بمعنى اذكر ، والفعل الناصب لا يحسن إظهاره ، وقال الفراء : أصل المدح والذم من كلام السامع ، لأن الرجل إذا أخبر الرجل قال له : قام زيد ، أى السامع علمه ، فقال : ذكرت والله الظريف ، ذكرت العاقل . هو والله الظريف وهو العاقل . فأراد المتكلم أن يمدحه بمثل مامدحه السامع فجرى الإعراب على ذلك . وقال الخليل : المدح والذم ينتصبان على معنى أعنى الظريف ، وأنكر الفراء هذا وقال : أعنى إنما يقع تفسيراً عن أسم مجهول ، والمدح يأتى بعد المعروف . ولو اطرّد لنا اضمار أعنى لأجزنا قام زيد أخاك ، على معنى اعنى أخاك . وهذا لا نقوله العرب نصباً ، والذم بمنزلة المدح يقال : مررت به الخبيث ، ومررت به الخبيث . ومنه قوله : (س ١١١ آ ٤) « وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ » ، « وَحَمَّالَةَ الْحَطَبِ » . فقد تدخل الواو على المنصوب على المدح والذم ، وتكون نكرة ، فيقال : مررتُ برجل مُنصفٍ من يناظره ، عاقلاً لبيباً عالماً ، قال : ويأوى إلى نسوة عاطلات ، وشُعُتاً مراضيعَ مثل السَّعَالَى ، فنصب شعُتاً على الذم . وقال آخر :

إِلَى الْمَلِكِ الْهَمَامِ وَلَيْثَ الْكِتَابَةِ فِي الْمَزْدَحِمِ

وَذَا الرَّأْيِ حِينَ الْأُمُورِ بَذَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللَّحْمِ

فنصب وليث الكتابة ؛ وذا الرأي . وقال في الذم :

وَكُلُّ قَوْمٍ أَطَاعُوا أَمْرَ سَيِّدِهِمْ إِلَّا نَمِيراً أَطَاعَتْ أَمْرَ غَاوِيهَا
الظَّاعِنِينَ وَلَمَّا يَظْعَنُوا أَحَدًا وَالْقَائِلِينَ لِمَنْ دَارَ يُخْلِهَا

وقال آخر :

سَقُونِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْنِفُونِي عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
فنصب عداة الله على الذم .

وأما قوله : (س ١٦٢٤) « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ »
فإن الفراء يقول : موضع « المقيمين » نصبٌ على المدح ، « والمؤتون » أيضاً
يرتفعون على المدح . والكسائي ينكر النصب والرفع في هذين على المدح ويقول :
إنما ينصبُ المدح والذم عندَ تطاول الكلام ، ولم يتطاول ها هنا ، لأن الخبر عنده
« أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا » .

قال الفراء : ولعمري إن أكثر كلام العرب على ما وصف الكسائي ، إلا
أنهم ينصبون على المدح ، والكلام غير متطاول . قال الشاعر :

نَحْنُ بَنَى ضَبَّةٍ لَا نَفِرُ

وقال آخر : نحن بنى ضبة أصحاب الجمل .

وفي رفع « الراسخين » وجهان :

أحدهما : أن يرتفعوا مما عَادَ من مؤمنون ، وينسق « المؤمنون » على
« الراسخين » . يحسنُ من هذا الوجه نصب « المقيمين » على المدح ، لأن خبر
الاسم قد انضم إليه قبل مجيء المدح .

والوجه الثاني : أن ترتفع « الراسخون » بما عاد من « أولئك » ، ويرتفع
« أولئك » بما عاد من الهاء والميم في « سَنُؤْتِيهِمْ » ، ويكون موضع « مؤمنون »
نصباً في التأويل على الحال من « الراسخين » . والمعنى : لكن الراسخون في
العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بالله ، في حال إيمانهم بالله ، أولئك سنؤتيهم أجراً
عظيماً . فيصح على هذا الجواب نصب « المقيمين » على المدح عند الكسائي ،
لأن الكلام لم يتطاول ، ولم ينضم الاسم إلى خبره قبل مجيء المدح .

وقال الكسائي : موضع « المقيمين » خفض بالنسق على ما في المقيمين كأنه قال : والمقيمين الصلاة هم المؤتون الزكاة ، كما تقول : مررت بالقائم فزيد . تريد مررت بالذي قام هو فزيد .

وقيل : موضع « المقيمين » خفض بالنسق على الهاء والميم . والمعنى : منهم ومن المقيمين ، وقيل : « المقيمين » خفض بالنسق على الكاف ، يعني : بما أنزل إليك وإلى المقيمين . وقيل : موضع « المقيمين » خفض بالنسق على الكاف الثانية ، وتأويله عندهم من قبلك ومن قبل المقيمين .

وقال ابن الأنباري : وهذه الأوجه الثلاثة قبيحة المذهب ، لأن المسكني المحفوض يصح^(١) النسق عليه لضعفه ، وإنما صح^(١) لضعف المسكني المحفوض ، إذ كان لا يفرد له اسم كما يفرد للمنصوب والمرفوع إذ تقول : أنا ، وأنت ، وهو في الرفع ، وإيأى ، وإياه ، وإياك في النصب ، ولا تجد للمسكني المحفوض اسماً مفرداً فلهذا ضَعُف .

وأما قوله (س ٦٩٥) : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَى » ، فإن فيها خمسة أقوال . كل قول منها غير خارج عن الصواب .

أحدها : أن تكون « الصابثون » ترفع بالنسق على ما في « هادوا » ، بمعنى : ماتوا ، فلا يكونون كفاراً في هذا القول ، ولا الصابثون بكفار أيضاً ، وإنما هم الخارجون من دين إلى دين ، كما قيل لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : الصابثون وقالوا فيمن دخل في دينه صلى الله عليه وسلم : قد صبأ ، والأصل فيه من قول العرب : قد صبأت منه ، أى طلعت ، والنصارى أنصار عيسى ، وليسوا هاداً في هذا الموضع . ومعنى « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ » : من داوم على الإيمان بالله ، إذ قد يؤمن من لا يدوم ، ولا يثبت . كالمنافق وغيره . فيبين فضل الثابت على الحق ، « والصابثون » نسق على ما في « هادوا » . هذا جواب الكسائي ، وخبر إن

(١) كذلك في الأصل : والصواب لا يصح ، ولم يصح .

ما عاد من الهاء والميم المقدرة. والمعنى : من آمن بالله منهم واليوم الآخر لما ضم «منهم»
 الثانى : رفع « الصابئون » بالنسق على الذم ، ونسق على المنصوب بالرفوع ،
 لأن « إن » ضعيفة العمل ولم يتبين عملها فى « الذين » ، لأن « الذين » تكون على
 هذه الحال فى النصب والرفع والخفض ، فيرجع إلى أصل الكلام ، وهو الرفع ،
 فتنسق عليه . وقد أجاز الكسائى ، والفراء ، أنك نفسك عالمٌ ، وأنا أنفسنا
 علماء ، وأنه نفسه متكلمٌ . وأنهم أجمعون منطلقون ، وأنتك ومحمدٌ فى الدار .
 وقال الفراء : إذا دخلت إن على اسم لم يتبين عملها فيه نسق عليه بالرفع والنصب
 جميعاً . وكذلك التوكيد ، فنه قولهم : إن قطام وهند عندنا ، وإن هؤلاء واخوتك
 يكرمونا ، وإن هذا نفسه عالمٌ ، لأن هؤلاء الأسماء لا يتغير إعرابهن ، وإذا
 دخلت ان على اسم يتبين عملها فيه ، وولى الاسم التوكيد ، والنعت ، والنسق لم
 يكن فيها إلا النصب . تقول : إن زيدا نفسه عالمٌ ، وإن محمداً وأخاك منطلقان ،
 وإن القوم وعبد الله عندنا ، لا يجوز فى المسبوق عند الفراء إلا النصب ليتبين
 الإعراب فى الاوائل . قال بشر بن أبى حازم :

وإلا فاعلموا إنا وأتم بغاة ما حيننا فى شقاق

رفع اتم بالنسق على النون والألف ، إذ لم يتبين عمل ان فيهما . وقال آخر :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإنى وقيار بها لغريب

رفع قيار بفعل مضمر ، والمعنى : فإنى بها لغريب ، وقيار بها أيضاً لغريب ، وقال
 بعضهم : قيار نسق على الياء ، وغريب خبر إن ، والمعنى : فإنى وقيار لغريبان ،
 فاكتفى بالخبر عن أحدهما من الخبر عنهما .

والثالث : أن يرتفع « الصابئون » بمن ، ومعناه : أن يضم خبر « إن »

ويبتدأ « الصابئون والنصارى » فيرفعوا بمن وما بعدها بالصابئون مسلمون ،

والنصارى أنصار عيسى غير كفار أيضاً . والمعنى : والصابئون والنصارى من آمن

منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ، « ومن » حرف جزاء يرتفع بما عاد

من « آمن » ، والفاء جواب الجزاء . أجاز الفراء وغيره زيدٌ إن يزرني أزره ، على معنى أن يرتفع زيد إن وما بعدها لأن ذكره اتصل بإن .
فإن قيل : كيف تكون « آمن » خبر أن المضمّر ؟ .

قلنا : معناه إن الذين آمنوا والذين هادوا يرحمون ، على قول من قال هم مسلمون ؛ ويعذبون ، على قول من قال هم كافرون ، ويعرضون على ربهم ، فخذفها سماعاً بمعرفة المخاطبين بموضعه .

وأما قوله (س ٢٠ آ ٦٣) : « إِنَّ هَذَا نِ لَسَاحِرَانِ » فالأصل فيه أنه لغة بني الحارث بن كعب أخذها عنهم قريش . وبنو الحارث يقولون : أكرمت الرجلان ، وركبت الفرسان ، ونظرت إلى العبدان .

قال الفراء : أشدني رجلٌ من الأزد ، عن بعض بني الحارث ، قول المتلمس : فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساعاً لناباه الشجاع لصمما وقال آخر :

كان صريف ناباه إذا ما أمرها
وحكى الفراء عنهم : هذا خط يدا أخى أعرفه .
وقال آخر :

تزوّد منا بين أذناه ضربة دعته إلى هابي التراب عقيم
وقال آخر :

إن أباه وأبا أباه قد بلغا في الجحد غايتها
والثاني : أن الألف في « هذان » غلبت عليها الفتحة التي قبلها ، فلم تخط إلى الياء كما غلبت الفتحة على الألف في قولهم : رأيت كلا الرجلين ، ومررت بكلا الرجلين ، ونظرت إلى كلتي المرءتين ، ورأيت كلتي المرءتين .

الثالث : أن هذا لما كانت الألف آخره وثنوا رضوا في التثنية بزيادة النون ، وقدروا : أن ألف هذا تكفي من ألف التثنية ، كما لو قالوا : رأيت الذين تكلموا ،

وواحد الذين الذى ، فلما جمعوا رضوا بزيادة النون فى الجمع .

الرابع : قال الكسائى : إنما لم يَحُطُوا الألف من « هذان » إلى الياء لأنه من الجزم المرسل ، والحرف المرسل ألف قبلها فتحة ، وواو قبلها ضمة ، وياء قبلها كسرة . فكروهوا أن يَحُطُوا الألف إلى الياء فينتقلوا من الحرف المرسل إلى الحرف المنبسط ، والحرف المنبسط عنده واو قبلها فتحة ، وياء قبلها فتحة ، وأنكر بعض البصريين هذا الجواب على الكسائى وقال : هذان اسم ، فكيف يدعى أن فيه جزئاً ، والجزم لا يدخل على الأسماء ؟ ولا حجة على الكسائى فى هذا ، لأنه لم يرد حقيقة الجزم ، وإنما ذهب إلى أن الياء والواو والألف سواكن يشبهن لسكونهن بالحرف ، وسمى الألف التى تسبقها الفتحة ، والواو التى تسبقها الضمة ، والياء التى تسبقها الكسرة حرفاً مرسلًا ، لأن الحروف تجرى على حركاتها ، وتتبعها مشبه ذلك بقول العرب : جاءت الإبل رسلاً متتابعة ، وسميت الواو التى تسبقها الفتحة ، والياء التى تسبقها الضمة حرفاً منبسطاً لانفتاح ما قبل الحرفين . يقال : قد انبسط القارىء فى قراءته إذا انفتح فيها .

الخامس : قال بعض النحويين : « إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ » هذان فى موضع رفع بالابتداء وإن معناها : نعم . قال الشاعر :

بَكَرْتُ عَلَى عَوَازِلِي فَلَحِينِي وَأَلُومُهُنَّ

وَيَقُلْنَ شَيْبَ قَدِ عَلَكَ وَقَدْ كَبُرْتُ فَقُلْتُ : إِنَّهُ

أى نعم . وأنكر الكسائى ، والقراء هذا القول . وقال القراء : « إِنَّ » إذا كانت بمعنى نعم ، وافتتح بها اللام تلقيت باللام ، أو بلا ، قال :

إِنَّ لَا خَيْرَ فِيهِ وَأَبْعَدَهُ اللَّهُ

أراد : نعم لا خير فيه . وقال آخر :

كَلِمَةٌ كَانَتْ خَطِيئًا مَقُولًا

يَحْكُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِ الْكَلْكَلُ لِيَمْنَعُهَا مِنْ عَلَى إِنَّ لَا

وقال آخر :

تأمل ولا تعجل بأمرٍ تريده فإن الفتى فى أمره ما تأملا
إذا قال ضحى إنك اليوم راحل ولى حاجة لم أقضها قلت إن لا
وحكى الكسائى عن العرب : إنَّ لَمْ شَرُّ طویلٌ . على معنى : نعم ثمَّ شرٌّ
طویل . وإذا كانت «إنَّ» على معنى نعم ، ووقعت آخر الكلام اقتصروا عليها
وربما زادوا عليها الهاء .

قال رجل لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتني إليك ، فقال : إنَّ ورا كها .
قال الشاعر : فقلت إنَّه ، أراد : فقلت نعم ، ثمَّ أغم الهاء لیسكت ،
ولو جاز أن يكون قوله «إنَّ هُذَانِ لَسَاحِرَانِ» بمعنى : نعم ، هذان لساحران :
لجاز إن زيّد لِقائم ، بمعنى : نعم . وهذا لا يميزه أحدٌ من النحويين ، ويفسد من
جهة إن المبتدأ لا يحال بينه وبين خبره باللام . فمن قال : عبد الله قائم ، لم يقل
عبد الله لِقائم ، لأن اللام تحجز بين الحرفين ، وتمنع الذى بعدها من تقريب
الذى قبلها .

السادس : قال جماعة من البصريين : ارتفع على هاء مضمرة ، ويرتفع «هاذان»
بالابتداء ، ومَّا بعد اللام خبر الابتداء والتأويل : إن هذان لهما ساحران ، فالهاء
المضمرة إسم إنَّ ، وجماعة الكلام خبرها ، واحتجوا بقوله :

إنَّ من يدخل الكنيسةَ يوماً يلق فيها جاذراً وظباء
أراد أنه من يدخل .

وقال آخر :

ولكنَّ من يُقتل قَتِيلٌ بأرضه ولو قتله الروم أو قَتِيل حميرا
أراد ولكنه من يقتل .

وقال آخر :

وقالوا مهدناه تراث أعزَّة ألا إنَّ من ينمى الكريهة يمهدا
أراد أنه ، وأجاز ، فلان .

قام عبد الله ، على معنى أنه قام ، قياساً على هذه الآيات : وقال ابن الأنباري :
قال أصحابنا : الهاء المجهولة لا تضمر ، لأن أى أداة لا تنصرف فتحتمل
الإضمارات ، ولا دليل على هذا المضمّر ، ولم يجوزوا إن قام عبد الله ، وتاولوا
الآيات على غير تأويلاتهم فقالوا : فى الآيات الأول لما ولى حرف إن حرف
الجزاء ، عمل عمل الجزاء وبطلت إن واحتج البصريون فى دخول اللام على
ساحران بقول الشاعر :

خالى لانت ومن جرير خاله ينل العلاء ويكرم الأخوالاً
ويقول الآخر :

أُمُّ الْجَلِيسِ لَعَجُوزٌ شَهْرِيَّةٌ تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بَعْظَمَ الرَّقَبَةِ
وهذان البيتان شاذان لا يحمل كتاب الله عليهما .

وقرأ أبو عمر الحرف على حقيقة الإعراب ، وظاهر النحو : « إِنْ هَذَيْنِ
لَسَاحِرَانِ » .

وروى أبو الزنادى ، عن خارجة بن زيد ، عن أبيه ، قال : القراءة سنة ،
فأقرأوا كما تجدونه .

مثل قولك : « إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ » (س ٦٣ آ ١٠) « فَأَصَدَّقَ
وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ » .

وعن المعلّى بن عيسى : كان عاصم الجحدري يكتب التى فى البقرة (س ٢
آ ١٧٢) « وَالصَّابِرِينَ » ويقرأها « والصابرون » ، ويكتب التى فى النساء
(س ٤ آ ١٦٢) « وَالْمُتَّقِينَ » ويقرأها والمقيمون . ويكتب التى فى المائدة
(س ٥ آ ٦٩) « وَالصَّابِتُونَ » ويقرأها « والصابئين » ويكتب التى فى طه
(س ٢٠ آ ٦٣) « إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ » ويقرأها « إِنْ هَذَيْنِ » ، ويكتب
(س ٨١ آ ٢٤) « وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ »^(١) ، ويقرأها « بظنين » .

وقال بعض العلماء : إن الجحدريّ غير الحروف في اللفظ ، ولم يغير الخط ، لقول عثمان رضي الله عنه لمّا أتى بالمصحف ، أرى فيه لحناً ، وستقيمه العرب بالسنتها . وفي قراءة عبد الله : وأسروا النجوى ، إن هذان ساحران ^(١) . وفي قراءة أبيّ : إن ذان إلّا ساحران ^(٢) .

وروى أبو عثمان ، عن عاصم : « إن هذان لساحران » ، لأن التأويل : ماهذان إلّا ساحران ، كما تقول ؛ إن قام لزيد . تعنى : ما قام إلا زيد ، وأكثر مايلي إن إذا كانت على هذا التأويل الماضي . قال :

هبلتك أمك إن قتلت لمسلماً وجبت عليك عقوبة المتعمد
وربما أولوها الأسماء والأفعال المستقبلية والحالة .

وأما قول العرب : قام أباك ، ورأيت أباك ، ومررت بأباك ، فإنهم جعلوا الألف ثابتة في حال رفعه ، ونصبه ، وخفضه ، ولأنهم شبهوه بالأسماء المعتلة ، فجرى مجرى قباك ، وعصاك ، وقفاك وأشباهها .

وأما قوله (س ٦٣ آ ١٠) « فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ » فإن موضع أ كن جزم . فالنسق على محل الفاء ، لأنها لو وضع موضعه فعل مستقبل كان جزماً هولك في الكلام « لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ . أَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ » وأجاز النحويون : إن ترزني فأزورك ، وأكرمك . بجزم أكرمك نسقاً على موضع الفاء ؛ لأننا لو وضعنا المستقبل موضعها لقلنا : إن ترزني أزرك وأكرمك ، قال أبو دؤاد :

فَابْلُونِي بَلِيَّتِكُمْ لَعَلِّي أَصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرِجُ قَوِيّاً

جَزَمَ أَسْتَدْرِجُ بالنسق على موضع الفاء ، لأن التفسير فاعلي أصالحكم .

وقال ابن الأنباري : هذا من أين قبلته ؟ . جواب فاسد ؛ لأن الفاء لا يحتاج

(١) انظر Materials ص ٦٠

(٢) انظر Materials ص ١٤٦ .

إلى إضمارها في هذا البيت إذا كان الأمر يستغنى عن الجواب ، وإنما جزم استدراج على جهة التسكين له وموضعه رفع^١ كما قال :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْفٍ

أى أشرب ، فسكن الباء تخفيفاً ، وحكمها على استدراج بالرفع ، لأنه منسوق على أصل الحكم .

وأما قوله : (س ٢١ آ ٣) : « وَأَسْرُوا النَّجْوَى أَسْرَهَا الَّذِينَ ظَلَمُوا »^(١) .

وجمع الفعل مع تقديمه على الفاعلين ، فإن فيه خمسة أوجه :

أحدها : أن ترتفع « الذين » بفعل مُقَدَّرٍ ، تريد : وأسروا النجوى ، أَسْرَهَا الذين ظلموا .

والثاني : أن يخفض « الذين » على الاتباع . والمعنى : للناس الذين ظلموا حسابهم وأسروا النجوى .

والثالث : أن ترتفع « الذين » بأسروا والواو لا تدل على ضمير في الفعل إنما هي علامة لفعل الجميع . تقول العرب : قاما أخواك ، وقاموا إخوتك ، يدخلون الألف في قاما ، والواو في قاموا : بمنزلة التاء في قامت ، ويقولون : أكلوني البراغيث ، فيجمعون الفعل في تقدمه لهذا السبب ، قالت امرأة من العرب ترثي ابنين لها :
لقد ساءنى أن خلياً زوّجتها
وأن عرياً يوم الوغى فرسأهما
فثنت الفعل وهو متقدم لما وصفنا . وأنشد :

يُلُومُونِي فِي السَّرِّ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ أَلُومٌ

فجمع الفعل في تقدمه .

وقال آخر :

وَلَكِنَّ دِيَانِي أَبُوهُ وَأُمُّهُ
بِحُورَانٍ يَعَصُرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِبُهُ

وقال آخر :

(١) هي في مصحفنا : وأسروا النجوى الذين ظلموا .

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ يَلْمَتِي فَأَعْرَضَنَ عَنِّي بِالْعُيُونِ الْفَوَاتِرِ
وَكُنَّ إِذَا عَايَنَنِي أَوْ سَمِعَنَ بِي سَعِينَ قَرَقَعْنَ الْكُرَى بِالْحَاجِرِ
وقال الله تعالى (س ٧١٥) : « فَعْمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ،
ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ » فجمع الفعل لما وصفناه . ويجوز أن يراد : ثم عموا
وصموا ، ذلك عمى كثير منهم ، ويجوز كثيراً منهم على معنى : ثم عموا وصموا
عمى كثيراً منهم ، وقيل : « الذين ظلموا » يرتفعون على الإتياع لما في « أَسْرُوا » .
وقال البصريون « الذين » يرتفعون على البدل ، مما في « أَسْرُوا » ^(١) وقيل :
إنما قالت عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير حين سألتها عن الحرف : هي خطأ
من الكاتب ، لأنها لم تكن في لغة قريش وليست بخطأ في الحقيقة .
وقال ابن الأنباري : هذا لا يُعْجِبُنَا لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ ؛
ولقريش مذاهب في كلامها ، واختلفت في ألفاظها ، واتساع في لغاتها . فكانت
عائشة رضي الله عنها من لغتها « إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ » ، فلما سَمِعَتْ « إِنَّ هَذَانِ
لَسَاحِرَانِ » أنكرته بخلافه ما تجرى به عادتها ، وكذلك الحرفان الآخران .
وروى قتادة ، عن أبي الأسود الدؤلي قال : نزل القرآن بلغة الكعبيين :
كعب بن عمرو ، وكعب بن لؤي .

وقال خالد بن سلمة الخزومي لسعيد بن إبراهيم : ألا تسمع ما يقول هذا
الأعمى ؟ إن القرآن نزل بلغة الكعبيين ، وإنما نزل بلغة قريش .
وروى حماد بن سلمة ، عن الزبير أبي خالد قال : سألت أبا ذر عثمان ، كيف
كان في المصحف (س ٤ ١٦٢) « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ »
ما قبلها رفع ، وما خلفها رفعٌ وهى نصب ؟ . فقال : هذا من أصل الكاتب لما
كتب ما قبلها قال : ما أكتب ؟ فقليل له : أكتب : والمقيمين الصلاة ، فكتب
كما قيل له . قلت : وكان المعنى : أكتب الذي قلنا : والمقيمين الصلاة .

وأما قوله (س ١٣٧ آ ٢) « فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ » ، فإن الله لا مثل له ، فإن المسلمين أجمعوا على إثبات مثل ، وعن ابن عباس أنه كان يسقطها ^(١) .
 روى عن أبي حمزة قال : قال لى ابن عباس : لا تقرأ « فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ » فإن الله تعالى لا مثل له ، ولكن اقرأ : « فَإِنْ آمَنُوا بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ » فإن فيه ثلاث حجج :

أولها : أن الكلام محمول على معنى صدقوا ، كأنه قال : فإن صدقوا بمثل تصديقكم ، وإن آمنوا بمثل إيمانكم .

الثانية : إن آمنوا بمثل إيمانكم وتزاد الباء للتوكيد كما زيدت في قوله : (س ٢٥ آ ١٩) « بِجِذْعِ النَّخْلَةِ » ، ومعناها هزى إليك بجذع النخلة .

الثالثة : إن مثل ، مزيد للتوكيد ، والمعنى : فإن آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا ، فدخلت مثل للمبالغة في التوكيد كقوله : (س ١١٢ آ ٤٢) « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » ، أى ليس كهو شيء فدخلت مثل لتوكيداً .
 قال الشاعر :

كمثل الشمس إذ بزغت بها نحظى ومِعْطَارُ

أراد كالشمس ، فدخل مثل تأكيذاً . فهذا وما أشبهه مما ادَّعوا على القرآن من الزيادة والنقصان ، والخطأ والنسيان . ذكرنا بعضها ، وإن كنا قد أودعنا كتابنا المعنون : بالأبانة والإعراب ، ولكننا أردنا أن لا يخلو كتابنا هذا عن شيء منه ، فمن اطلع على شيء دون ما كتبت عليه بذلك الكتاب ، فإنه جامع في هذا الباب ، وكتاب الزينة في سوالات القرآن ، وإن لم أستممه ، فإنه مقنع في الإيضاح والبيان . والله المستعان ، وعليه التكلان ولا قوة إلا به .

الفصل الخامس

في اختلاف المصاحف والقراءات ؛ والقول في كيفية

وإذ قد فرغنا من القول فيما ادَّعوا على المصحف من الزيادة والنقصان ،
والخطأ والنسيان ، فبنا أن نتكلم فيما طعنوا عليه من اختلاف المصاحف والقراءات ،
ونجيب على ذلك بأوضح الدلائل فنقول :

اختلفَ مُصحفَا أهل المدينة والعراق في اثني عشر حرفاً ، ومصحفَا أهل
الشام وأهل العراق في نحو من أربعين حرفاً ، ومصحفَا أهل الكوفة والبصرة
في خمسة أحرف . فكتب أهل المدينة (س ٢ آ ١٣٢) « وَأَوْصَى » ، وأهل
العراق : « وَوَصَّى » . وكتب أهل المدينة (س ٣ آ ١٣٣) : « سَارِعُوا إِلَى
مَغْفِرَةٍ » بغير واوٍ قبل السين ، وأهل العراق : « وَسَارِعُوا » بالواو . وكتب
أهل المدينة (س ٩ آ ١٠٧) : « الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا » بغير واو . وأهل
العراق : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا » بالواو . وكتب أهل المدينة في المائة (س ٥ آ ٥٣)
« يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا » بغير واوٍ قبل الياء . وأهل العراق : « وَيَقُولُ » بالواو .
وكتب أهل المدينة (س ٥ آ ٥٤) : « مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ » بدالين . وأهل
العراق : « مَنْ يَرْتَدَّ » بدال واحدة . وكتب أهل المدينة (س ١٨ آ ٣٦) :
« خَيْرًا مِنْهُمَا مُنْقَلَبًا » بميم بعد الهاء على التثنية . وأهل العراق : « مِنْهَا » بغير
ميم . وكتب أهل المدينة (س ٢٦ آ ٢١٧) : « فَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ »
بالفاء . وأهل العراق « وَتَوَكَّلْ » بالواو . وكتب أهل المدينة (س ٤٠ آ ٢٦)
« وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ » بلاألِف قبل الواو . وأهل العراق « أَوْ أَنْ »
بالف قبل الواو . وكتب أهل المدينة في حم عسق (٤٢ آ ٣٠) « بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِيكُمْ » بغير فاء . وأهل العراق : « فِيمَا » بالفاء . وكتب أهل المدينة (س ٤٣ آ ٧١)

« مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ » بالهاء . وأهل العراق : « مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ » بغير هاء .
 وكتب أهل المدينة في سورة الحديد (س ٥٧ آ ٢٤) : « فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ »
 وأهل العراق : « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » . وكتب أهل المدينة (س ٩١ آ ١٥)
 « فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » بالفاء . وأهل العراق : « وَلَا يَخَافُ » بالواو . فهذه الاثنا
 عشر حرفاً هكذا هجاوها في الإمام ، مصحف أهل المدينة .

وروى عن بعض العلماء حرف ثالث عشر ، وهو (س ٤٣ آ ٦٨) « يَا عِبَادِي
 لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ » في سورة الزخرف ، فهو في مصحف أهل المدينة بياء ثابتة
 بعد الدال من عباد . ولا ياء في مصحف أهل العراق .

وأما الحروف التي اختلف فيها مصحف أهل الشام ، وأهل العراق . فقرأ عبد الله
 ابن عامر في سورة البقرة (س ٢ آ ١١٦) : « قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا » بغير واو .
 وأهل العراق : يقرؤونه بالواو . وقرأ عبد الله (س ٢ آ ١٣٢) « وَأَوْصَى » بالألف
 وأهل العراق : بغير ألف . وقرأ عبد الله (س ٢ آ ٢٥٩) « لَمْ يَسْخَنَ » . وأهل
 العراق : بغير هاء . وقرأ عبد الله (س ٣ آ ١٣٣) « سَارِعُوا » بغير واو . وأهل
 العراق : بالواو . وقرأ عبد الله (س ٣ آ ١٨٤) « بِالْبَيِّنَاتِ ، وَالزُّبُرِ » بياء في
 الزُّبُرِ . وأهل العراق : بغير باء . وقرأ عبد الله في النساء (س ٤ آ ٦٦) « مَا فَعَلُوهُ
 إِلَّا قَلِيلًا » بنصب قليلاً . وأهل العراق : إلا قليل بالرفع . وقرأ عبد الله
 في المسائدة (س ٥ آ ٥٣) : « يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا » بغير واو . وأهل العراق :
 بالواو . وقرأ عبد الله (س ٥ آ ٥٤) « مَنْ يَرْتَدِدْ » بدالين . وأهل العراق :
 « مَنْ يَرْتَدَّ » بدالٍ واحدة . وقرأ عبد الله في سورة الأنعام (س ٦ آ ٣٢) :
 « وَلَدَارُ الْآخِرَةِ » بلام واحدة ، وأهل العراق بلامين . وقرأ عبد الله (س ٦ آ ١٣٧)
 « وَكَذَلِكَ زَيْنَ » بضم الزاي ، « قَتْلُ » بالرفع ، « أَوْلَادَهُمْ » بنصب الدال ،
 « شُرَكَائِهِمْ » خفض . وأهل العراق : « زَيْنَ » بفتح الزاي ، « قَتْلَ » بنصب

اللام « شَرَّكَائِهِمْ » بالرفع . وقرأ عبد الله (س ٥٢ آ ٦) : « بِالْعُدْوَةِ وَالْعَشَى »
 بالواو . وأهل العراق : بالألف ، وكذلك اختلافهم في سورة الكهف (س ٢٨ آ ١٨) .
 وقرأ عبد الله في سورة الأعراف (س ٣٧ آ ٣) : « قَلِيلًا مَا يَنْتَظِرُونَ » بناء
 وياء . وأهل العراق : « تَذَكَّرُونَ » بناء لاياء معها . وقرأ عبد الله (س ٤٣ آ ٧)
 « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ » بغير واو . وأهل العراق :
 « وَمَا كُنَّا » بالواو . وقرأ عبد الله قصة صالح في الأعراف (س ٧٥ آ ٧) :
 « وَقَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا » ، وقرأ أهل العراق : « قَالَ الْمَلَأَ » بغير واو .
 وقرأ عبد الله (س ١٤١ آ ٧) : « وَإِذْ أَنْجَاكُمْ » بغير ياء ونون . وأهل العراق :
 « أَنْجَيْنَاكُمْ » بياء ونون . وقرأ عبد الله في سورة براءة (س ١٠٧ آ ٩) :
 « الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا » بغير واو . وأهل العراق : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا » .
 وقرأ عبد الله في سورة يونس (س ٢٢ آ ١٠) : « هُوَ الَّذِي يَنْشُرُكُمْ » بنون
 وشين معجمة . وأهل العراق : « يُسَيِّرُكُمْ » بسين غير معجمة وياء . وقرأ
 عبد الله (س ٣٣ آ ١٠) : « حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ » بالجمع . وأهل العراق :
 « كَلِمَةُ رَبِّكَ » بالتوحيد . وقرأ عبد الله في بني إسرائيل (س ٩٣ آ ١٧) :
 « قَالَ مُبْحَانَ رَبِّي » بألف على أنه فعل ماض . وأهل العراق : « قُلْ » بغير
 ألف على الأمر . وقرأ عبد الله في سورة الكهف (س ٣٦ آ ١٨) : « خَيْرًا
 مِنْهُمَا مُنْقَلَبًا » بميم . وأهل العراق : « مِنْهَا » بغير ميم . وقرأ عبد الله في سورة
 المؤمن (س ٢٣ آ ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩) « سَيَقُولُونَ لِلَّهِ » في الحروف الثلاثة ، وأهل
 العراق : « سَيَقُولُونَ لِلَّهِ » في الحرف الأول ، « سَيَقُولُونَ لِلَّهِ » في الآخرين .
 وقرأ عبد الله في سورة النور (س ٢٤ آ ٣١) « أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ » بهاء مضمومة
 لألف بعدها . وأهل العراق : بفتح الهاء مع الف . وقرأ عبد الله في سورة الشعراء
 (س ٢٦ آ ٢١٧) : « فَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ » بالفاء ، وأهل العراق :

بالواو . وقرأ عبد الله في سورة النمل : (٢٧ آ ٦٧) « إِنَّا لَمُخْرَجُونَ » بنونين .
وأهل العراق : « أُنَّا لَمُخْرَجُونَ » بياء بعدها نون . وقرأ عبد الله في سورة
المؤمن : (س ٤٠ آ ٢٦) « وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ » بغير ألف . وأهل العراق
« أَوْ أَنْ » بإلحاق الألف . وقرأ عبد الله (٤٠ آ ٢١) « كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْكُمْ »
بالكاف . وأهل العراق : « مِنْهُمْ » بالهاء . وقرأ عبد الله في عسق : (س ٤٢ آ ٣٠)
« بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » بغير فاء . وأهل العراق : « قَبِإ » بالقاء . وقرأ
عبد الله في سورة الزمر : (س ٣٩ آ ٦٤) « تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ » بنونين . وأهل
العراق « تَأْمُرُونِي » بنون واحدة . وقرأ عبد الله في سورة الزخرف (س ٤٣ آ ٤٩)
« وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ » بضم الهاء ، ولألف بعد الهاء . وقرأ أهل العراق :
« يَأْيَهَا » بفتح الهاء . وقرأ عبد الله : (س ٤٣ آ ٢٤) « قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ »
بألف في « قَالَ » . وأهل العراق : « قل » بغير ألف . وقرأ عبد الله : (س ٤٣ آ ٧١)
« وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ » بالهاء . وأهل العراق : « تَشْتَهِي » بغير
هاء . وقرأ عبد الله : (س ٤٣ آ ٣٨) « حَتَّى إِذَا جَاءَنَا » بالثنية^(١) . وأهل
العراق : « جَاءَنَا » بالتوحيد . وقرأ عبد الله : (س ٤٣ آ ١٩) « الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ
الرَّحْمَنِ » بنون . وأهل العراق : « عِبَادُ الرَّحْمَنِ » بالباء وألف بعدها . وقرأ
عبد الرحمن في سورة الرحمن : (س ٥٥ آ ١٢) « وَالْخَبَّ ذَا الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانِ »
بالنصب . وأهل العراق : « ذُو الْعَصْفِ » بالرفع « وَالرَّيْحَانِ » بالكسر .
وقرأ عبد الله : (س ٥٥ آ ٣١) « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ » بغير ألف بعد الهاء ، والهاء
مضمومة . وأهل العراق : « أَيُّهَا » بهاء مفتوحة بعدها ألف . وقرأ عبد الله :
(س ٥٥ آ ٧٨) « تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ » بالرفع . وأهل العراق : « ذِي
الْجَلَالِ » بالخفض . وقرأ عبد الله : (س ٥٧ آ ١٠) « وَكُلُّ وَعَدَ اللَّهِ » بضم

اللام ، في الحديد . وأهل العراق : « وَكَلَّا » بالنصب . وقرأ عبد الله : (س ٥٧ آ ٢٤) « فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » بغير هو . وأهل العراق : « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » . وقرأ عبد الله : (س ٩١ آ ١٥) « فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » بالقاء . وأهل العراق : « وَلَا يَخَافُ » بالواو .

وأما الحروف التي اختلف فيها مصحفاً أهل الكوفة ، وأهل البصرة . فكتب أهل الكوفة « لَنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ » في سورة الأنعام : (س ٦ آ ٦٣) ، وأهل البصرة « لَنْ أَنْجَيْنَا » . وكتب أهل الكوفة في الأنبياء : (٢١ آ ٤) « قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ » . وأهل البصرة : « قُلْ رَبِّي » . وكتب أهل الكوفة في المؤمنين : (س ٢٣ آ ١١٢) « قُلْ : كَمْ لَبِئْتُمْ » في الأرض ، والذي بعده (١١٤ آ ١١٤) « قُلْ إِنْ^(١) لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا » . وأهل البصرة : « قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ » ، « قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ » بالالف . وكتب أهل الكوفة (س ٤٦ آ ١٥) « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا » بالالف . وأهل البصرة : « حُسْنًا » بغير ألف قبل الحاء وبعد السين ، والحاء مضمومة . وزاد بعض أهل العلم حرفاً سادساً وهو : (س ٧٦ آ ١٥٠ ، ١٦) « قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ » كتبه أهل البصرة بالالف في الأول ، وبغير ألف في الثاني . وأهل الكوفة بألفين في الأول والثاني^(٢) . فهذه الأحرف التي اختلفت فيها المصاحف ، وكلها صحيحة المعنى متقنة الفحوى ، لا مطعون للطاعن فيها . والدليل على أن هذه الحروف اختلفت فيها كتبت على الصحة والإيقان ، والعمد والقصد ، والإيثار لحفظ قراءتين على المسلمين قرأهما كليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقتين من أوقات مختلفة . وإن الذي وقع من

(١) « لَنْ » سقط من الاصل .

(٢) يعني : قواريرا .

النقص والزيادة والتبديل لم يكن عن سهو ناقل ، ولا لإسقاط ناسخ غافل هو أن
جملتها يجمعها الصحة والبيان ، ولكل حرف منها شاهد من البرهان ، وحُجَّةٌ
من الحق والرجحان .

فأوصى ، ووَصَّى ، لغتان لقريش وغيرها معروفتان قال :

أَأُوصَى أَبُو قَيْسٍ بَأَن يَتَوَاصَلُوا وَأُوصَى أَبُوكُمْ وَيَحْكُمُ أَنْ تَدَابُرُوا

وقال الآخر :

أَوْصَى بَدْعُهُ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْصَى بَدْعُهُ مَنْ يَهْمُ بِهَا بَعْدِي
وأما قوله : (س ١١٦ آ ٢) « وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا » بدخول الواو
لعطف جملة من الكلام على جملة تقدمتها وسقوط الواو صحيح . وعلته أن السورة
من القرآن تجمع من الأفاقيص والأنباء ما تجمع الخطبة ، والقصيدة ، والرسالة ،
فُعْمِلَ على أن قالوا كلام مستأنف . قال الله تعالى : (س ٦٧ آ ٢) « وَإِذْ قَالَ
مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا » ، تقديره
« فَقَالُوا » فأمسك عن الفاء لأن الكلام كالمستأنف بعد الكلام الأول لتتابع
القصص والأنباء . قال :

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطًا أَنْصَارًا شَمَّرَتْ عَنْ رِكْبَتِي الْإِزَارَا

كُنْتُ لَهَا مِنَ النَّصَارَى جَارَا

أراد : وكنت ، فلم يأت بواوٍ إشارًا للاختصار ، وبناء على أن كل حرف
يصلح الابتداء به يجرى مجرى المستأنف الذى لا يعطف على ما قبله إن كانت النية
فيه العطف .

وأما قوله : (س ١٣٣ آ ٣) « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ » ، فإن الواو
عطفَتْ سَارِعُوا على ما تقدم ، وسقوطها على نية الابتداء بما بعدها كسقوط الواو
من « قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ » ، ومثلها : (س ٤٣ آ ٧) « الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا » ، « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا مَا كُنَّا » (١) .
 وقوله : (س ١٨٤ آ ٣) « بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ » الباء الثانية فيه تؤكد الأولى ،
 ومن قرأ « بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ » قال : الواو تجمع ، ويلزم الذي بعدها حال الذي
 قبلها ، والباء الأولى تكفي عن الثانية . وقول العرب : مررت بأخيك ، وأبيك ،
 ومررت بأخيك وأبيك ، دليل على أن كلتي القراءتين على سنن الحق ومنهاج
 الصواب .

وأما قوله (س ٦٦ آ ٤) « مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا » فإن قليلا يرتفع لتقدم
 الجحد بمعنى مافعله إلا قليل ، ومن قرأ قليلا بالنصب حمل الجحد على الإثبات ،
 ونصب قليلا على الاستثناء من الضمير الذي في فعلوا وأجراه مجرى : (س ٢ آ ٢٤٩)
 « فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا » . والنصب مع شربوا أصح في علل
 النحويين من النصب في فعلوه ، لأن تقدم الجحد يوجب أن يكون الذي بعدها
 مشاركا لإعراب الذي قبلها . فكلام العرب السائر : مقام القوم إلا أبوك ، برفع
 الأب . وقام القوم إلا أباك بنصب الأب على الاستثناء مع الإثبات من الأسماء
 المذكورة المرفوعة مع الجحد تحمل على إعراب الذي قبله ، على أنه يروى عن
 العرب . « فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا » بنسق قليل على الضمير الذي في شربوا .
 وقد حكى هذا حاكون عن أبي بن كعب (٢) .

وأما قوله تعالى : (س ٥٣ آ ٥) « وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا » فإن الواو مع رفع
 يقول مستأنفة ، عطفت جملة على جملة . ومع نصبه ناسقة يقول : على « يَأْتِي »
 من قوله : (س ٥٢ آ ٥) « فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ » ، وأن يقول ، وعلى قراءة
 من لا يأتى بواو يقول مستأنف أوفق فيه إسقاط الواو ، وأن لاتذكر معه تغليبا
 للاختصار الذي هو أوجه وأقرب إلى الإفهام ، وكل بنعمة الله صواب .

(١) المقنع ص ١١٠ ، ١١٩ .

(٢) انظر Materials ص ١٢٢ .

ومن قرأ (س ٥٤ آ ٥) « يَرْتَدُّ » بدالين أخرج الفعل على أصله لأن الدال الثانية سَكَنَها الجازم . والأولى متحركة ، وسبيل المتحرك أن لا يدغم في الساكن ، إذ يليه الساكن الادغام في المتحرك ، لقوة المتحرك وضعف الساكن . ومن قرأ « يَرْتَدَّ » بدال واحدة بَنَى الواحد على التثنية في قول الفراء ، والادغام في التثنية واجب حين يُقال : أخواك لم يَرْتَدَّا . أصله لم يَرْتَدِدَا ، فنقلت دالان متحركان ، فأسكنت الأولى ، وأدغمت الثانية ، فصارتا دالاً مشددة . فلما حمل يرتد موحداً على يرتدا في الثانية ، لزم الواحد من الادغام ما استحقته الثانية وقال البصريون : لَمَّا قَالَتِ الْعَرَبُ بِالرَّفْعِ هُوَ يَرْتَدُّ وَأَصْلُهُ يَرْتَدِدُّ ، وَفِي النِّصْبِ لَنْ يَرْتَدَّ وَأَصْلُهُ يَرْتَدِدُّ ، فَلَزِمَ الْمَرْفُوعُ وَالْمَنْصُوبُ ، الْإِدْغَامُ مَتَحَرِّكِ الدَّالَيْنِ فِيهِمَا ، حَمْلُ الْجَزْمِ عَلَى الرِّفْعِ وَالنِّصْبِ ، لِتَتَأَلَّفَ الْأَبْوَابُ الثَّلَاثَةُ لِلْإِدْغَامِ وَتَتَشَاكَلَ أَلْفَاظُهَا . فَيَكُونُ ذَلِكَ أَخْفَى عَلَى اللِّسَانِ ، وَفَتَحَتْ الدَّالُ الثَّانِيَةَ مِنْ يَرْتَدُّ فِي قَوْلِ الْبَصَرِيِّينَ لِسُكُونِهَا ، وَسُكُونِ الدَّالِ الْأُولَى ، وَفَتَحَتْ عِنْدَ الْفَرَّاءِ ، كَمَا فَتَحَتْ مَعَ أَلْفِ التَّثْنِيَةِ .

ومن قرأ (س ٣٢ آ ٦) « وَلَدَارُ الْآخِرَةِ » قال الآخرة نعت الدار والدار معرفة بالألف واللام ، كما يقال في الكلام : والمرأة الفاضلة . ومن قرأ « وَلَدَارُ الْآخِرَةِ » ، أضاف الدار إلى الآخرة ، على أن الآخرة واقعة على جنس ما يتأخر . والدار نوع من الجنس كما قيل : هذا ثوب خز . فجعل الثوب نوعاً ، ومثله قميص وشيء ، وقد قالت العرب : حَبَّةُ الْخَضِرَاءِ ، وَالشَّيْءُ لَا يُضَافُ إِلَى نَفْسِهِ ، لِأَنَّ الْخَضِرَاءَ جِنْسٌ لِلْمَوْثِ الْمَوْصُوفِ بِالْخَضِرَةِ ، وَالْحَبَّةُ نَوْعٌ مِنَ الْجِنْسِ . وَكَذَلِكَ : لَيْلَةُ الْقَمَرِ ، وَمَسْجِدُ الْجَامِعِ ، وَبَابُ الْحَدِيدِ ، وَمَا يَجْرِي هَذَا الْحَرْجُ ، وَالْأَرْضُ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ كَلِمَتُهُمَا خَبَرُهَا خَيْرٌ .

وأما من قرأ (س ١٣٧ آ ٦) « وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ » . فإن الشركاء رفع بزَيْن ، والقَتْلُ ناصبه زَيْن ،

والأولاد خافضهم القتل . ومن قرأ . « وَكَذَلِكَ زُيِّنَ » برفع الزاى ورفع اللام من « قَتَلَ » ونصب الدال من « أَوْلَادَهُمْ » وخفض « شُرَكَاءَ » ، فإنه قال : القتلُ رفعُ زُيِّنَ ، وهو اسم ما لم يسم فاعله ، وخفض الشركاء ، بالإضافة ومعنابهم التقديم ، والأولاد مفعول القتل . وموضع الشركاء فى التأويل رفعٌ ، وإن كان لفظهم خفضاً ، لأن التقدير : وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين أن قتل شركائهم أولادهم ، والتفرقة بين الخافض والمخفوض قد جاءت عن العرب فى قولهم : هو غلام إن شاء الله أخيك ، وهو صاحب اليوم ألف دينار . يريدون غلام أخيك إن شاء الله ، وصاحب ألف دينار اليوم . فهذا مما حُمِلَ على ذلك قال الشاعر :

فرجبتها متمكناً رجَّ القلوص أبى مزاده

يريد : رج أبى مزاده القلوص .

وقال الفراء : ويروى زَجَّ القلوص ، أبو مزاده ، فاعل لَزَجَّ .

وقال الآخر :

لَمَّا رَأَتْ سَاتِيْدًا مَا اسْتَعْبَرَتْ لِّلَّهِ دَرُّ الْيَوْمِ مِّنْ لَّامِهًا

معناه : لله دَرُّ من لامها اليوم . وفيه وجه آخر وهو : أن يرتفع القتلُ زُيِّنَ ،

وينخفض الشركاء بقتل ، والأولاد مفعول القتل ، وتفسير الشرك أخذ من الأصنام الذين زينوا لأهل الشرك وأد البنات ، وذبح واحد من جماعة ذكور الأولاد تقرّباً بذلك إلى الشياطين ، ومن يدعو إلى عبادته من الأوثان والأنداد . ويدخل فى هذا المعنى قتل أولادهم شركائهم بخفض الأولاد والشركاء ، على أن الشركاء هم الأولاد ، إذ كان الأولاد شركاء آبائهم فى عيشهم ومالهم . فإخفاض الشركاء فى هذا الوجه بالترجمة ^(١) عن الأولاد ، وموضع الأولاد فى النية رفع بفعل ما لم يسم فاعله .

(١) يعنى بالبدلية

وتلخيصه : زَيْنٌ لكثير من المشركين أن قتل أولادهم . وقال الفراء : ومن ضم الزاي ورفع القتل جعل علة رفع الشركاء أنهم فاعلوا الفعل ، كما تقول العرب أَكَلَ الطَّعَامُ عَبْدُ اللَّهِ . يعني به أَكَلَ الطَّعَامُ ، أَكَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ . وتلخيص الحرف في القرآن : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم زَيْنَهُ شركاؤهم .

وأما قراءة عبد الله (٥٢٦) « غُدُوَّة » فهي أنه جعل غُدُوَّةً واقعة على نكرة ^(١) فالقراءة ، والذي عليه أهل النحو ، أن غُدُوَّة يغلب عليها التعريف وترك الإجراء ، ويقبح دخول الألف واللام عليها ، ^(٢) لأنه : قل ما يقال غُدُوَّةُ الجمعة ، كما يقال : غُدَاةُ الجمعة ، وهذا يوضح اختصاص غُدُوَّة ، وإيهام غُدَاة . وفي قول طرفه :

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوَّةٌ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوْصِ مِنْ دَدٍ

دلالة على تنكير غُدُوَّة ، على أنه يصلح أن يكون معرفة نُوْنَتْ لتصحيح أجزاء الشعر . وهي في الحكم غير منونة . وأما قوله (س ٣٢٧) « قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ » فإن معنى التاءين على قراءة عبد الله ^(٣) مُوجَّهٌ إلى الأولياء قليلًا ماتت ذكر الأولياء . وقرأ أهل العراق على أنه خطاب الأمة ، أى : قليلًا تذكرون يا أيها المخاطبون . فادغمت إحدى التاءين في الذال فصارتا ذالًا مشددة ^(٤) :

وأما قوله (س ١٤١٧) « وَإِذْ أَنْجَاكُمْ » فعلى أنه حدث عن الله عز وجل على الغيبة ، وإذ أنجاكم الله كما أنجيناكم ، فيكون مبناه على الإخبار عن المتكلم في حال إخباره عن نفسه .

(١) انظر الاتحاف للبناء ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) يريد اضافتها لما فيه الألف واللام .

(٣) ولكن قراءة عبد الله بن عامر كانت بالياء والتاء كما في المقنع ص ١١٠ ، ١١٩ .

(٤) « تَذَكَّرُونَ » بتخفيف الذال كانت قراءة الكوفيين وقراءة الباقين

بتشديد ها . انظر الاتحاف للبناء ص ١٣٣ .

وأما قوله (س ٧٥٧) « وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ أُسْتُكْبَرُوا » في خبر صالح عليه السلام . فالواو تعطف جملة على جملة ، وقراءة أهل العراق هي على استئناف القول وإجرائه مجرى المبتدأ .

وأما قوله (س ١٠٧٩) : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا » فإن حذف الواو منها على الابتداء والانتقطاع مما قبله ، وإثباتها على أنها تجمع ما بعدها مع الذي قبلها . وقال أحمد بن يحيى : موضع الذين اتخذوا ، رفع بمضمر تقديره في من نقص عليكم خبره « الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا » . وقال غيره : خبر « الَّذِينَ اتَّخَذُوا » (١١٠ آ) « لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ » .

وأما قراءة عبد الله (س ١٠ آ ٢٢) « هُوَ الَّذِي يَنْشُرُكُمْ » بالنون والشين ، فإن معناه : ييسطكم وييشكم ، وهو مشا كل لقراءة أهل العراق ، « يُسِيرُكُمْ » بالسين والياء ، لأن في التسيير انتشاراً وانسافاً . فكلا القراءتين يتقارب معناه .

وأما قوله : (س ٣٣ آ ١٠) « حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ » . فإنما جمعت الكلمة لأن الله ، عز وجل ، لعن أهل الكفر في حالات مفترقة ، وأوقات مختلفة ، وأوجب الأوصال^(١) والافتراق أن تكون الكلمة مجموعة ، وتوحيد أهل العراق علته : أن الواحد يكفي من الجمع وَيَأْتِي بمعناه ؛ فالأخصر والأخف ، أحق بالإيثار والاختصاص .

وأما قوله (س ١٧ آ ٩٣) « قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي » فإن معناه : قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : سبحان ربّي تنزيهاً له من عتوّكم وتمردكم عليه وقصدكم العنت وتعفية آثار الحق ، بعد أن عرفتموه ، وجرى بقيام الدلائل عليه مجرى المظهر المشاهد .

وَمَنْ قَرَأَ : « قُلْ » أخرجه على خطاب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، معلماً له ومؤذناً ، وواعظاً ومعرفاً .

وأما قوله (س ١٨ آ ٣٦) « خَيْرًا مِنْهُمَا » فإنما ثنى كناية عن « الْجَنَّتَيْنِ » (آ ٣٣) . وأهل العراق آثروا « أَتَتْ أَكْلَهَا » فردوا الفاء في منها على الهاء في « أَكْلَهَا » وما يتنافى المعنيان ولا يبعد ما بين القراءتين ، إذ تقول العرب : كلتا الجننتين اتتا أكليهما في هذا الطريق « خيراً منها منقلباً » .

وأما قوله (س ٢٣ آ ٨٥) « سَيَقُولُونَ اللَّهُ » فإن أولى اللامات لاختلاف بين القراء فيها ، لأنها جواب أول « لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا » ، فإن الجواب سَيَقُولُونَ اللَّهُ ، لأن اللام لما تقدمت رجعت في الجواب . وقراءة عبد الله « سَيَقُولُونَ اللَّهُ » في الآخرين ، وليس في السؤال لامٌ ، لأن معنى « قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ » فاطر السموات السبع والعرش العظيم . فكان الجواب لله ، حين قدرت اللام في السؤال وعلة الثالثة كعلة الثانية .

تقول العرب لمخاطبها : لمن الدار ؟ فأجيب بجوابين : أحدهما : لزيد . والآخر : زيد . واللام تدخل في الجواب بناء على ما سبقها وتسقط ، لأن تأويل لمن الدار ؟ مَنْ يملك الدار ؟ فيقول المخاطب : زيد ، وإذا قيل له : من مالك الدار ؟ قال : زيد . وإن قال : لزيد ، لم يخطئ . إذ تأويل مالكها ، لمن هي . وأهل العراق أسقطوا اللام من الثانى والثالث لما لم تتقدم في السؤالين لامٌ . وبنى أهل الشام على معنى الكلام لاعلى لفظه .

قال الشاعر :

فَقَالَ السَّائِلُونَ لِمَنْ حَفَرْتُمْ فَقَالَ الْمُخْبِرُونَ لَهُمْ وَزِيرُ

معناه : الحفور له وزير .

وأما قوله (س ٢٤ آ ٣١) « وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ » فإن ضم الهاء على على أن الهاء خلطت بما قبلها وألزمت ضم الياء الذى أوجبه النداء الفرد . وأهل

العراق أخذوا بأوضح العلتين . وقالوا : النداء يضم مكاناً واحداً ، والهاء متروكة على فتحها واتصال الألف بها . وأنشد الفراء :

يَأْيُهُ الْقَلْبُ اللَّجُوجُ النَّفْسِ أَفِقُ عَنِ الْبَيْضِ الْحَسَنِ اللَّعْسِ
بضم الهاء حملاً على ضم الباء . وكذلك قوله (س ٤٣ آ ٤٩) « يَأْيُهُ السَّاحِرُ » ،
(س ٣١٥ آ ٣١٦) « أَيُّهُ الثَّقَلَانِ »^(١).

وأما قراءة أهل المدينة والشام (س ٢٦ آ ٢١٧) « فَتَوَكَّلْ عَلَى » بالفاء ، فإن الفاء تأتي فيها بمعنى الإتصال كما يقال : ضربه فبكي . إذا اتصل البكاء بالضرب ، والواو للجميع على الإتصال ، والسين^(٢) إذا قام دليل باختصاص أحد المعنيين .

وأما قوله (س ٢٧ آ ٦٧) : « إِنَّنَا لَمُخْرَجُونَ » فإنه يوافق قراءة أهل العراق في المعنى ، لأن الاستفهام المتقدم في « أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا » قد أدخل إننا في معناه ، وانك بلفظ الخبر .

وأما قوله (س ٤٠ آ ٢٦) « وَأَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ » فالواو فيه تجمع أن يظهر مع أن تبدل ، أى أخاف ذا وذا . وقراه أهل العراق « أَوْ » فإن عليها أن أو يوجب حرف كل واحد على الإنفراد أو اجتماع الأمرين بعد تصحيح الإنفراد ، كما يقال : خذ عن الحسن أو ابن سيرين . أى تفرد بعلم أحدهما أو اجمع كلتي علميهما .

وأما قوله (س ٣٩ آ ٦٤) « تَأْمُرُونِي » بنونين فإن الحرف خرج فيها على الأصل لأن تأمروني بمنزلة وكادوا يفتنونني ، أولى النونين علامة رفع المستقبل فأخراهما المضمومة ، إلى ياء المتكلم الموجودة في تقتلني وتأمرني . وقراءة أهل العراق

(١) نظر المقنع ص ٢١ .

(٢) يريد الاستقبال أى التراخي .

« تَأْمُرُونِي » فإن علتها استئصال النونين المتحركتين وادغام السابقة في المتأخرة ليكون ذلك أخف على اللسان . وقراءة أهل المدينة : « تَأْمُرُونِي » ^(١) بتفخيف النون أصله التشديد أو من الحذف اختصاراً .

وأما قوله (س ٤٣ آ ٢٤) : « قَالَ أُولُو حِجْتِكُمْ بِأَهْدَى » فإن معناه : قال النبي صلى الله عليه وسلم . وقراه أهل العراق « قُلْ » ^(٢) على لفظ خطاب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله (س ٤٣ آ ٣٨) : « حَتَّى إِذَا جَاءَنَا » فإنه أراد حتى إذا جآنا الإنسان والشیطان ، وأهل العراق صرفوا الفعل إلى الإنسان ، لوضوح المعنى ، وزوال اللبس .

وأما قوله (س ٤٣ آ ١٩) : « عِنْدَ الرَّحْمَنِ » فإنهم عملوا على أن عند الرحمن منها محل ^(٣) ، وكان كما ذهب أهل العراق إلى أن العباد هم الخاضعون الخاشعون المتذللون لربهم . فعند الرحمن قد أتى بمعنى القراءة الأخرى ولا يخرج عن جميع مجملاتها .

وأما قوله (س ٤٣ آ ٧١) : « تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ » بالهاء فإن علتها ظهور الهاء التي تتم ما ، إذ لا بد لها من عائد في صلتها . وحجة أهل العراق أن الهاء في تمام ما ، فلما طال الاسم خفف بحذف الهاء منه . هذا قول هشام ، وإليه ذهب المازني .

وقال الفراء : سقوط الهاء لدلالة ما عليها ، ولأن ما لا يكون سقوط الهاء نصباً ^(٤) إذ صلتها لا تحدث فيها اعراباً .

(١) انظر التيسير للداني ص ١٩٠ .

(٢) انظر الاتحاف للبناء ص ٢٣٨ .

(٣) يعني ان عند ظرف مكان .

(٤) يعني مؤثراً فيها .

وأما قوله (س ٤٢ آ ٣٠) : « فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » . فالعلة في ذلك ان الفاء عَرَفَ مكانها فاختصر بحذفها . فأهل العراق عملوا على أن يخرج الكلام على أصله أولى أن يُؤثر ، وأنشد :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان
معناه فالله يشكرها فاضمر الفاء .

وأما قوله (س ١٢٥٥ آ ١٢) : « وَالْحَبَّ ذَا الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانَ » فإن علقته انتصاب الحرف بفعل مضمر ، أى وخلق الحب ذاك العصف ، لأنه لما قال قبله « وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ » دلّ وضعها على خلق الحب لأهلها ، وأهل العراق عطفوا الحب على الفاكهة ، وأهل الشام لما قرأوا (آ ٧٨) « تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ » قالوا ذو نعت الاسم . كما قال أهل العراق : « ذِي الْجَلَالِ » نعت ربك .

وأما قوله (س ٢١٤٠ آ ٢١) : « كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً » ، فإن الكاف تقابل الهاء كما عرف ذلك في قوله (س ٢٣١٠ آ ٢٣) : « حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِرَبِّهِمْ » . ومعناه وجَرَّتْ بِكُمْ . وفي قوله (س ٢١٧٦ آ ٢٢) : « وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ، إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً » معناه : لهم . وأهل العراق ردّوا الهاء على اسماء الغُيَّب المتقدمين

وأما قوله (س ٢٤٥٧ آ ٢٤) : « فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » ، فإن الغنى خبر إنَّ . والمعنى قائم بنفسه . وأهل العراق يحتجون : بأن « هو » المضمرة هي الخبر ، لأن أن^(١) تلزم كل الكلام ، ولو قيل : الله الغنى الحميد ، لقلت : على الغنى يصح أنه نعت والمظنون أنه عند دخول « هو » أن الغنى خبر ليس بنعت .

وقال سيبويه ، وهشام : لاموضع لهو من الإعراب . لأن هو ، بمنزلة ما في^(٢)

(١) في الأصل : ان لا ولا لزوم للا هذه .

(٢) هكذا في الأصل : ولا داعي إلى ما في .

التوكيد . وقال الفراء : موضعه رفع لأن هو مع الغنى بمنزلة شيء واحد ، ولقبه عند الكوفيين العماد ، وعند البصريين الفصل . وفي هو وجه آخر مبناه على أن هو اسم خبره الغنى . وخبر إن رجوع الهاء من هو الذى يفيد دخوله التوكيد . وأما قوله (س ١٥٩١) : « فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » فإن الفاء فيها تصل الذى بعدها بالذى قبلها وهو « قَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ » ، فسوى الارض عليهم مما يخاف عقبي هلكتهم ، ولا يُقدَّرُ أن يرجعوا إلى السلامة ، بعد أن ازالها عنهم ، ويصلح أن تكون « سَوَّاهَا » سوى الأمة في العذاب ، فعذب صغارها كما عذب كبارها ، فما يخاف على ذلك من نائير لهم ولا غاضب ، لما نزل بهم . وأما الواو في قراءة أهل العراق ، فإنها جمعت التي اتصل بها مع العقر ، إذ انبعث أشقاها بعقرها ، وهو لا يخاف عقبي عقرها ، أى لا يستشعران الهلاك ، ينزل به من جهة عقره إياها .

وأما قوله (س ٦٣٦) « لَنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ » فإنه مبنى على انجانا الله كما بنى الكوفيون الفعل على الاخبار بالمشاهدة والحضور والحديث عن النفس . وأما قوله (س ٤٢١) : « قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ » فإنه حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغيبة ، والبصريون أجروا « قُلْ » على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى له ، وللامّة وفيه لطافة وهى : أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أمر بذلك القول ففعل ما أمر به ، فحكاه الله عنه فاجتمع في اللفظتين الأخبار عن الحالتين . أى قيل له صلى الله عليه وسلم « قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ » ، فاطاع وقال : ربى يعلم القول .

وكذلك (س ١١٣٢ ، ١١٤) « قَالَ : كَمْ لَبِئْتُمْ » ، و« قُلْ نَمَّ لَبِئْتُمْ » ، « قَالَ : إِنْ لَبِئْتُمْ » ، « قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ » .
وأما قوله (س ١٥٤٦) : « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا » فإن

معناه كمعنى قراءة أهل البصرة « حُسْنًا » لأنهما مصدران يرجعان إلى معنى .
وتأويل الكلام وَوَصِيْنَاهُ أَنْ يَفْعَلَ لَهَا حَسَنًا ، أو إِحْسَانًا .

وأما قوله (س ١٠٥٧ آ ١٠) : « وَكُلُّ وَعْدَ اللَّهِ الْحُسْنَى » . فإن العلة فيه
اضمارُ هَاءٍ مع وَعْدَ ، وتقديره : وكل وَعْدَهُ الْحُسْنَى ، كما عمل أهل العراق على سبق
الوعد إلى كل ، والاستغناء بذلك عن ضمير الهاء . والعرب تقول : كل العدو
لقيتُ ، وهم يريدون لقيته . قال أبو النجم :

قَدْ أَصْبَحْتَ أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي عَلَى ذَنْبًا كُلَّهُ لَمْ أَصْنَعْ

ويروى كُلَّهُ وَكُلَّهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ التفسير

وأما قوله (س ٤٣ آ ٦٨) : « يَا عِبَادِي لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ » . فإن العلة في
ذلك خروج الحرف على أصله ، كما عمل أهل العراق على أن النداء موضع حذف
واختصار ، فلما وقعت الياء منه موقع التنوين المنسقط من : يا زيد أقبل ، كان
الأولى سقوط الياء بناء على سقوط التنوين .

الفصل السادس

في اختلاف القراءات

وإذ قد ذكرنا اختلاف المصاحف وبيّنا الوجه في ذلك ، وكشفنا العلل ، وأوضحنا المسالك ، فبنا^(١) أن نشرع في اختلاف القراءات فإنه أيضاً مما شنع به على أئمة المسلمين في القرآن ، ونسبهم أهل البدع والضلالات فيه إلى خلاف مصحف الجماعة بالعدوان ، ونشرع في نقض ما موّهوا به على الأغرار^(٢) ، ولبسوا بالاتساع فيها على الأغمار ، وإبطال ما أجروا إليه من ذلك بأوضح البراهين والدلائل ، وأؤكد الحجج والإبانات .

فأول ذلك قوله تعالى (س ٢١١ - ٤) « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ » . زعم خصوم أهل الحق : أن قراءة من قرأ « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » بالألف تخالف هجاء المصحف ، إذ خط المصحف الألف غير مرسومة فيه : وقالوا : لو كانت الألف لازمة في اللفظ لم تسقط من الخط هاهنا ، كما لا تسقط من قولهم : عبد الله مالك الدينير والدرهم . فرد ذلك عليهم قبل بالحجاج باللغة ومقاييس أهل النحو بقول الله تعالى . يقول الله تعالى : (س ٣٦) « قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ » فإن الألف مسقطه من خطه ، مثبتة في لفظه بإجماع القراء على ذلك . فما منهم قارئ قرأ : مَلِكُ الْمُلْكِ ، ولا جوزّه نحوي ؛ لأن الملك مفعول ومَلِكٌ مما لا يتعدى إلى مفعول . فبطلت معارضتهم ، فرد المختلف فيه إلى المتفق عليه ، ثم رجّعنا إلى الاحتجاج باللغة والنحو فوجدنا لإسقاط الألف « مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ » حججاً سنيّة .

(١) يريد : فعلينا .

(٢) في الأصل : الاغثار ، والصواب الاغرار .

أولاهما : إن « مالك يوم الدين » ، « ومالك الملك » وصفان ينفرد بهما الله تعالى . لا يقال « مالك يوم الدين » ، « ومالك الملك » لأحد من المخلوقين . فلما علما وصفين لله عز وجل دون غيره ، جرى كل واحدٍ منهما مجرى « الرحمن » الذى لا يسمى به غير الله عز وجل . فسقطت الألف من « مالك يوم الدين » و « مالك الملك » كما سقطت من الرحمن . وكان مالك فى هذين الموضعين ، يخالف مالك الدراهم والدنانير من أوصاف المخلوقين ، التى تكثر وتتسع ، ولا تختص ، وتختص على معنى يوضح الفرق بينهما بأن المقصور على البارى جل جلاله حكمه فى الحد ، وحكم الرحمن فى اتفاقهما فى المعنى ، واجتماعهما فى أصل العلة ، وما يكثُر ويتفرق ويَزيَلُه الاختصاص تلزم خطؤه الألف ، كما تلزم قائماً ، وقاعداً ، وضارباً ، وشامئاً ، وما يجرى مجراه .

الحجة الثانية : إن « مالك يوم الدين » ، « ومالك الملك » لما كان أحدهما فى فاتحة الكتاب التى قد نُدبَ العالم إلى قراءتها ، ومواصلة تلاوتها فى كل صلاة فريضة ونافلة . واعلموا أن كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ، والحرف الآخر متصل بحرف الندب والأمر ، وهو : « قُلِ اللَّهُمَّ » فلما كان الحرفان مختصين بهذين المعنيين لزمهما وتحقق فيهما من كثرة الاستعمال ما لم يجب لغيرهما ، وسبيل ما يكثُر استعماله أن يخفف وأن لا يقاس عليه غيره مما يقل الاستعمال ، فسقطت الف « مالك » من كل^(١) الموضعين : لما لزمهما من كثرة الاستعمال واشبهها بهذه العلة أيضاً « الرحمن » الذى لم تسقط ألفه من الخط إلا إثبات تحقيقه لما كثر استعماله .

الحجة الثالثة : إن « مالك يوم الدين » معرفة مبنى على مَلَك يوم الدين ، وكذلك « مالك الملك » معرفة بالملك مبنى على ملكتُ الملك ، ولولا أن « مالك يوم الدين » معرفة لم يكن نعتاً لله عز وجل الذى هو أعرف المعارف ؛

(١) هكذا فى الأصل والصواب : كلا

فكان جريه على إعرابه يشهد له بمحض التعريف ، والبعد من التنكير ،
والخلاف لمالك الدراهم والدنانير ، إذ مالك مضاف إلى الدنانير يجوز أن يكون
منكوراً لاتعرفه الدراهم كما عَرَفَ الملك ، ويوم الدين مالكا ، فلزم الألف الحذف
في مالك . وملك في الموضعين خاصة لتعريفهما ، ولأنهما بالتعريف يجريان مجرى
الرحمن ، وينضم إلى هذا الذي نصفه ان يوم الدين لحصوله وبقائه مع مالك لما^(١)
كان مالك به معرفة ، وكفى عن الألف فسقط بتعريفه ما هي فيه ، ونباية
المضاف إليها^(٢) عنها ، والدراهم لا تنوب عن الف مالك ، إذ كانت لا تلزم
ولا تعرف ما يضاف إليها .

قال الله تعالى (س ٢٤ آ ٣٧) : « وَاقَامِ الصَّلَاةَ » أصله واقامة الصلاة ،
فكفت الصلاة من الهاء التي لفظها لفظ التاء لاختلاف المضاف إليه والمضاف .
قال الفضل ابن العباس :

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدُّوا أَلْبِينَ فَانْجَرَدُوا وَأَخْلَفُوكَ عِدَا الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا
أصله عدة الأمر ، فكفى الأمر من الهاء للعلة التي قد أوضحت ، ولو خلا
الحَرْف من المضاف إليه لقليل وَعَدْتَهُ عِدَّةً ، ولكان وَعَدْتُ عِدَاً خَارِجاً من
القول باسقاط هاء لا يَخْلُفُهَا حَاصِلٌ خالد .

وَرَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ : لَمَّا أُنْشِدَ أَعَشَى الْحَرَمَانَ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إِلَيْكَ أَشْكُو دَرَبَةَ مِنَ الدَّرَبِ يَا مَلِكَ الْمَلِكِ وَدِثَارَ الْعَرَبِ
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك الله الواحد القهار . ففي هذا
القول من الرسول صلى الله عليه وسلم دلالة على أن ملك الملك بمنزلة الرحمن
لا يوصف بواحد منهما مخلوق . ودليل التعريف وتحققه ملك يوم الدين بعد

(١) هكذا في الأصل : ولا لزوم لها .

(٢) أى إلى ما هي فيه .

الاحتجاج المتقدم ، أن مابني على الماضي مظاهره ظاهر إضافة إلى مابعده لا يكون إلا معرفة . يشهد بصواب ذلك قول النابغة :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمْبِلُغِكَ الْوَأَشِيْ أَغْشُ وَأَكْذَبُ
أراد لمبلغك مغرور ، مبنى على أن من ابغلك لذلك فنتعه بالواشي ، والواشي لا يكون نعتاً بعد معروف .

الحجة الرابعة : أن « مَالِك يَوْمَ الدِّينِ » ، « وَمَالِكُ الْمَلِكِ » كتباً بلغة من يقوله مَلِكٌ ، وقرئنا بلغة من يقول مَالِكٌ ، كما كتبت لأن أخرتني إلى أجل قريب ، على لغة من يقول : لن بغير همز ، وقرئت بلغة من يهيمز . وكما كتب : الربو بالواو ، على لغة من يقول الربو ، فكانت قراءته بغير اللغة التي كتب بها لما اتفق معنى اللغتين ورجعا إلى تأويل واحد . فما بين النحويين خلاف في أن العرب تقول : قد حرم الله الربو . فيقفون على الواو ، ويعملونها بدلاً من الألف والياء ، لأنها أظهر منهما وأبين وأقل خفاءً ، ومعروف في كلامهم : قام موسو ، وعيسو ، وأتشتيهه الاثو ، وهو مما تكلمت به قريش . وعن صمهم بن جوهر قال : قال رجل لابن عباس : إني قتلت حيّة وأنا محرم . فقال ابن عباس : هل نهشت إليك ؟ قال : لا . فقال : لا بأس بقتل الافعو ولا ترمي الحدو . قال : فما أنسى خلاف كلامه من كلامنا . ومعنى قوله : نَهَشْتُ إِلَيْكَ طَلَبْتُكَ وَاَرَادْتُكَ . فإذا كُتِبَ الرَّبُّ بِالْوَاوِ وَقُرِئَتْهُ بِالْأَلْفِ عَلَى لُغَةٍ لَا يَقْرَأُ بِهَا لَا يَسْتَسْكِرُ أَنْ يَقْرَأَ « مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ » بِالْفِ ، وَيَكْتَبُ بِلُغَةٍ مِنْ يَقُولُ مَلِكُ يَوْمَ الدِّينِ . وقد قال الفراء : كتب « يَا أَبْنُ أُمٍّ »^(١) موصولاً بنون وواو على لغة من لا يهيمز ، فكما لا يلزم من يهيمز هذا خلافاً للمصحف ، فكذلك لا يوجب على من قرأ مَالِكُ بِالْأَلْفِ خلاف هجاء المصحف .

(١) المراد به س ٢٠ آ ٩٤ « يَبْنُومٌ » .

وقال الفراء أيضاً : كَتَبُوا « لَثَلَا » بالياء على لغة من لا يهمزّه ، وكتبوا لِأَنَّ بالألف على اللَّفْظِ المستعمل ، لأنَّ أن مُفْرَدٌ في هذا الموضع ، ويغني عن اللام فيقال : جئت لأن أكرمك . وجئت أن أكرمك ، فأجروها مع اللام مجراها مفردة .

الحجة الخامسة : أن حروف القرآن يلزمها من كثرة الاستعمال ما لا يلزم الحروف المقولة في الأشعار وسائر الكلام ، لأن القرآن ترديده وتكثيره^(١) ألفاظه دائماً ، ولا ينقطعان ولا يُعَدَّمان ، فما أسقطت منه الألف من « مالك يوم الدين » و « مالك الملك » و « ساحرأن تظاهرا »^(٢) ولا يقاس عليه ما يأتي في شعر وكلام ، لأن كثرة الاستعمال توجب التخفيف والحذف . وأكثر ما يقع هذا في الياء والواو والألف ، لأنهن حروف المد واللين . الألف تجرى مجرى الفتحة ؛ وكذلك الواو تنوب عنها الضمة لمشاكلتها إياها ، والياء تخلفها الكسرة لأنها منها . وقد قالت العرب : أقبل يضربُه لَا يَأُلُ ، يريدون لَا يَأْلُو . فاكثفوا بضمة اللام من الواو ، وقال الشاعر :

ولا أدر من ألقى عليه إزاره خلا أنه قد سلَّ عن ماجدٍ محضٍ
أراد ولا أدري ، لحذف الياء لغير ما علة ، لأن^(٣) الكسرة تخلفها . وكذلك قول الآخر :

كَفَّاكَ كَفُّ مَاتَكَيْنُ بِدَرَمٍ جوداً وأخرى تُعْطَى بِالسَّيْفِ الدِّمَا
أراد تعطى^(٤) فأسقط الياء . قالت العرب : سُعيد ، فزادوا ياء لا أصل لها . كما زادوا ألفاً ليست من الأصول في عياض وجهاز ، وأووا في رسول ، وظلوم

(١) هكذا في الأصل والاحسن : تكرير .

(٢) في س ٢٨ آ ٤٨ . انظر المقنع ص ١٣ ، ١٠٣ .

(٣) في الأصل : إلا لأن .

(٤) في الأصل : تعطيك .

وقبول . فإذا ثبتت الألف في حرف من حروف القرآن قد شوهدت مسقطه كانت الحجة في حذفها كثرة الاستعمال ، وان حروف القرآن لا يقاس عليها حروف غيره . وقد قال النحويون : الألف تسقط من ملك بن أنس ، لأنه اسم علم يختص بالتخفيف ، كما تسقط الألف من صالح ، وحاتر ، وقاسم ولا يسقطون الألف من عامر ، وعاصم إشفاقاً من أن يلتبساً في عمر وعصم ، لأن كل واحد من عمر وعصم علم معلق على شخص معبر ، ويثبت الألف في قاسم مالا ، وحاتر أرضاً ، وصالح فيما فعل ، لأنهم أوصاف غير ألقاب ، ولا أعلام ، فلا يلزمهم من الحذف ما يلزم الأعلام . وقد حكى عن أحمد بن يحيى ثعلب : أن الألف ماسقطت من النعوت لثلاث تلتبس بالأفعال الماضية . يعني : أنهم كتبوا : هذا رجل قاسم مالا ، بالألف فرقاً بينه وبين قسم ، لأن النعت أصل يسمه الاستخفاف ^(١) لخلول الماضي والمستقبل محله ولم يفرقوا بين قسم وهو اسم رجل ، وبين قسم لأن الاسم العلم لا يحل محله ماضٍ ولا مستقبل حتى ينتقلا عن معنئيهما ، وأسقطوا الألف من الكافرين والخسرين ، والظالمين والفاسقين لثقل النعت والفصل والجمع ، ولم يسقطوا الألف من القامين ، والصائمين ، لأن أولئك الحروف أختصصن بهجاء المصحف الذي لزمهن فيه لكثرة الاستعمال .

فهاؤلاء الخصوم أقدموا بما نسبوا هذه القراءة إليه من خلاف المصحف على الطعن ، فيمن آثرها وقرأ بها ، لأن من تعدد خلافاً لهجاء المصحف بمنزلة من خالف لفظه في حال التلاوة والقراءة ، فأى عيبٍ أشهر من هذا ؟ وأى خزية أفضح من هذا لصاحبها من جرحه ناسباً ^(٢) أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أنهم كتبوا حروفاً خالفوها ، وبنوا على غيرها ؟ ومع هذا كله فملك يوم الدين بالألف ماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم المشهود لهم بالجنة ، فمن عض

(١) يعني لإزالة عما كان عليه .

(٢) في الأصل : ناسب .

واحداً منهم ، ونسبه إلى معنى الخلاف في المصحف الأمام ، فقد بآء بأ كبر الإثم وأعظم الجرم .

قال ابن الأنباري : حدثنا أحمد بن الهيثم قال : حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا حازم بن حسين ، عن مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك قال : صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، وخلف أبي بكر ، وعمر ، وخلف عثمان ، وعلى رضي الله عنهم ، وكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ، ويقرؤونها «مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ» ، يعنى بالألف .

قال : وحدثنا أحمد بن الهيثم ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا زهير ، عن عباد بن كثير ، عن عبد الله بن عبيد الله بن كريز ، عن الزهري قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل «مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ» .

قال : وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدثنا أبو إسحاق الحميسي ، عن مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ» بالألف .

قال : وحدثنا محمد بن عيسى البياضي ، حدثنا القطعي ، حدثنا محبوب ، عن عباد بن كثير ، عن عَقِيل بن خالد ، عن الزهري ، عن أنس قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، ومعاذ بن جبل «مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ» ، وقرأ ابن عباس ، وابن عمر «مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ» بغير الف .

قال حدثنا محمد بن يحيى ، عن سلمة ، عن الفراء ، حدثنا : حازم بن حسين ، عن مالك بن دينار ، عن أنس قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان «مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ» بالألف .

قال : وحدثنا أحمد بن يحيى ، عن سلمة ، عن الفراء قال : يروى عن رسول صلى الله عليه وسلم « مالك يوم الدين » بـألفٍ ، « وملك يوم الدين » بغير ألف .

قال : وحدثنا العباس بن إبراهيم القراطيسي جار إدريس الحداد ، حدثنا أحمد بن محمد الشقيري الكوفي ، حدثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالك يوم الدين » بالألف .
الحجة السادسة : وهى أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أسقطوا الألف من الخط وهى ثابتة فى النطق اتباعاً لما وضعه كتاب العربية ، ورسموه مما اصطلحوا عليه ، وكانوا فيه قدوة لمن بعدهم ؛ فكان سقوط الألف من مالك لا علة له إلا الاتباع لمن وضعوا^(١) الخط ورسموه ، كما كتبوا « مائة » بـألف بين الميم والماء ، « وأولئك » بواو بين الألف واللام « وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ » (س ٩ آ ٧٤)^(٢) بـألفين ، « أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ » (س ٢٧ آ ٢١) بـألفين أيضاً فى حروف لم تكن على القياس ، لكنها اتبع فيها رسم الواضعين للخط . وهذا أضعف الأوجه ، لأن ظاهره تضعيف لمذهب الخط ، وأنه لم يقع الأثبات فيه والحذف على علل تصحُّ ، وقياس يطرُد . وما ينبغى لمؤمن أن يضعف مذهباً تعرف لتقويته علة إذا كانت العلة حجاجاً عن القرءآن ، وتصحيحاً لخطه ، وتصويباً لكتابه . وهذا الذى عُدَّ فى هذا الجواب كله عندنا صواب .

فأما « مائة » فإنها لما خالفت نظائرها من مئة ورثة بأنها لا يتصل ذكرها فى كل الحالات ، إذ هى بعد التسع ينقطع ذكرها فيقال : ألف ، ولا يقال : عشر مائة ، ولا عشرون مائة ، ولا إحدى عشرة مائة كما يقال : عشرون فئة ، وإحدى عشرة فئة ورثة ، فحين خالفت مائة النظائر فرق بينها وبينهن بإلحاق ألف بين الميم والياء

(١) فى الأصل : وضع . والصواب : وضعوا .

(٢) انظر المقتع ص ٤٧ ، ١٠٠ ، ١٤٨ .

المبدل من الهمزة ، وكان هذا الموضع أحق من ^(١) الألف من الكينونة بين الياء والهاء ، لأن هذا مكان مُعْلَم للزيادة . ولا يذهب وهم إلى أنه وقع فيه الذى وقع لغير الفرق ، ولو أتت الألف بين الياء والهاء ، التبس الواحد بالجمع حين يقال مئات . فكانت الزيادة أصل وجوبها الفرق . وهذا المكان مختص بها لأمن اللبس فيه ومن جهته .

وقد ذهب ذاهبون إلى أن الألف فى مائة تفرق بين مائة ومنه . والجواب الأول أصح ، لأن الفروق إنما تقع بين المتقاربات . فمائة وفئة ورتة أقرب إلى مائة من منه . إذ كل واحدٍ منهن اسم ، ومن حرف معنى بعيدة الشبه فبعدها من شبهها يغنى عن زيادة الفرق بينها وبينها .

وأما قوله (س ٢٧ آ ٢١) : « لَا أَذْبَحَنَّهُ » ، و (س ٤٧ آ ٩) « لَا أَوْضَعُوا » فإن الذى أحوج إلى زيادة الألف فيهما وفيما يشبههما (ما استعمل فى الزيادة) ^(٢) أن ألف أذبح لما اختلطت بلام الأقسام أشفقوا من أن يظن أنها منقطعة من الذبح ، والاتضاع فى « ولا وضعوا » فزادوا ألفاً لينضم إلى الفعلين من الذبح والاتضاع ، وجرى ذلك منهم مجرى التوكيد . يشهد بصحته قول الشاعر :

كما ما امرؤ فى معشر غير رهطه ضعيف الكلام شخصه متضائل
فزاد ما مفردة لما اتصلت الأولى بالكاف ، وقدرنا أنها باتصالها قد غلبت الكاف عليها وقطعتها عن الذى بعدها . فكانت قصة اللام كقصة الكاف لما حاذروا أن تختلط الألف باللام ، كما أشفقوا من اختلاط ما بالكاف فزادوا عند ذلك ألفاً أفردوها ، كما ألحقوا مائانية ولم يصلوها ، ولا يستعمل فى هذا المعنى إلا ما استعمل ووجد فى المصحف منصوصاً . وإذا لم يكن كذلك فلا وجه لزيادة

(١) يعنى : بالألف .

(٢) هذه الكلمات زائدة فى الأصل .

ألف بعد الألف من أجل أنهم مجمعون على كتابة الألسنة ، والألوان ، والأثوار بألف مفردة مع اللام لا أخرى بعدها ، ولو عمل على القياس لزيدت ألف في هذا النوع ، وما فعل ذلك . وكتبوا للألسنة بإسقاط ألف كانت موجودة قبل دخول اللام الخافضة . فلما حضرت اللام وصورتها كصورة الألف كرهوا أن تجمع صور متفقة كأنهن لامات كلهن فأسقطوا ألفاً ، واقتصروا على إثبات أربع أربع منهن لامات ثلاث وألف . ولما كتبوا بالألسنة لم يسقطوا الألف التي دخلت عليها الباء ، بخلاف صورة الباء صورة الألف ، وأنها لا تلتبس بها ولا تحمل عليها .

وكتبوا اللحم ، واللبن ، واللين بلامين تغليياً للفظ ، وعملاً على أصل الحرفين اللذين أحدهما مدغم في الآخر .

وكتبوا في المصحف الليل بلام مفردة^(١) عملاً على ما يوجب الإدغام في مدّ ، وردّ ، وما يضايهما ، إذ الدال المشددة دالان . فكتبوا الليل واللبن على خلاف ، وحملوا اللبن على الأصل ، والليل على اللفظ ، وكان القياس على خط اللبن أوجب من القياس على هجاء الليل ، لأن الأسماء والأفعال تجتمع في علة الإدغام ، وأن الأول حكمه الإنفراد من الثاني على أنهم اختصوا الليل بسقوط اللام منه تغليياً للفظ ، وإثارةً للاسم بالتخفيف ، كما فعلوا مثل ذلك في الذي والتي ، فكتبوها بلام مفردة وفي اللفظ لآمان : أولاهما ساكنة ، وأخراهما متحركة . على أن اختصاص الذي ، والتي بلام مفردة له علة أخرى وهي : أن الذي ، والتي لهما كان كل واحد منهما لا ينفرد منه الألف واللام كما ينفرد من اللبن فيقال : لبن ، أوجب ذلك اختلاط اللام بما بعدها ، وأن يغلب لفظ الثاني على لفظ الأول فكتبوا اللذين ، واللاتي ، واللواتي بلامين في التثنية ، وأجر والذين ، واللاتي في الجمع مجرى الذي في الواحد . لأن الذين جمع تكسير ، وهو على هجاء واحد في أبواب الرفع ، والنصب ، والخفض .

(١) انظر المقنع ص ٧٢ .

فكان بهذه العلة واحداً يعبر عن الجمع ، كما كان هاؤلاء غير مُعرب في اللفظ لما أجرى مجرى هذا إذ كل واحد منهما واحد^(١) في الحقيقة ، فبنى كما بنى هذان^(٢) خالف هذا وهذان ، كما خالف اللذان ، الذي ، والذين . وكتب اللآئى ، واللواتى بلامين ، لأنه جَمْعُ جَمْع ، وجمع الجمع (يغاير الجمع) وخالف بهم الذين ، واستحق بخلافه إياه إيقاع فرق بينه وبينه .

وكتبوا ثانياً ، وثالثاً ، ونافعاً ، وناثلاً ، وتافلاً بإثبات الألف ، ولم يسقطونها منهن كما أسقطوها من صلح ، وحرث ، وقسم لأنهم عملوا أن نافعاً ، وناثلاً ، وثالثاً وما أشبههن نعوت علقت على الأشخاص فأجريت مجراها نعوتاً . وبنوا قاسماً وحارثاً ، وصالحاً على أنهن أسماء وضعن على الأشخاص ، فكانت الأسماء يجب لها التخفيف والنعوت مخرجة على أصلها . دليل هذا : أن أحمر إذا سمي به رجل أحمر لم يجر في معرفة ولا نكرة ، وقيل هذا سمي بنعته ، وجرى الاسم مجرى النعت في هذا المعنى ، فإن سمي الأسود بأحمر ، أو الأبيض بأسود ، وجرَّ أسود في النكرة ولم يجر في المعرفة لخلوص الاسم له وذهاب معنى النعت عنده ، وأنه في هذا الباب بمنزلة أحمد ، وأفكل إذا سمي به رجل ، واحوص ، واصبغ ، واخون وما يشبه ذلك . هذا قول الفراء ، وتفسير أحمد بن يحيى .

فأما : أولى ، وإلى ، وأولوا ، وأولئك ، فإن الواو ثبتت فيهن لأنهن أسماء خالفن النظائر ، فإن أولى ، وأولو لا يستغنون عن الإضافة ولا يعرفهن في الانفراد معنى . وأولى وأولئك خالفن نظائرهن بسقوط الإعراب عنهن من اللفظ حين لا يوجد في ألفاظهن برهان لرفع ، ولا نصب ، ولا خفض . فرق بينهن وبين إلى فزيدت الواو تغلباً للضمة . وكان الفرق واقعاً بينهن وبين إلى لتقاربهن في الاسم

(١) يعنى مفرد .

(٢) في الأصل : لما خالف .

فإن إلى تجعلُ إسمًا يقالُ : انصرفت من إليك ، كما يقال : غدوتُ من عليك ، فوقع الفرق بين المتشابهين ليزول اللَّبس عَنْهُمَا ، وكان الذى تغلب عليه الاسمية أحمل الزيادة لخفته ، ولأننا نجد الإسم يحتمل الزيادة والزيادتين وأكثر منهما . فعلم أن مزيداً ومعبداً كلاهما فيه ميم مزيده ، ولا نشك أن مجاهداً فيه حرفان زائدان الميم والألف ؛ فكان الذى يغلب علمه فى الأسمية أحق بالزيادة عند الحاجة إلى الفرق من الذى طريق الأداة أسبق فيه وأعرف به ، لأننا لانعرف الزيادة تقوى فى الأدوات كقوتها فى الأسماء إذ الأسماء محصورة على فاء ، وعين ، ولام ، وما زاد عليهن زائد والأدوات غير محصورة على هذه العدة من الحروف . فمن هذا الطريق ولهذا الفرق كان أولى ، وأولوا ، وأولى ، أولى بالزيادة من إلى .

وأما ثلثه ، وثلث ، وثمانية ، وثمان فسقطت الألف من هجائهما اعتماداً على كشف المفسر^(١) معانيهن حين يقال ثلثة دنانير ، وثلث هبات ، وثلث بدر ، وأسقطوا اللام من المفسر اعتماداً على العدد ، وكتبوا ثلثة درهم بإسقاط الألف من دراهم ، وأسقطوا الألف من هذا ، وهذان ، وهذين ، وهذه والأولى دلالة على اختلاطها بما بعدها ، كما أسقطوا الألف من : يزيدُ أقبل ، ليدلوا على اختلاط يا بزيد وإثبات الألف فى النداء صحيح مستعمل .

فهذا الذى ذكرناه ردّ على من زعم أن الخط وضع على غير أصل ، وأنهم لم يصيبوا فى هجاء مائة ، وأولئك ، وهذا ، وهؤلاء . وقد أدخل فيما طعن به على الخط سقوط الألف من سليمان ، وإبراهيم ، وهرون ، وإسحق . وقال : هذه أعجمية تركُ إجرائها يدل على ثقلها ، فما ينبغى أن تلحق بالخفيفة من حرث وقسم ومُلك . فأجيب عن هذا بأن هذه الأسماء مجرأة مجرى العربية للشهرة وكثرة الاستعمال ، ولولا ذلك لما خاطب الله العرب بها ولا أنزلها فى كتابه الذى وصفه

بأنه عربى مبين . فلزم الألف منها من الحذف مثل الذى لزم ألف حرث لاجتماعهما لكثرة^(١) الاستعمال ، ومنع (من الصرف) أغنى : إبراهيم ، واسماعيل ، وإسحق ، وهرون تغليبا للأصل دلالة على أن ابتداء مبانيهن للعجم ، فحين لزمهن ثقلان ثقل العجمة ، وثقل التعريف لم يصرفن^(٢) . ومن الحروف التى طعنوا بها على المصحف وقرأ بالسين ابن عباس وأتباع له ، وقرأ بالزاي حمزة بن جبلة ، وهو إمام فى القراءة معروف على النقل والرواية عن السلف والتمسك بمذاهب الماضين . ذكر ابن الأنبارى : أخبرنا إدريس بن عبد الكريم ، حدثنا خلف ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن ثابت ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ « السَّراط » بالسين^(٣) قال : وأخبرنا إدريس ، حدثنا خلف ، حدثنا عبيد بن عقيل عن شبل بن عباد ، عن عبد الله بن كثير أنه كان يقرأ « السراط » بالسين . قال : وحدثنا أحمد بن يحيى ، عن سلمة ، عن الفراء قال : قرأ حمزة « الزراط » بالزاي . واحتج هاؤلاء المخالفون بأن لهم أن يخالفوا المصحف كما خالفه ابن عباس وابن كثير ، وحمزة وغيرهم ، فصرفوا عن الصراط المكتتب فى المصحف وآثروا السين والزاي اللذين لا موضع لهما فى خط المصاحف الخمسة التى هى أئمة المسلمين . فأجيبوا عن هذا بجوابين :

أحدهما : أن الصاد من الصراط لما أميلت إلى الزاي فرارا من الهمس إلى الجهر ، لأن الصاد حرف مهموس ، والزاي حرف مجهور بمنزلة الطاء المجهورة ، كان الأخف على اللسان أن يضمَّ الجهور إلى المجهور ، وأن يحمل الأول على الثانى ليكون عمل اللسان من وجه واحد ، ويتحقق أنه إذا عمل عملا واحداً كان أخف عليه من أن يعمل عمليْن مختلفين ، فشبه هذا بالإدغام لما فات الإدغام ،

(١) كذلك فى الأصل والصواب : فى كثرة .

(٢) فى الأصل : لم يصرفن .

(٣) انظر Materials ص ١٩٥

فحين دخل لفظ الزاى على الصاد ولم يبطل لفظ الصاد ولا صورته في الخط . قالت العرب : « إهدنا الصراط » بتشبيههم الصاد (بالسين) وإشمامها الزاى فحملت السين على الزاى ، وقد قيل : كل واحد من الزاى والسين لا يغير صورة الصاد ، كما أن النون الواقعة قبل الباء والنون ساء كنه في قولهم من بعد والعنبر ، ^(١) وشبهها كل واحد منهن الصوت فيه لفظه يُشبه لفظ الميم ، وهو غير مستعمل في الخط تغليبا لأصل النون ، فكذلك الزاى ، والسين لا يغيران صاد الصراط كما لا تغير الميم في العنبر لفظ النون وصورته في الخط دلالة على الأصل ، وقد أشبهت الصاد النون بمضارعتها المجهور ودخوله على لفظها كما النون مجهورة ، غير أن الذين يقولون السراط بالسين حجتهم (وآثروها) لأنها خفيفة بالهمس والرخاوة إذ الطاء مجهورة مطبقة ، والسين في السراط هي الأصل ليكون خفيف مع ثقل فتعدل الكلمات . والذين أخلصوا الصاد في اللفظ ، حجتهم أن الطاء مطبقة والسين منفتحة ، والصاد مطبقة فكانت الصاد أشبه بالطاء لاتفاقهما في الإطباق . والذين اختاروا الزراط بإشمام الزاى احتجاجهم بأن الصاد حرف مهموس ، والزاى مجهور ، فكان المجهور مع المجهور أخف على اللسان ، غير أن الذى يشم بالصاد زائيا يحافظ على بقاء الإطباق في الصاد ، والذى يخلص الزاى يبنى على تغليب الجهر ، وأن المجهورين إذا اتفقا لم ينكر معهما الأطباق ^(٢) .

والحروف المطبقة أربعة : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، سميت مطبقة لأن المتكلم بها يطبق لسانه على ما حاذاه من الحنك ، والحروف كلها سوى هذه الأربعة منفتحة .

والحروف المهموسة عشرة ، يجمعها قولك : تَشْتَحْكُ خصفه وهى : الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف ، والفاء ، والصاد ، والسين ، والشين ، والتاء ، والهاء ،

(١) حكى سيويه أن أصله عمير : انظر لسان العرب ٦ : ٢٨٨ .

(٢) في الأصل : فى الاطباق .

سميت مهموسة لأن الاعتماد يضعف في موضعها فيجری النفس قبل انقضاء الاعتماد ، ويخرج صوت الصدر مهموساً ، أى خفياً ، والحروف كلها سوى هذه العشرة مجهورة ، وإنما سميت مجهورة لأن الاعتماد يُسمع في موضع الحرف منها فلا يجرى النفس حتى ينقضى الاعتماد ، وخرج صوت الصدر مجهوراً ، والحروف الرخوة ثلاثة عشر حرفاً : الهاء ، والحاء ، والخاء ، والعين ، والفاء ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والزاي ، والطاء ، والثاء ، والذال ، وإنما سميت رخوة لأن الاعتماد يضعف في موضع الحرف ، ولا يضغط ضغطاً يمنع الصوت من أن يخرج فيخرج الحرف رخواً لذلك . فاختار القراء من النحويين إخلاص الصاد في الصراط لمشاكلتها الطاء في الإطباق . وقالوا : إمالة العرب إياها إلى الزاي من غير إبطال للفظها دلالة على أن الإطباق يُراعى ويحافظ عليه بالتوفيق بين الحرفين الأول والثاني ، فهو أولى وأوجه .

والحجة الأخرى : أن من قرأ السَّراط ، والزراط بالسين والزاي عمل على أن الحرف كتب بلغة من يقول : الصراط بالصاد ، وقرئ بلغة من يقول السراط بالسين ، والزراط بالزاي لتقارب ما بين السين والزاي والصاد ، إذ هن حروف الصغير ؛ ومخرجهن متفق متقارب .

وذكر أحمد بن يحيى عن سلمة ، عن الفراء قال : الزراط بإخلاص الزاي لغة لغذوة ، وكتب ، وبنى القين . قال : وهؤلاء يقولون : أزدق لمكان أصدق . قال : وهذا مخالف للصراط لسكون الصاد في هذا وتحركها في الصراط . وقد قالوا : الأزْد ، والأسْد ، ولسوته ، ولصوته ولزق به .

وروى عن ورش عن نافع (س ٣٧٥٢) « أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ » ^(١)
(س ٢٢٨٨) فَلَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّطٍ بإخلاص الصاد .

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ ، عَنْ الْقَرَاءِ قَالَ : الْكِتَابُ وَخَطُ الْمُصْحَفِ بِالْصَادِ فِي مُصَيِّطٍ وَالْمُصَيِّطُونَ وَالْقِرَاءَةُ بِالْسِينِ .

قال ابن الأنباري : فما على هجاء المصحف حجة بقراءة من قرأ بمسيطر ،
والمسيطرون للحجتين اللتين إحداهما : غلبة الصاد للزاي والسين ، كما غلبت النون
الميم في العنبر وشبهها . والحجة الأخرى : أنه كتب بلغة ، وقرىء بأخرى تشاكلها
لاتفاق معنيهما ، كما فعل ذلك في الربا (س ٣٠ آ ٣٩) ، ولثلا (س ٢٢ آ ١٥٠) ،
ويابن أم (س ٢٠ آ ٩٤) ومثل مسيطر (س ١٨٨ آ ٢٢) وبسطة (س ٢٢ آ ٢٤٨)
(٢٤٨) وبسطة (س ٧ آ ٦٩) لا يخالف المصحف من قرأ واحداً منها بالصاد
وهجاءه بالسين .

ومنها : أنهم قالوا : إن من قرأ (س ٧١ آ) « أُنْعِمْتَ عَلَيْهِمْ » عليهموا بكسر الهاء وإثبات الواو ، وعليهموا ، بضم الهاء وإلحاق الواو ، وعليهمى بكسر الهاء وزيادة الياء^(١) قد خالفوا المصحف بزيادة واو ، وإلحاق ياء ، ليس لهما رسم فى هجاء المصاحف .

والجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه :

أحدها: أن الواو والياء في عليهما وعليهما تثبتان في الوصل وتسقطان في الوقف والخط، كما تثبت الياء في أجيب دعوة الداع، وفي «المُهْتَدَى» في سورتي بني إسرائيل والكهف^(٢)، وفي «يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ»^(٣). وذلك ما كنا نبغي في اتصال الكلام وسقطت من الوقف والخط في قراءتي أبي عمرو والكسائي وغيرهما، لأن الاتصال تخرج فيه الحروف على أصولها والسكوت عليه

(۱) انظر الاتحاف ص ۷۷.

(٢) المُهتَدَى فِي س ١٧ آ ٩٧ و س ١٨ آ ١٧ والمُهتَدَى فِي س ٧ آ ١٧٨ ،

انظر المقنع ص ۳۳، ۹۰.

(۳) س ۱۱ آ ۱۰۵: یَوْمَ یَأْتِ بِغَیْرِ یَا . انظر المقنع ص ۳۲، ۱۰۸

مُشَبَّهٌ بِالْمَجْزُومِ ، لأنَّ حَكْمَ الْمُوصُولِ التَّعْرِيبَ ^(١) ، وَحَقَّ الْمَوْقُوفُ عَلَيْهِ الْخُلُوعُ مِنَ الْأَعْرَابِ وَجَمِيعِ الْحَرَكَاتِ ، اتَّفَقَ النُّحَوِيُّونَ عَلَى أَنَّ التَّرْتِيبَ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَالسَّكْتِ هُوَ أَنْ يَبْتَدَأَ بِالْمُتَحَرِّكِ ، وَيُوقِفَ عَلَى السَّاكِنِ ، وَانْضَمَّ إِلَى هَذِهِ الْعِلَّةِ أَنَّ الْيَاءَ وَالْوَاوَ مَجْرَاهُمَا مَجْرَى الْحَرَكَتَيْنِ ، وَاسْقَطَهُمَا الْوَاقِفَ عِنْدَهُمَا كَمَا تَسْقُطُ الضَّمَّةُ وَالْكَسْرَةُ عِنْدَ سَكْتِهِ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُمْ كَتَبُوا عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ بَلْغَةً مِنْ يَسْقُطُ الْوَاوُ وَالْيَاءُ ، وَوَصَلُوهُمَا وَسَكَتُوا عَلَيْهِمَا بَلْغَةً مِنْ يَثْبِتُهُمَا لِاتِّفَاقِ مَعْنَى اللَّغَتَيْنِ ، وَإِنْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا لَا تَخْرُجُ عَنْ مَذْهَبِ الْأُخْرَى وَأَصْلُ عِلَّتِهَا .

وَالثَّلَاثُ : أَنَّهُمْ أَسْقَطُوا الْوَاوَ مِنْ عَلَيْهِمُوا ، وَالْيَاءَ مِنْ عَلَيْهِمِي اِكْتِفَاءً بِالْيَاءِ الْأَوَّلَى الَّتِي قَبْلَ الْهَاءِ مِنَ الْيَاءِ الَّتِي بَعْدَ الْمِيمِ ، وَاسْتِغْنَاءً بِالْوَاوِ فِي « الْمَغْضُوبِ » عَنِ الْوَاوِ فِي عَلَيْهِمُوا ، وَعَلَيْهِمُوا ؛ لِأَنَّ السُّورَةَ قَائِمَةً بِنَفْسِهَا تَفِيدُ مَا تَفِيدُهُ الْخُطْبَةُ وَالرَّسَالَةُ ، وَأَجَلَ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْظَمَ . فَلَمَّا أَسْقَطُوا وََاوَ كَلَمْنُ اِكْتِفَاءً مِنْهَا بِوََاوِ هَوَزٍ ، وَحَذَفُوا يَاءَ قُرْشَتِ اسْتِغْنَاءً بِيَاءِ حُطًى عَنْهَا ، لَمَّا كَانَتْ أُبْجَدُ وَأَخَوَاتُهَا بِمَنْزِلَةِ الْخُطْبَةِ وَالرَّسَالَةِ الَّتِي تَجْمَعُ مِنْهَا جِ الْخَطُ ، وَصِفَةُ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ إِذَا اتَّصَلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، وَانْقَطَعَ بَعْضُهَا . فَالسُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ يَلْزِمُهَا مِنَ الْاسْتِعْمَالِ وَكَثْرَتِهِ مَا يَلْزِمُ أَبَا جَادٍ وَإِخْوَاتِهَا مِنْ هَذَا الْمَعْنَى . وَإِنْ كَانَتْ حُرُوفُ السُّورَةِ مَعْرَبَةً وَحُرُوفُ أُبْجَدٍ غَيْرَ مَعْرَبَةٍ . وَبِهَذِهِ الْعِلَّةِ قَلَّ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْيَآتِ وَالْوَاوَاتِ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ اِكْتِفَاءً مِنْهَا بِحُرُوفٍ دَاخِلَةٍ فِي كَلِمَاتٍ تَجَاوَرُهَا مِنْ قَبْلِهَا أَوْ مِنْ بَعْدِهَا ، وَإِيْلَاءَ الْحَرْفِ كَافٍ فِي سَقُوطِ التَّعْرِيبِ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ لَمْ شَتَمَلْ عَلَى أُمُثَلَةٍ لَا تَفِيدُ إِلَّا مَعَانِيَ الْخَطِّ ، وَمِثَالُهَا هُجَاءٌ .

وَرَوَى عَنْ ابْنِ مَيْيُصَنٍّ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَأَبِي عَمْرِو أَنَّهُمْ قَرَأُوا (س ٦٣ ١٠٦)

(١) أَى الْإِتْيَانِ بِالْكَلِمَةِ عَلَى مِنْهَا جِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

« فَأَصَدَّقْ وَأَكُونْ » بنصب أ كُونْ وإيثار واو في لفظه^(١) .

وعن اليزيدي ، عن أبي عمرو « فَأَصَدَّقْ وَأَكُونْ » بإثبات الواو في « أ كُونْ » قال اليزيدي : سقطت الواو من المصحف كما سقطت من كلمن . ومنها : ماروى عن يعقوب أنه قرأ (س ٨٩ آ ١٥ و ١٦) « رَبِّي أَكْرَمَنِي » و « أَهَانَنِي » بالوقف على الياء التي ليس لها رسم في المصحف^(٢) . وقوله (س ٥٠ آ ٣) « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا »^(٣) بإثبات الياء ، و (س ٤١ آ ٢) « وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ »^(٤) و « أَخْشَوْنِ »^(٥) في سورة المائدة (س ٣٥ آ ٣) ، و (س ٧٩ آ ٢٦) « وَيُطْعِمَنِي وَيَقِيمَنِي » « ثُمَّ يُخَيِّدَنِي »^(٦) ، (س ٦١ آ ١٠٩) « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِي »^(٧) .

والجواب عن ذلك : أن يعقوب غير مخالف للمصحف في جميع هذا لأن ياءً لي كفت من ياء ديني ، والياء في تطعمني الأولى تكفي من الثانية ، وكذلك من وقف من القراء على (س ٥٤ آ ٥) « تُغْنِي الْفُزُّ » ، تغني بياء وهو في المصحف بغير ياء^(٨) ، وعلى « يَوْمَ يَأْتِ » (س ١١ آ ١٠٥) بالياء . ونحو ذلك

(١) انظر كتاب المصاحف لابن ابن داود ص ٣٣ ، المقنع للداني ص ٣٨ ، الاتحاف للبناء ص ٢٥٧ .

(٢) انظر المقنع ص ٣٥ . والاتحاف ص ٢٧١ .

(٣) المقنع ص ٣٢ ، والاتحاف ص ١٠٥ .

(٤) المقنع ص ٣٢ .

(٥) المقنع ص ٣٢ .

(٦) المقنع ص ٣٤ .

(٧) المقنع ص ٣٥ .

(٨) المقنع ص ١٠٨ ، ٣٥ .

(س ١٨ آ ٦٤) « مَا كُنَّا نَبْعُ »^(١) ، (س ١٧ آ ١١) « وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ »^(٢) . ومن وقف على « ويدعو » بالواو ، وعلى (س ٩٦ آ ١٨) « سَدَّعُ الزَّبَانِيَّةَ »^(٣) سندعو بإثبات الواو ، وعلى (س ٤٢ آ ٢٤) « وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ » ، ويمحوا بالواو^(٤) . وكذلك ما أشبه هذا من الوقف على (س ٥٥ آ ٣١) « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ » ، أيها ، وعلى (س ٢٤ آ ٣١) « وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ » أيها ، وعلى (س ٤٣ آ ٤٩) « وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ » بإيها باثبات الألف وهي مستقطة من المصاحف في المواضع الثلاثة^(٥) . فلهذه العلة ضمها أبو عامر لما لم يأت الأمر بعدها . فقرأ « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ » ، و « تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ » ، « يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ »^(٥) وفتح الهاء في جميع القراءان في ما الألف ثابتة بعدها ، نحو (س ٢١ آ ٢) « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ » ، (س ٣ آ ١٠٤) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا » ، (س ٣٣ آ ١) « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ » .

ومنها ما روى قالون عن نافع انه كان يقرأ (س ٢ آ ٩) : « وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ » ، باثبات الألف في اللفظ^(٦) ، (س ٧ آ ١٤٢) « وَوَاعَدْنَا مُوسَى » ، (س ٢ آ ٥١) « وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى » ، (س ٢٠ آ ٨٠) « وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ » باثبات الألف في اللفظ ، (س ٢ آ ٨١) « بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ » بإثبات ألفين في اللفظ ،

(١) انظر المقنع ص ٣٣ و ١٠٨ :

(٢) المقنع ص ٣٧ و ١٠٨ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) انظر المقنع ص ٢١ .

(٥) انظر ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٩

(٦) انظر التيسير للداني ص ٧٢ ، والنشر لان الجزري ٢ : ٢٠٠ .

(س ١٦١٧) « نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيَاَتِكُمْ » في سورة الأعراف ، بإثبات الفين في اللفظ ، (س ٦٧٥) « فَمَا بَلَغَتْ رَسُولَاتِهِ » بإثبات ألف في اللفظ ليست لها صورة في الخط ^(١).

وعن اليماني أنه قرأ : (س ١٤٢) « إِذَا لَاقُوا الَّذِينَ آمَنُوا » ^(٢).
وعن مجاهد أنه قرأ : (س ١٠٦٢) « نَنَسَّاهَا » . وعن أبي عمرو أيضاً : « نَنَسَّاهَا » بإثبات همزة بعد السين ^(٣). قالوا : وكل هذه الحروف مخالفة للمصحف .
والجواب عن ذلك : ان هذه الحروف كلها ، وما يُشبهها ، موافقة للمصحف ، على أن الألف ، والياء ، والواو حذفن من الخط اعتماداً على أن الألف تتأخر أو تسبقُ تكفي منها وَيَنُوبُ منابها ، وكذلك الياء ، والواو . أو على أن الألف أجريت مجرى الحركة ، وأقيمت الواو مقام الضمة ، والياء مقام الكسرة ، فاسقطن اختصاراً لكثرة الاستعمال فقد راعتهن العربُ دُعامةً لحركاتهن ، ولا أصل لهن . فقرأ ابن كثير (س ١٢٠٩) « إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ » ^(٤)
فحمل الياء كسرة القاف واسقاط ما قبل هذه الياء وهي لام الفعل .

وقد روى عن الأعرج انه قرأ (س ١٢٠٩) « نَزَّعَى » بالنون والياء ، « وَيَلْعَبُ » بالياء ، فثبتت هذه الياء في المجزوم إلا وهي دُعامةٌ للكسرة ، وإن كان الفراء قد جوز أن تكون أصلية اكتُفِيَ بسكونها من علامة الجزم. ^(٥)
وقال مثل ذلك في (س ٦٨٧) « سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى » . الاختيار عنده أن تكون الثابتة في « تنسى » دُعامةً لفتحة السين ، والأصلية هي المضغطة

(١) المقنع ص ١١ و ١٣

(٢) وفي مصحفنا : إذا لقوا

(٣) انظر Materials ص ٢٧٧

(٤) انظر التيسير للداني ص ٧٠ و ١٣١

(٥) أى اكتفى من علامة الجزم بسكون الياء بدل حذفها

للجزم . أو أن تكون « تنسى » في موضع رفع . ولا لبس لحذف النهى إذ كان في موضع فليست تنسى ، وهذه العلة التي أخرت ذكرها هي علة رابعة لإسقاط الواو من عليهما ، وعليهما ، أو الياء من عليهما من الخط ، وإثباتها في اللفظ عند الوصل والقطع ، وكذلك قراءة ابن كثير (س ٢ آ ٢) « لَا رَيْبَ فِيهِ » باثبات الياء جميعاً ، وكله موافق المصحف على العلة التي ذكرناها .

ومنها زعموا قراءة ابن كثير و (ابن) مُحِصَن « هَازِي » في موضع هذه في جميع القراء . قالوا : وهذا مخالفة للمصحف .

والجواب عن ذلك : انهما لم يخالفا هجاء المصحف لمشاكلة الياء للهاء ، وموافقتها معناها ، وان الحرف كتب بالهاء وقرئ بالياء ، كما كتبت الربو بالواو وقرئ بالألف والياء عن هشام النحوى قال : حكى الكسائى عن العرب : ولا تقربا هَازِ الشجرة . وذكر أحمد بن يحيى ، عن سلمة ، عن الفراء قال : يقال . هذه فعلت ، وهَذَى فعلت باثبات ياء بعد الذال . وهذا فعلت بكسر الذال من غير الحاق ياء ولا هاء ، وهَاتَا فعلتا . وعن هشام قال : يقال : تافعلت وانشد هشام :

خَلِيلٌ لَوْ لَا سَاكِنُ الدَّارِ لَمْ أَقِمِ فَتَنَا الدَّارُ الْآعَارِينَ سَبِيلًا

وَتَا باسقاط هَا بمنزلة ذِي باسقاط هَامِن هَازِي ، وبمنزلة ذِه باسقاط هَا من هذه ، وقد قال الفراء : من قال هَازٍ قَامَتْ لَا يُسْقَطُ هَاءُ لِإِنْ الْاسْمُ لَا يَكُونُ عَلَى ذَالٍ وَاحِدَةٍ

ومنها : زعموا قراءة من قرأ : « لَا رَيْبَ فِيهِ » باثبات الياء بعد الهاء على ما روى عن ابن كثير . وكذلك من قرأ « فَهُوَ » بهاء مضمومة بعدها واو ، والواو والياء غير مرسومين في المصحف ، (قالوا إن هذا مخالف للمصحف)

والجواب : ليس فيها مخالفة للمصحف ، لانهما لغتان معروفتان فكتب باحداها وقرئ بالآخرى . وتقول العرب « لَا رَيْبَ فِيهِ » باثبات ياء بعد الهاء ، و « لَا رَيْبَ فَهُوَ » بالحاق واو بعد الضمة ، « وَلَا رَيْبَ فِيهِ » باختلاس

الكسرة بالهاء ، « وَلَا رَيْبَ فِيهِ » بضم لا تتصل به واو ، فمن ضَمَّ الهاء ، وزاد الواو فحجته أن الهاء خرجت عن أصلها ، والواو صلة للضمة . ومن اختلس الضمَّ في الهاء قال : الضم كافٍ من الواو هذه علة الكوفيين

وقال سيبويه وأصحابه : سقطت الواو لسكونها وسكون الياء ، لأن الهاء غير معتد بها إذ لم تكن حاجزاً حصيناً ، ومن كسر الهاء وزاد الياء آثر الخفة ، وأدغم الكسرة بالياء . ومن أسقط الياء قال : الكسرة تنوب عنها وتغني عن ذكرها في جواب الكوفيين . وسيبويه يسقطها لاجتماع الساكنين . وكل ما يقرأ به^(١) في (س ٣٧٥) « يُؤدَّهِ إِلَيْكَ » بإثبات الياء ، أو « يُؤدَّهِ إِلَيْكَ » باختلاس الكسرة ، و « يُؤدَّهِ إِلَيْكَ » بتسكين الهاء ، و « يُؤدَّهِو إِلَيْكَ » بإلحاق الواو ، و « يُؤدَّهِو إِلَيْكَ » باختلاس الضم ، لا يخالف هجاء المصحف للعلل التي قدَّم ذكرها . وما يختلف النحويون في أن (س ٣٧٩) « يَرْضَهُ لَكُمْ » باختلاس ضمَّ الهاء أجود من يرضهوا ، بإلحاق الواو ، و « يُؤدَّهِو إِلَيْكَ » باختلاس الضم ، و « لَا رَيْبَ فِيهِ » ، و « فِيهِ » باختلاس الكسر ، والضمَّ أجود من « فيهم » ، و « فيهم » بإلحاق الياء والواو ، لأن الهاء إذا سكن ما قبلها وقع الابتداء بها ، وقويت بالسبق وغنيت عن الواو والياء ، وإذا سبقها حرف متحرك ، حرف علة ، وزايلها قوة السبق ، بالابتداء أو الاستئناف ، فأحتاجت إلى الدعامة إما بالياء أو بالواو ، وكلا الوجهين من الاختلاس ، والإشباع عربِّي مفهوم بعد الساكن والمتحرك ، إلا أن الإشباع بعد الساكن ، والاختلاس بعد المتحرك أجود وأصح علة عند النحويين .

ومنها : زعموا قوله (س ٦٢٢) « أَنْذَرْتَهُمْ » . فقد قرأ عاصم ، وحمزة « أَنْذَرْتَهُمْ » بتحقيق الهمزتين ، وقرأ أبو عمرو وغيره « أَنْذَرْتَهُمْ » بألف

ساكنة بعد الهمزة ، وقرأ عبد الله ابن أبي إسحاق « آاندرتهم » بألف ، وكلها مخالفة للمصحف .

والجواب : أنها لم تخالف هجاء المصحف ، لأن الألف تكفى من ألفٍ مثلها ومن ألفين ، فقد كتبت العرب : أبوك قام ؟ بألف واحدة . وقال الكسائي : الثابتة فى الخط هى ألف الأَب ، والساقطة هى ألف الاستفهام . وقال الفراء : ألف الاستفهام لاتسقط لأنها فارقة بين معنيين ، أحدهما : الإخبار ، والآخر : الإستخبار ، وكل مايفرق بين معنيين يلزم إشفاقاً من أن يسقط فيغلب اللبس ، وسقوط الألف من الأب يؤمن من عهدة اللبس ، وقد ا كتفت العرب بالألف من الألفين فى قولهم : هذان ، رداك ، وعطاك ، وكساك ، كتبوا كل واحدٍ منهن بألف واحدة أغنت من الألفين اللتين بعدها ، كما كتبوا براءة بألفٍ واحدة ، وكتبوا نظرت إلى ردايك بألف بعدها ياء كراهة لاجتماع صورتين ، وهذه تلبس بنظرت إلى ردائك موحداً^(١) اعتماداً على علم المخاطب بالمقصد ، وما بينه فى الخط فرقان بين ردائك مثنى ، وردائك فوحداً ، وكذلك قراءة ابن أبي إسحاق « آاندرتهم » كتفت فيها ألف من ألفين ، وهى لغة سائرة فى العرب ، قال الشاعر :

أَيَا ظَنِيَّةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَّاجِلٍ وَبَيْنَ النُّقَا أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ
هَجَاءُ أَنْتِ أَلْفٌ وَاحِدَةٌ . وقال الآخر :
تَطَلَّلْتُ فَاسْتَشْرِفْتُهُ فَعَرَفْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ أَأَنْتَ زَيْدُ الْأَرَبِ
وأنشد أحمد بن يحيى :

خِرْقٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ أَجْرُوا فَكَاهَهُ تَذَكَّرَ آِإِيَاهُ يَعْنُونَ أَمْ فَرَدَا^(٢)
وروى عن ابن محيصن أنه قرأ « آاندرتهم أَمْ لَمْ تَنْدِرْهُمْ » بهمزة وألف

(١) يعنى مفرداً

(٢) انظر لسان العرب ١ : ١١

بَعْدَهَا ^(١) ، وقرأ ابن كثير « اَنْذَرْتَهُمْ » بهمزة بعدها ألف ، وأما قراءة ابن
محيصن فإنه ما فيها لعارض أعترض من قبل خط المصحف وحجة لفظها من
جهة النحو ؛ أن أم أغت عن ألف الاستفهام ، كما قال عمرو القيس .
تَرُوحُ مِنَ الْحَيِّ أَمْ تَبْتَكَرُ وَمَاذَا يَصْرُكَ لَوْ تَنْتَظِرُ
أراد اتروح ، فاكتفى بأم من الألف .

وقال أحمد بن يحيى : يكتب يَاسَامُهُ ، بِاسْحَاقُ ، يَاحْمَدُ بِالْفِ واحدٍ إشاراً
للاختصار ، والساقط في قول الكسائي ألف يَ . وفي قول الفراء : ألف إسحاق ،
واسامة ، وأحمد ، وإذا كتبوا الأسامة قَامَ ، اسْحَاقُ جلس . احمد انصرف ،
كتبوا : في أحمد الفاء واحداً لاتفاق حركتي الهمزتين ، وكتبوا في الأسامة واواً
بعد الألف ، وفي اسحاق ياء بعد الألف تغليبا لضمه وكسرة الهمزتين ، ولئوقعوا
بين المتفتحتين والمختلفتين افتراقاً . ولم يفعلوا هذا في يا اسامة ، يا اسحاق لاختلاط
يا بالمنادى ، وانه حرف تدعى به الأسماء دون الأفعال والحذف معه حسن .
فكتبوا : يا عبد الله بالف بين الياء والعين على الأصل ، وكتبوه بياء متصلة بالعين
تغليبا للاختصار ، ولم يكتبوا : يا حمد إلا بالف واحدة دلالة على اختلاط يا بالذى
بعدها . وكتبوا : أو أسامة قام ، أو إسحاق جلس ، أو احمد انصرف بالف بعد
الواو . والهاء في الأبواب الثلاثة . لأن حكم ما بعد حرف العطف حكم المستأنف
المبتدأ . وكذلك : أو أنبئكم ، أو انك معرض . ولهذه العلة حذفت الألفان في
(س ٢٧ آ ٢٥) « آلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ » في قراءة الكسائي ^(٢) ، لأن يا منادى
بها الأسماء دون الأفعال .

ومعنى القراءة : ألا يا هؤلاء اسجدوا ، فكفى يا من هاولاء وسقطت الفه كما

(١) انظر الاتحاف ص ٧٩

(٢) انظر : التيسير ص ١٦٧

تسقط مع هؤلاء إذا ظهر^(١)، ولما سقطت الف ياً، واتصلت بها الف اسجدوا سقطت بعد سقوطها دلالة على الاختصار وإيثاراً لما يخفّ وتقلّ الفاظه .

ومنها : زعموا قراءة أبي عمرو : وجبريل ، وميكال^(٢) بخلاف المصحف وشنعوا عليه فيها ، وقيل : ميكال لفظه بالف بعد الكاف ، وخط المصحف ياء بعد الكاف فظاهر هذا خلاف ظاهر المصحف . والجواب عن ذلك من وجهين : أحدهما : أن الألف في ميكال بدل من الياء على مذهب من كتب علي بن أبوطالب ، وتسكّم علي بن أبوطالب . وكانت قاعدته من هذا الاعتدال أن حروف المدّ واللين الثلاثة كل واحد منها يكفى من الآخر إذا لزمه استعمال ، ولا يقاس على المستعمل منه غير المستعمل .

والوجه الآخر : أن الأصل في ميكال ميكاثل على قراءة ابن محيصن ، فقلبت الياء همزة فصارت ألفاً لانفتاح ما قبلها ، كما قالت العرب : ذر الرجل إذا غضب واحتدّ وبيّنوا همزة فقالوا : ذار على مثال باع ، وقال : وإذا كان المبنى هذا فغير مُستنكر أن تكتب همزة ألفاً ويتكّم بها ، وأن تصرف في اللفظ إلى الألف وخطها بالياء لأن همزة ليس لها صورة إنما تدبرها حركاتها .

ولأبي عمرو في هذا حجة ثالثة وهي : أن ميكال كتب بلغة من يقول ميكليل ، وقرىء بلغة من يقول : ميكال ، لاتفاق معني الحرفين ومن بنى على هذا وقرأ (س ٦١ آ ٢) « مِنْ بَقْلِهَا ، وَفِنَاءِهَا ، وَثُومِهَا »^(٣) . وقال : كتب بالفاء وقرىء بالثاء لتأخى الحرفين لم يُصب ، لأن الثاء ليس موضعها من الفاء كموضع الألف من الياء ، والياء والألف والواو ، تتشاكلن بالمد واللين ، وتتقارن في المخرج ،

(١) هكذا في الأصل

(٢) في س ٩٨ آ ٢ . انظر النشر لابن الجزرى ٢ : ٢١١

(٣) انظر Materials ص ٢٦ .

وتجربن مجرى الحركات . والثاء تخالف الفاء ، لأن الثاء تخرج من طرف اللسان وتواخى في مخرجها الطاء والتاء . والفاء لها مخرج آخر من الشفة السفلى ، والاسنان العليا من الثنايا فهي تخالف الثاء ، ولا تكفى منها في الخط ، ولا تحمل عليها . وكذلك قرأه حمزة وغيره ، « وَجَبْرِئِلَ وَمِيكَائِيلَ » لا تخالف المصحف ، لأن الياء تكفى من الياء كما كفت الألف من الألف . وقرأ نافع بهمزة مكسورة بعد الألف موافقة لهجاء المصحف ، لأن الألف تسقط من « مِيكَائِيلَ » كما تسقط في (س ١٤) من « ملك يوم الدين » ، (س ٢٩) « وما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ » ، (س ٥١٢) « وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » . وفي « جبريل » عشر لغات جَبْرِئِلَ بفتح الجيم مع همزة ليست بعدها ياء ، وَجَبْرِئِلَ بكسر الجيم مع تسكين الياء من غير همز ، وَجَبْرِئِلَ بفتح الجيم وكسر الهمزة وتشديد اللام على قراءة يحيى بن يعمر ، وَجَبْرِئِلَ بفتح الجيم وتسكين الياء من غير همز ، وَجَبْرِئِلَ بفتح الجيم مع همزة بعدها ياء ، فهذه الأوجه الستة^(١) قرأت بها القراء ، ولغات أربع مأثورات عن العرب . جَبْرَيْنَ بفتح الجيم مع همزة مكسورة وبعدها ياء ونون ، وَجَبْرَيْنَ بكسر الجيم وتسكين الياء وبنون من غير همز ، وَجَبْرَائِيلَ بفتح الجيم وإثبات أَلِفٍ بعد الراء وهمزة مكسورة بعدها ياء ، وَجَبْرَائِيلَ بفتح الجيم وإثبات الألف مع همزة مكسورة ليست بعدها ياء .

وفي « مِيكَالَ » خمس لغات : مِكَائِيلَ بهمزة وبعدها ياء ، وَمِيكَائِيلَ بهمزة ليست بعدها ياء . وميكال بألف لا همز بعدها ، وَمِيكَائِيلَ بهمزة محتملة الكسر بعد الكاف ، وميكائيل بهمزة بعدها ياء ونون يعد الياء^(٢) .

ومنها : قوله « مِنْ أَسَاوَرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤُورٍ » في سورتي الحج (س

(١) ذكر خمسة فقط فسقط من الأصل قراءة من قرأ جبرئيل بكسر الجيم

مع همزة مكسورة بعد الراء

(٢) في الأصل بعد الألف

٢٢ آ ٢٣) والملائكة (س ٣٥ آ ٣٣)، وفي المصحف « وَلَوْلُؤَا » بالنصب، ^(١) (في الحج) وفي الملائكة . وروى عَنْ قَالُونَ ، عن نافع نصبهما في السورتين ، وَبِقَوْلِ الْأَلْفِ ثَابِتَةً فِيهِمَا . وعن عاصم الجحدري أنه كان يقرأ في الحج : « وَلَوْلُؤَا » بالنصب ، وفي الملائكة ، « وَلَوْلُؤِي » بالخفض . وعن حمزة أنه كان يخفض « وَلَوْلُؤِي » في السورتين .

والجواب : أنه مافي هذه القراءات خلافٌ للمصحف لأن الذين نطقوا بها خلاف المصحف هم الذين خَفَضُوا . « وَلَوْلُؤِي » وفي المصحف فيها ألفٌ بعد الواو ، وما في ذلك خلافٌ ، لأن الهمزة إذا أبدلت منها الواو أدغمت بألف ، فضعف انقلابها من الهمز فإنها لا تقوى قوة الواو في أبُو ، وَحَمُو ، وَأَخُو ، وَفُو ، وَذُو ، وما يجري مجراهن . دليل هذا أنهم كتبوا « الْمَلَأُوا » ^(٢) بألفٍ بعد الواو ، « وَيَسْأُوا » بواو بعدها ألف ^(٣) .

وقد قال الخليل : يثبت ألفٌ بعد واو الجمع في قَالُوا ، وَأَمَرُوا ، وَنَهَوْا لأن الضم يشاكل المدَّ ، والمدُّ ينقطع إلى مخرج الهمز . فذهب إلى أن الواو شاكلها الهمز ، فعَلَّتْ أَلْفٌ بعدها لموافقة الألف الهمزَ ، وَمَشَاكَلَةُ الواو المدَّ الذي ينقطع إلى الهمز

وقال القراء وأصحابه : كتبت الألف بعد واو الجمع فرقاً بين الواو الأصلية ، والزائدة ، والأصليةُ وَأَوُ أَخُو ، وَأَبُو ، وَحَمُو ، وَفُو ، وَذُو . وَهَوَ وَأَوُ أُولَى وما يجري مجراهن .

والزائدةُ واو كفروا ، وظلموا ، وأحسنوا ، وأسأوا لأنها دالة على الجمع وليست من نسيج الحرف ، ولا موجودةٌ فاء منه ولا عيناً ، ولا لاماً ، ففرقوا بالألف الزائدة بين المزيد والأصلي .

(١) انظر التيسير ص ١٥٦ والمقنع ٤٣ .

(٢) انظر المقنع ص ٦٠ .

(٣) انظر المقنع ص ٦٢ .

وقال بعض أصحاب الفراء : كان المزيد أحقُّ بأن يزداد عليه من الأصلي ، لما في الزائد من الضعف الذى يحتاجُ من أجله إلى التفرقة ، والأصلى استغنى بقوته عن كل زيادةٍ ودعامةٍ ، ويوضح هذا سقوط واو الجمع في بعض الحالات ، وأنَّ الأصليَّ من الواوات لا يقوى حذفُه كقوة حذف الزائد إلا أن يشبهَ به ويحمل عليه .

وقال الفراء وأصحابه في يدعوا ، ويفزوا ، ويعفوا كتبت مثبته الألف بعد واوها فيما كانت الواو ساكنةً بعدها ، فإن انفتحت الواو بعدها كقولهم : أن يعفو ، وأراد أن يفزو ، وأردتُ لتسهو (استغنت عن الألف) . وعلة هذا أن الواو لسكونها شاكلت وا الجمع فلزمها من الزيادة ما استحقتُه واو الجمع ، فحين فتح الواو الناصبُ خالفت واو الجمع فرجعت إلى أصلها في استغنائها لقوتها عن الزيادة . ومن مذهب الكوفيين أن يكتبوا بنوا ، وأولوا ، وضاربوا ، وقَاتِلُوا ، ومُكْرِمُوا ، ومُحْسِنُوا بألفٍ بعد الواو ، لأن زيادتها^(١) وضعفها هنا كزيادتها في تحدثوا ، وقعدوا ، وقاموا .

والبصريون يكتبون بنو ، وأولو ، وضاربو ، وما شاكلهن بغير ألفٍ بعد الواو ، ويحتجون بأن هذه الواو تنقلب ياء في بنى ، وأولى ، وضاربى فحين لم تلزم خالفت واو قالوا ، وعارض الكوفيون بأن الضعف يلزم واوى كفروا ، وبنوا بالزيادة وخلاف الأصول فلا فرق بينهما من هذا الوجه .

وقال الأخفش : تثبت الألفُ بعد الواو في كفروا فرقا بين فعلوا ، وفعل ، وادعى أنهم أشفقوا أن تلتبس كفروا إذا لم تكتب بعد واوه ألف ، بكفر ، وفجر ، أو كفر ، وظلم . فعارضه أحمد بن يحيى وغيره بأن الألف ما أزلت لبسا ، وأنها وهى موجودة حاضرة يتوهم على الحرف معها أنه فعل ، وأفعل كقولهم : كفر

وَأَلْحَدَ كَفْرَ وَأَلَامَ ، فَإِذَا كَانَ اللَّبْسُ قَائِمًا مَعَ الْأَلْفِ فِي هَذَا الْمَثَالِ فَهِيَ غَيْرُ قَاطِعَةٍ
 كَبَسًا لِلْمَثَالِ الْآخَرِ ، وَلَا وَجَهَ لَعَلَّةِ دُخُولِهَا إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ فَارِقَةً بَيْنَ الزَّائِدِ وَالْأَصْلِيِّ
 وَقَالَ الْكَسَائِيُّ : كَتَبُوا أَلْفًا بَعْدَ الْوَاوِ فِي يَدْعُوا ، وَيَغْزُوا ، وَالْوَاوِ سَاكِنَةٌ ،
 وَفِي لَنْ يَدْعُوا ، وَلَنْ يَغْزُوا ، وَالْوَاوِ مَفْتُوحَةٌ ، لِيَفْرُقُوا بَيْنَ وَقُوعِ الْوَاوِ طَرَفًا وَكُونِهَا
 وَسَطًا حِينَ يَخْتَلِطُ الْمَكْنِيُّ بِالْفِعْلِ الَّذِي هِيَ آخِرُهُ فِي قَوْلِهِمْ : هُوَ يَدْعُوهُمْ ،
 وَيَغْزُوهُمْ ، وَلَنْ يَدْعُوهُمْ ، وَلَنْ يَغْزُوهُمْ . دَلِيلُ هَذَا : إِسْقَاطُهُمُ الْأَلْفَ بَعْدَ الْوَاوِ ،
 فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (س ٨٣ آ ٣) « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » .
 عَلَى أَنَّ هُمْ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ بِكَالُوا وَوَزَنُوا . وَالْمَعْنَى فِيهِمَا ، « وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ
 وَزَنُوا لَهُمْ » ، وَالْوَقْفُ عَلَى كَالُوا ، وَوَزَنُوا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ لَيْسَ بِجَائِزٍ لِاخْتِلَافِهِمْ
 بِالْفِعْلِ النَّاصِبِ لَهُ . وَلَوْ كَانَ هُمْ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى التَّوَكِيدِ لِلضَّمِيرِ الَّذِي فِي
 كَالُوا وَوَزَنُوا لَثَبَّتِ الْأَلْفُ بَعْدَ الْوَاوِ كَمَا فِي قَامُوا ، وَقَعَدُوا حِينَ لَمْ يَقَعْ
 وَسَطًا كَمَا تَوْسَطُ ^(١) فِي ضَرْبِهِمْ ، وَهُمْ مَفْعُولٌ وَلَمْ يَتَطَرَفْ ^(١) فَيُوجِبَ لَهَا
 التَّطَرُّفَ إِحْلَاقَ الْأَلْفِ بِهَا .

وَمِنْهَا : زَعَمُوا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : (س ٢٧ آ ٣٦) « فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ » .
 بَفَتْحِ الْيَاءِ وَالْمَصْحَفِ لَا يَاءَ فِيهِ ^(٢) .

وَالْجَوَابُ : لَا مَخَالَفَةَ ، فِيهِ لَعَلَّتَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْيَاءَ فِي خَيْرٍ تَكْفِيٍّ مِنْ يَا آتَانِي
 كَمَا كَفَتْ يَاءُ حُطًى مِنْ يَاءٍ قَرَشَتْ . وَالْعَلَّةُ الْآخَرَى : أَنَّهُ كَتَبَ بَلْغَةً مِنْ يَقُولُ
 اتَانِ بَغَيْرِ يَاءٍ ، وَقُرِئَ بَلْغَةً مِنْ يَثْبُتِ الْيَاءُ وَيَفْتَحُهَا ، وَقَدْ بَنَاهُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ
 جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ ، وَالسَّلَفُ . فَرَوَى عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ « فَمَا آتَانِي اللَّهُ »
 بَفَتْحِ الْيَاءِ فِي الْوَصْلِ .

(١) اى الواو .

(٢) انظر المقنع ص ٣٤ و ٩٣ و ١٠٧ .

وهاتان الحجتان هما حجتا أبي عمرو وفي قراءته (س ٣٩ آ ١٧) « فَبَشَّرْ عِبَادِي الَّذِينَ » بفتح الياء على ما رواه عنه شجاع بن أبي نصر .

ومنها : زعموا قوله (س ٣٦ آ ٢٧) « أَتُمِدُّونِي بِمَالٍ » لا يختلف الناس في ان هذه الياء لا صورة لها في المصحف ^(١) ، ومن قرأ « أَتُمِدُّونِي » بنون مشددة وياء ثابتة بعدها فقد خالف المصحف .

والجواب : لاحجة تلزمهم ، فتوجب عليهم مخالفة خط الإمام لحجج ثلاث :
أولاهن : ان صورة الياء يوافق صورة النون في خط المصاحف أو بعضها فانفق هجاء « أَتُمِدُّونِي » بنونين ، و « تُمِدُّونِي » بياء بعد النون ، كما شاكل خط الياء في ذى خط النون في من مشاهد ذلك في المصحف ، وموقوفاً عليه عند التأمل والتدبر . وانقضت القراءتان لاتفاق الصورتين في « أَتُمِدُّونِي » و « تُمِدُّونِي » كما اتفقت الصورتان وصحت القراءتان في (س ١٩ آ ٧٤) « أَحْسَنُ أَمَّا نَا وَرِيًّا » إذ كانت الراء والزاي صورتها واحدة . وروى عن حمزة أنه كان يقرأ « أَتُمِدُّونِي » بنون مخففة بعدها ياء في اللفظ وهذه الرواية بتشديد النون وإثبات الياء ^(٢) .

وعن نافع برواية ورش « أَتُمِدُّونِي » بنونين بعدها ياء في الوصل واللفظ . وروى إسحاق عن نافع أنه كان يقرأ « أَتُمِدُّونِي » بنون مخففة بعدها ياء في اللفظ . وهذه الرواية ، يجب فيها إثبات الياء عند الوقف ليصح لها موافقه هجاء المصحف ، والأصل في النون الشديدة تخفيف الشديد من هذا الموضع كما خفف من أشهد أنك عالم ، أصله أنك ، وعلى هذا المعنى بناء (س ٦ آ ٨٠) « أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ » تشاقون فيهم . وقال : قالت العرب : الرجال يضرُّونني ويقصدونني . وأصلها يضرُّونني ، وبَقَصِدُونِي ، لأنهما ادغام يضرُّونني ويقصدونني . قال :

(١) انظر المقنع ص ٩٧

(٢) انظر الأنحاف ص ٢٠٦ .

تَرْهَبْنِي وَالْجَيْدُ مِنْكَ لِلَّيْلِ وَالْحَشَى وَالْبَغَامُ وَالْعَيْنَانِ
فَاصِلُهُ تَرْهَبْنِي، خَفَفَ .

والحجة الثانية : ان الياء أجريت مجرى الكسرة^(١) واكتفى بالنون الحاصلة من النون الساقطة لمشكلة النون الياء إذ النون من حروف الغنة ، والألف والياء تشاكلها من هذا الطريق ، فلما كتبت الياء من الياء في مواضع قد ذكرت كان هذا مذهباً بها ومُعَلَّلاً بعلتها . والعلة الثانية ان « أَتَمِدُّونِي » كان التشديد في لفظه يقوم مقام حرفين في خطه كما لَزِمَ لَامَ اللَّيْلِ مثلُ هذا الاعتلال ، فأقيمت مقام لامين وناب التشديد فيها عن لَامِ اللَّحْمِ ، وَلَلَّيْنِ ، وَلَلَّعْبِ ، وَلَلَّذَةِ وَمَا يَجْرِي مجراها .

ومنها : زعموا قوله تعالى : (س ١٠٣٣) « وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا » ، (٦٧٢) « فَأَصْلُونَا السَّبِيلَا » ، (٦٦٢) « وَأَطَعْنَا الرُّسُولَا » فمن قرأ « الظنون » بحذف الألف . وكذلك « السَّبِيل » ، و « الرُّسُول » فقد خالف المصحف ، لأن فيه إثبات الألف في المواضع الثلاثة^(٢) .

والجواب لامخالفة تلزمهم من حذفها ، لأن الألف التي في أطعنا ، والداخلية في أول الرسول ، والسَّبِيل ، والظنون تكفي من الألف المتطرفة المتأخرة كما كتبت ألف أبا جاد^(٣) من ألف هوز . وفيه حجة أخرى وهي : أن الألف أنزلت منزلة الفتحة وما يلحق دعامة الحركة التي تسبق والنية فيه السقوط ، فلما حمل على هذا كانت الألف مع الفتحة كالشيء الواحد يوجب الوقف سقوطهما منه ، ونعمل على أن صورة الألف في الخط لا توجب موضعاً في اللفظ فإنها كالألف في « لسحران » (س ٦٣٢٠) وفي « فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » (س ١١٤٢) ، وفي

(١) في الأصل : وما لم تحضر الكلمة : وهي زائدة للزوم لها .

(٢) أنظر المقنع ص ٤٠ و ٤١ .

(٣) يعني : ابجد .

« وواعدنا موسى » (س ١٤٢٧) وما يشبههنَّ مما يُحذفُ من الخط وهو موجودٌ في اللفظ ، ويثبتُ في اللفظ وهو مسقط من الخط . وفيه حجة ثالثة وهي : أنه كتب بلغة من يقول : لقيتُ الرجلَ ، وقريءُ على لغة من يقول : لقيت الرجل بغير ألفٍ .

وروى أحمد بن يحيى عن جماعة من أهل اللغة ، أنهم رووا عن العرب : قام الرجلُ بواو ، ومررت بالرجلي بياء ، في الوصل والوقف ، ولقيت الرجلَ بألفٍ في الحالين كليهما . قال الشاعر :

أَسْأَلُهُ عَمِيرَةً عَنْ أَيْهَا خِلَالَ الْجَيْشِ تَعْرِفُ الرِّكَابَا
فَأُثْبِتُ الْأَلْفَ فِي الرِّكَابِ بِنَاءٍ عَلَى هَذِهِ اللُّغَةِ ، وَقَالَ الْآخَرُ :
إِذَا الْجُوزَاءُ أُرْدِفَتْ الثَّرِيَا ظَنَنْتُ بِآلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا
وعلى هذه اللغة بنى نافع وغيره .

وذكر عن محمد بن عبد الرحيم قال : أقرأني أبو الريع ، وأبو الأشعث عن ورث ، عن نافع « الظنوننا » ؛ و « الرسولَا » ، و « السبيلَا » بألف في الوصل ، والوقف .

وعن أبي عبيد ، عن الكسائي : أنه كان يسقط الألف من الظنون ، والرسول ، والسبيل في الوصل ، ويثبتها في الوقف .

وقال أبو عبيد : أختياري تعهد الوقف على هذه الحروف الثلاثة ، وأن يسكت عليها بالألف ليوافق خط المصحف ، ولا يخرج بها عن مذهب من مذاهب العرب ، ولغة من لغاتهم .

وقال ابن الأنباري رحمه الله : ومن وصل بغير ألف ووقف بالألف فجائز أن يحتجَّ بأن الألف [ثبتت] عند السكت حرصاً على بقاء الفتحة ، وأن الألف تدعمها وتقويها .

ومنها : زعموا قوله (س ٧٦ آ ١٥ ، ١٦) « كَانَتْ قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ »
بغير ألف في كلا الحرفين ، وكلاهما في خطه في المصحف ألف ^(١) .

والجواب : لا لمخالفة تلزمهم في ذلك ، لأنه مما كتب بلفظه ، وقرئ بأحرفٍ
تشاكلها ، وإن ألفاً حاضرة كفت عن ألف غائبة .

ومنها : زعموا قوله تعالى (س ٧١ آ ١١) « أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ »
(س ٣٨ آ ٢٥) « وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ » ، (س ٣٨ آ ٢٩) « وَعَادًا
وَتَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ » ، (س ٥١ آ ٥٣) « وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى » ^(٢)

فقرأ حمزة « أَلَا إِنَّ ثَمُودَ » لا يُجْرِيهِ في جميع القرآن ، وهذا مخالف
للمصحف ، لأن أبا جعفر الرواس ، وألكسائي ، وألفراء ، وسيبويه : حكوا عن
العرب أنهم يقفون على المنصوب الذي لا يَجْرِي ^(٣) بالألف فيقولون : رأيتُ
عُمَرَ يَا بُنَيَّ بغير تنوين وسكون ، رأيتُ عُمَرَا بألف ، على أن الألف تدغم فتحة
الراء وليست بدلا من التنوين ، إذ كان الاسم الذي هي آخره لا يجرى ؛ فهذه
كقراءة من يقرأ (س ٦١ آ ٢) « أَهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ » ويقف « أَهْبِطُوا
مِصْرَا » بألف ^(٤) .

وروى عن حمزة ، عن الأعمش أنه كان يقرأ « أَهْبِطُوا مِصْرَ » بلا تنوين ،
وعن الأعمش أيضاً أنه كان لا يعرف مصرا ويقرأ « أَهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ » ^(٥) .
وسئل الأعمش عنها فقال : هي مصرُ التي عليها صالح بنُ علي . قلت :
فمن وقف على « مصر » بألفٍ فله أن يقول : هي مصر من الأمصار غير

(١) انظر المقنع ص ٤٠ و ٤١ و ٤٢ .

(٢) المقنع ص ٤٤ .

(٣) المقنع ص ٤٠ .

(٤) يعني : يصرف .

(٥) انظر الاتحاف ص ٨٤ .

معين سبيله أن يجرى^(١) ، وتكون الالف فيه بدلاً من التنوين . دليل هذا أن بنى إسرائيل لما ملؤ المن والسلوى ، وقالوا لموسى (س ٦١٢) « فَأَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْزِلُ الْأَرْضُ » . قال لهم عليه السلام « أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى » ، يعنى : الذى هو أحسن ، العدى ، والبصل ، والبقل « بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » ، المن والسلوى ؟ « أَهْبِطُوا مِصْرًا » من الأمصار فإنكم تجدون ما التمستم من العدى ، والبصل ، والبقل . والمذهب الآخر الوقف على مصر بالف ، وهى مختصة معينة ، لا تجرى باتصال بعض الكلام ببعض مشكلة للمذكورة فى قوله (س ٥١٤٣) : « أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ » ؟ فتكون الالف دعامة للفتحة لا غير فى هذا المعنى . ومن زعم أن مصر تجرى وهى معرفة كما تجرى هند من أسماء النساء فقد أخطأ ، لأن هنداً تتردد على جماعة من النساء ، فحفظها التردد والتنقل ، فتجرى لذلك مع قلة حروفها ، وكذلك دعد ، وحمل ، وهر ، ومصر ، وحلب ، وقيد وما يشبههن لا يجرى منهن اسم ، لأنهن لا ينقلن ، ولا يسمى بهن غيرهن فثقل التعريف ، وثقل التأنيث يلزم منهن ، ولا يجرين للعلتين ، أنشد أحمد بن يحيى :

مَا مِنْ أَنْاسٍ بَيْنَ مِصْرَ وَعَالِجٍ وَأَيْنَ إِلَّا قَدْ تَرَ كُنَاهُمْ وَرَا
فلم تجر مصر لتعريفها وتأنيثها .

ومنها : زعموا قوله (س ١١٢ آ ١١٠) : « فَتَنْجِي مَنْ نَشَاءَ » بنونين ، وفى المصحف نون واحدة^(٢) .

والجواب : أن أكثر القراء أثبتوا النونين ، وعملوا على أنه كتب بلغة من يقول « نُجِّي » ، وقرىء بلغة من يقول : « نُنْجِي » ، وقد يجوز أن يكتب

(١) يعنى : بصرف .

(٢) انظر المقنع ص ٩١ و ٩٦ و ١٤٧ والتيسير ص ١٣٠

بنون من نون ، كما اكتفى بياء من ياء ، والف من الف ، وَوَاو من واو ،
غير أن المستعمل لا يقاس عليه غير المستعمل .

وروى أبو عمر عن الكسائي أنه كان يقرأ « فَنَجَّى » على معنى النونين ،
إلا أنه يدغم الثانية .

وقال ابن الانباري : وما جَوَّز النحويون إدغام نون في « نُجَّى » لكنهم
يحيزون الاخفاء ، والاختفاء بين الادغام والاطهار ، فيحمل الخفي على المدغم ،
وتسقط النون الثانية من الخط ، على أن الاخفاء أوجب لها ذلك ، كما أوجب
الادغام سقوط الدال الأولى من الخط في مدّ وردّ ، وإن لم يوجد هذا مستعملاً
في النظائر « فَنَجَّى » في هذا الباب كالليل في بابه حين خالف نظائره وأشكاله .
وعن أبي بكر عن عاصم أنه قرأ « فَنَجَّى مَنْ نَشَأَ » بنون واحدة ،
والياء مفتوحة . وقرأ في سورة الأنبياء (س ٢١ آ ٨٨) « وَكَذَلِكَ نُجَّى
الْمُؤْمِنِينَ » بنون واحدة^(١) .

وأما الحروف التي في سورة يوسف فلا مطعن عليه فيه ، لأن « نُجَّى » فعل
ماضي ، ومن موضعها رفع لقيامها مقام الفاعل . والحرف الذي في سورة
الأنبياء طعن عليه فيه بأن « نُجَّى » يجب فتح آخره ورفع « المؤمنين » به ،
فيقال : نُجَّى المومنون ، كما يقال : كَرَّمَ الصالحون . وله حجتان عند
أهل النحو :

أحدهما : أن المؤمنين في موضع نصب بنجى ، ونجى مستقبل نونه الثانية
مخفأة كالمدغمة .

والحجة الأخرى : أن نُجَّى فعل ماضٍ سَكَنْتْ يَأُوهُ على لغة من يقول :
بَقِيَ ، وَرَضِيَ ، فلا يحرك الياء . وقرأ الحسن (س ٢٧٨ آ ٢٧٨) « وَذَرَا

مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبِّ « استنقلاً لتحريك ياء قبلها كسرة. ^(١) أنشد أحمد بن يحيى :

حَمَّرَ الشَّيْبُ لَمَّتِي تَحْمِيرًا وَحَدَا بِي إِلَى الْقُبُورِ الْبَعِيرَا
لَيْتَ شِعْرِي إِذَا الْقِيَامَةُ قَامَتْ وَدُعَى بِالْحِسَابِ أَيْنَ الْمَصِيرَا

قال أحمد بن يحيى : سكن الياء في دُعَى استنقلاً لتحريكها ، وقبلها كسر وفاعل حدا الشيب . وحدا الشيب البعير ليت شعري المصير أين هو . وموضع « المومنين » نصب ، واسمُ مَا لَمْ يسم فاعله مضمَرٌ . [أى] وكذلك نجى النجاء المومنين . قال بعض العرب : ضُرِبَ أَخَاكَ ، يريد ضُرِبَ الضَّرْبُ أَخَاكَ . أنشد أحمد بن يحيى .

فَلَوْ وَلَدَتْ فَقِيرَةٌ جِرْوَ كَلْبٍ لَسَبَّ بِذَلِكَ الْجِرْوِ الْكِلَابَا

معناه : لسبَّ السبُّ بذلك الجرو . وَمَا يَخَالِفُ ابْنُ مُحِيصَن هجاء المصحف فى الحرف الذى روى عن شبل عن ابن مُحِيصَن : أنه قرأ « فَتَجَا مِنْ نَشَاء » ^(٢) لأن « نجا » وإن كان من بنات الواو ، فإنه يجوز أن يكتب بالياء إذا قرئ به استعمالاً ، كما كتب زكى بالياء ، وهو من زكوت ، وإنما ساغ هذا لأن اللام فى هذا الباب الياء أغلب عليها من الواو ، إذا كانت الواو ترجع إلى الياء [كما] فى استغزى ، واستعدى ، واغتدى ، على أن « نجا » بمنزلة زكا ، وأنه لا يخالف هجاء المصحف . فجوزوا الإمالة فى بعضها مما كثر استعماله . فقالوا : زَكَّى ، ولم يقولوا : غَدَى ، ودَعَى لزوماً فيهما أصل الباب ووجه العلة . فعَمِلَ ابْنُ مُحِيصَن على أن « نجا » بمنزلة زكى ، وأنه لا يخالف هجاء المصحف .

وروى وَرْش ، عن نافع « فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ » بإثبات الياء وتشديد النون فى سورة الكهف (س ١٨ آ ٧٠) ، والياء من خطها ساقط للحجج

(١) انظر الاتحاف ص ١٠٠ .

(٢) انظر الاتحاف ص ١٦٢ .

التي تقدّمت من الاكتفاء بباء من ياء ، و بلغة من لغةٍ ، وغير ذلك مما تكره إعادته إشفاقاً من التكرار والإطالة .

وقال الشيخ محمد بن الهيصم : أما القراءات فإنها على ثلاثة أوجه :

منها : أن يغلط القارئ فيقرأ على خلاف ما هو الحق ، وذلك ما لا يجوز أن يُعتدَّ به في قراءات القراء ، وإنما يرجع لومه على الغالط به ، ولربما يكون هذا الغلط من بعض مَنْ عُرِفَ بالعلم أو بالقراءة فينقل ذلك عنه ، ولعله لو روجع فيه لعرف غلطه وعاد إلى الحق والصواب . وهذا الضرب أيضاً مما لا يقدح في تلاوة القرآن والثقة به .

والوجه الثاني : من القراءات أن يكون القارئ قد نزل على لغةٍ ، ثم خرج بعضُ القراء فيه إلى لغةٍ أخرى من لغات العرب مما لا يقع فيه خلاف في المعنى ، فترك التكبير عليه تيسيراً وتوسيعاً فنقل ذلك ، وقرأ به بعضُ القراء ، (وذلك) بمنزلة ما ذكر عن أنس بن مالك أنه قرأ (س ٩٤ آ ٢) « وَحَلَلْنَا عَنْكَ وَزُرْكَ » ^(١) ، ولا ينكر أن يكون قد قرئ من هذا الضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكره ، وذلك بمنزلة ما ذكر عن أبي حنيفة رضي الله عنه : أن من قرأ بالفارسية جازت صلاته ، وهذا الهجوم إنما ساغ لأولئك الذين دخلوا في الإسلام ، وقرأوا القرآن بعد أن مرت نفوسهم على لغات تخالف لفظ القرآن على وفاق من المعنى ، فسوغ لهم المعنى على عاداتهم ، ولا يبعد أن يكون في القراءات المنقولة ما جرى هذا الجرى . وذلك مما لا يدخل في النقل الشائع المستفيض الذي تأدى إلينا على لسان الأمة .

والوجه الثالث : من القراءات هو ما اختلف باختلاف النزول بما كان يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل في كل شهر رمضان ،

وذلك بعد ما هاجر إلى المدينة ؛ فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقفون منه حروف كل عرض ، فمنهم من يقرأ على حرفٍ ، ومنهم من يقرأ على آخر إلى أن لطف الله عز وجل بهم ، فجمعهم على آخر العرض ، أو على ما تأخر من عرضين أو ثلاثة ، حتى لم يقع في ذلك اختلاف إلا في أحرف قليلة ، وألفاظ متقاربة ، والذي وقع من اختلاف حروف الهجاء آت فيما أجمعوا عليه فرقها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المصاحف حين انتسخوها ثلاثاً تذهب . ولهذا العلة اختلفت مصاحف أهل الشام ، وأهل العراق ، وأهل الحجاز في أحرف معددة على ما ذكرناه قبل هذا الفصل ، فاعرفه موقفاً إن شاء الله .

الفصل السابع

في ذكر التفسير والتأويل

وما قيل فيهما ، وما يحتاج إليه المفسر ، وذكر الحكم والمتشابه ، والحكمة في إنزال الله المتشابه ، وكتابه الذي فصلت آياته .

ولما ذكرنا بعض ما تكلم القوم فيه من اختلاف القراءات ، وكشفنا عن قناعها بالدلالات ، فبنا أن نذكر في معنى التفسير والتأويل لأنهم إذا عجزوا عن توهين أمر الكتاب ، فرجما تعلقوا بشيء من هذا الباب وجعلوا قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار ذريعة للظن فيه بالكذب ، وهذا حديث مشهور ، فيه زوايا وأمور ، وقد تقدم منا في معنى هذا في كتابنا المعنون « بالدرر في ترفيع السور » . إلا أنما لم نشبع القول فيه ، ولم نشرع في ذكر وجوهه ومعانيه ، وههنا يتبين الرشد من الغي ، وينتشر عين الثوب عن الطي .

فنقول : قد تكلموا في معنى اللفظين ، فمنهم من جعلوها بمثابة واحدة^(١) ، واختلف لفظها . واتفق معناها كمنظائرهما من الألفاظ ، والكلم يطول ذكرها بكتابه العلي ، ومنهم من فرق بينهما في المعنى ، كما افرقت صورته (في) الفحوى فروى عن علي بن أحمد بن موسى الفقيه الفارسي قال : إن التفسير لا يتعاطاه إلا الأنبياء عليهم السلام ؛ والتأويل يتعاطاه الأنبياء وغير الأنبياء ، فيكون معنى الحديث ما يتقول على الأنبياء عليهم السلام ، مما لم يقوله . قال : وذلك لأن التفسير هو تحقيق المعنى ، وذلك لا يكون إلا من قبل الله تعالى ، والتأويل هو على احتمال اللغات ، فلكل واحد من أهل اللغة أن يتأول بلغته .

ومنهم من قال : التفسير : هو ذكر القصص ، وما أنزل فيه ، والتأويل :

(١) يعني : لفظ واحد

هو ما يحتمله معنى الكلام . فعنى الحديث هو تعين الأسباب التي أنزل لأجلها .
وحكى عن الشيخ أبي عمرو ، وعثمان بن بقة المازنى رحمه الله أنه قال :
التفسير : ابانة حكم اللفظ . والتأويل : تحميلة ما هو يحتمله من المعنى . وقيل :
التفسير : ظاهر معنى الآية ، والتأويل : يقع على مراد الله تعالى ، ولا يوقف عليه
إلا بالسمع . وقيل على ضده : إن التأويل ظاهر معنى الآية ، والتفسير يقع على
مراد الله تعالى ، ولا يوقف عليه إلا بالسمع .

وذكر ليث عن الخليل بن أحمد أنه قال : مأخذ التفسير من القسِر وهو
البيان . قال : والتفسرُ اسم للبول الذى تنظر فيه الأطباء وتستدل به على مرض
البدن ، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو تفسرته . وقال غيره : التفسير مقولوبٌ
من السفر ، وهو كشط الشيء عن الشيء كما تسفر الريح الغيم عن وجه السماء
فتُسفر ، والسفر أيضاً كنس البيت وغيره تقول : سفرت المرأة إذا كشفت النقاب
عن وجهها .

قال : فالمفسر سَفَر اللبس عن حكم الآية ببيانِه ، فقلب اللفظ بتقديم الفاء على
السين كما يقولون : جَذَبَ ، وَجَبَذَ ، وَصَبَّ ، وَبَصَّ ونحوها . وأما التأويل : فمن
الناس من قال نأخذه من قولهم : آل الأمرُ إلى كذا . أى رجع . فالتأويل
يرجعُ اللفظ ويصرفه إلى ما يحتمله من المعنى المقصود . قال الله تعالى (س ٤ آ ٥٩)
«ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَخْسَنُ تَأْوِيلًا» أى عاقبة . ومنهم من قال : بل هو تفعيل من أول
ومعناه : صرف اللفظ إلى أوله ، وذلك أن أول كل شيء هو قصد القاصد لما
يبتغيه ؛ وذلك أن المخاطبَ قَصَدَ لِبَغْيَةٍ له بخاطبه ، ولو قد أمكنه تبين قصده
عند أول ما قصد لم تسكن به حاجة إلى إيراد لفظة الخطاب ، فالمؤول بينه من
اللفظ على أوله ، وهو القصد الذى لأجله أورد اللفظ : وهذان الوجهان متقاربان
فى المعنى ، وإن تباينا فى العبارة من حيث كان .
أحدهما : اعتبار الأول وهو المبدأ .

والثاني : اعتبار المآل وهو العاقبة . وذلك أن كل قول وفعل صدر عن حكيم ، فإن أوله وآخره نكتة واحدة . بمعنى : أنه قصد في أول الفعل للأمر الذي هو المآل قَصْرُهُ إلى مآله صَرَفَهُ إلى أوله وإبانة عنه . وذلك معنى من قال : أولُ الفكرة آخر العمل ، وأمّا : ما يحتاج إليه المفسّر فقد ذكر عن الشيخ أبي عمرو عثمان رحمه الله أنه قال : يحتاج من تكلم في تفسير كتاب الله عز وجل إلى عشر خصال ، إن أخطأ واحدة منها كان السكوت أولى به .
إحداها : أن يكون عالماً بظاهر التنزيل ، عارفاً باختلاف القراءات وما يختلف به المعنى ، وما لا يختلف .

والثانية : أن يكون عارفاً بلغة العرب وطريقة النحو والاعراب .
والثالثة : أن يكون عالماً بأبواب السر من الاخلاص ، والتوكل ، والتفويض والاذكار الباطنة التي افترضها الله تعالى على عباده ، وبالألهام والوسوسة ، وما يصلح الأعمال وما يفسدها ، وبآفات الدنيا ومعائب النفس ، وسبيل التوقى من فسادها ليتأتى له تفسير الآيات المنتظمة لهذه المعاني .

والخامسة^(١) : أن يكون عالماً بأحكام الشريعة من العبادات ، والمعاملات ، والشئني الواردة فيها ليضع الآيات التي تنتظم هذه الأحكام مواضعها .
والسادسة : أن يعرف الأفاضيل ، والأخبار ، وشأن نزول الآيات ليحمل كل آية على ما يقتضيه قصة نزولها ، وليفرق بين الناسخ والمنسوخ بذلك .
والسابعة : أن يحفظ أقاويل المفسرين من السلف والخلف ، فإن ذلك أهدى له فيما يريد وأدنى إلى الصواب فيه .

والثامنة : أن يكون جيّد القريحة ، ذكي الفهم ، قوى الفكرة : فإن البليد قد يتقاعد عن فهم ما بين ، له فكيف يستنبط ما لم يبين له .

والتاسعة : أن يكون مفوضاً أمره إلى الله تعالى ، متضرعاً إليه أن يلهمه

(١) سقط من الأصل ذكر الرابعة .

الرشد والتوفيق ، وتحذير الأعجاب بنفسه والاتكال على عقله ، وجودة قريحته ، فإن المعجب مخذول .

والعاشرة : أن يكون من أهل الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، فإن كل أحدٍ محوط بما هو طالبه ، وينحون نحو ما هو من همته ورغبته ، فمن رغب في الدنيا انصرفت همته إليها ، وسيكون ما يسبقُ إلى قلبه من وجوه ما يريد أن يتكلم فيه على وفاق ما في همته وما أخوفه إذ ذاك أن يصرف كتاب الله تعالى إلى ما تهوى نفسه فيضل بنفسه ، ويضل غيره .

والذي يؤيد ما ذكرناه حديث روى عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا من زهد في الدنيا ، وقصّر فيها أمله أعطاه الله علماً بغير تعلم ، وهدياً بغير هداية ، ومن رغب في الدنيا وطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها . وتفسير قوله : علماً بغير تعلم ، هو أنه يلهمه زيادةً على ما يعلم بأن يوفقه لاجتهاد الرأي^(١) ، واستنباط الصواب ، ليس أنه يصير علماً من غير أن يتعلم البتة ، ولم يرد بذلك أن يكون قد بلغ أقصى غاية الزهد ، ولكنه يجب أن يكون معتقداً للزهد ، مجتهداً في طريق أهله من المتفرغين للعلم والعبادة ، ولا يكون من المكبتين على الدنيا ، المتقبلين عليها في غالب أحوالهم ؛ فإن الله تعالى جعل مثال العالم الذي هو بهذه الصفة مثل الكلب حيث قال : (س ٧ آ ١٧٥ ، ١٧٦) « وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثُ ؛ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » تم بين علة مالحقه من الخذلان والحرمان فقال : « وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا » فكيف يُوفق من هذه حاله من الأخلاق إلى الأرض ، واتباع

(١) يعنى : للاجتهاد فى رأى

الهوى لاستنباط الصواب؟ ولو كان لا يسوغ اجتهد الرأى وتأويل القرآن إلا لمن صار بحقيقة الزهد بحيث يعد فوات منافع الدنيا عنه غمًّا، ونيلها غمًّا حتى لا يتدخله فى ذلك غفلة، ولا توجد منه فى شهوات الدنيا رغبة، ولا يأخذ منها شيئاً سوى ما لو تركه لا تقطعه ذلك عن عبادة ربّه، إذًا لاشتد الأمر، وعظم الحرج والأصر، فإن هذه الطبقة أعز فى الأرض من الكبريت الأحمر، لاسيما ممن يكون قد تفنن مع هذه المنزلة فى أنواع العلوم، حتى تمكن من اجتهد الرأى، والنظر فى معانى القرآن والحديث معاً. وقد روى عن الكلبيّ قال: رأيت الحسن بمكة فسألته عن شيء فلم يجبنى. فقلت: نسألكم يامعشر الفقهاء فلا تجيبونا؟ فقال: ويحك وهل رأيت بعينيك فقيهاً قط؟ وهل تدري من الفقيه؟ إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا، الراغب فى الآخرة، الدائب فى العبادة، البصير بدينه. وهذا الحديث موعظة وتذكير، وترغيب فى الزهد وتبصير.

وأما القول فى الحكم والمتشابه، فإن القرآن كله محكم من جهة النظم والإعجاز كما قال تعالى (س ١١١ آ ١) «الرَّكِتَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ»، وكله متشابه من تشابه ألفاظه بعضها ببعض، فليس فيه ما ينفى ويرد لنا ويخرج عن النظم ويهمل، وذلك قوله تعالى (س ٣٩ آ ٢٣): «نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا». وبعضه محكم من جهة احتماله وجهاً واحداً لا يرتاب فيه مرتاب، وبعضه متشابه من احتماله وجوهاً كثيرة لا يقطع على واحد منها قاطع، كما أنه فى باب علم ساطع، وذلك قوله: (س ٣ آ ٧) «مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ». فاللانى «هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ» مثل قوله (س ٦ آ ١٥١) «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْهِمْ»؛ و(س ١١٣ آ ١) «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، وقوله (س ٥٩ آ ٢٣): «هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ» إلى آخر السورة، وفى أمثالها. وأما المتشابه، فإنه مثل قوله: (س ٣٩ آ ٥٦) «عَلَى

مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، (و (س ٢١٠ آ ٢) « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ » ، (و (س ٢٢ آ ٨٩) « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ » ، وما اشبهها .

فإن قيل : ولأية علة أنزل المتشابه ؟ وهو يحتمل التأويلات فهلا جعله كله محكما دالاً على ما أراده ليكون أ كشف للحق ، واقع للشبهة مع قوله تعالى : (س ٨ آ ٤٢) « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ ^(١) عَنْ بَيِّنَةٍ » ، وإذا لم يكن في المتشابه المأخوذ منه المراد (لبس ولا خفاء) فهو إلى التشكيك أقرب ، وكان متناقضاً ولم يكن من عند حكيم ، والكلام المبين الذي لا تتداخل فيه الشكوك أشبه بكلام الحكيم الذي يريد هداية عبده .

قلنا : فيه ثمانية أوجه :

أحدها : أن الله سبحانه احتج على العرب بالقرآن ، إذ كان فخرهم ورياستهم بالبلاغة ؛ وحسن البيان ، والاختصار ، والأطناب . وكان كلامهم على ضربين : أحدهما : الواضح الموجز الذي لا يخفى على سامعه ، ولا يحتمل غير ظاهره . والآخر : على المجاز والكنائيات ، والاشارات ، والتلويحات . وهذا الضرب هو المستحلى عندهم الغريب من ألفاظهم ، البديع في كلامهم . فلما قرعهم الله سبحانه فعجزهم عن المعارضة بمثل سورة أو سورة منه أنزله على الضربين ليصح العجز منهم ، وتناكد الحجج ولزومها إليهم فكانه قال : عَارِضُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَى الضربين شئتم ، في الواضح أو في المشكل ؛ ولم يقدرُوا عليه . ولو أنزله كله واضحاً محكماً بحيث لا يخفى على أحد سمعه منه لوجد المشركون مقالاً وقالوا : ما باله لم ينزل بالضرب المستحسن عندنا والمستحلى في طباعنا ؟ لأن ما وقع فيه الإشارة والكناية ، والتشبيه ، والتعريض كان أفصح ، وأعرب دليلاً قول أمراء القيس : وما ذرفت عيناك

فجعل النظر بمنزلة السهم تشبيهاً خلا به عند كل سامع واستحسنه كل منشد. ومثله قوله أيضاً :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصَلْبِهِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ
فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ

فإن ذلك أفصح من قول الآخر :

رَكِبْتُ نُجُومَ اللَّيْلِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَلِكُلِّ رَأْسٍ كَوْكَبٌ وَهَاجٌ
وإن كان أشدَّ تصريحاً من قول الآخر :

طَالَ لَيْلِي أُرَاقِبُ التَّنْوِيرَا أُرَقُبُ الصُّبْحَ بِالصَّبَاحِ نَصِيرَا

ليس إلا لما في الأول من الاستعارة ، فإن شبه الليل بالراجع لطوله كالمتمطى يُشبهُ الراجع إلى ورائه ، والجائش صدره وإن ردفته الحجرة . فجعل الليل صُلْبًا ، وصَدْرًا ، وعِجَازًا ، ووصفه بالتمطى مع أن غاية الفصاحة ، ونظم البلاغة شوب التعريض بالتصريح ، والجاز بالحقيقة لتصريف القول في كل فن من فنون البلاغة . فكان قوله (س ٧٢٣) : « آمِنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا (وَجْهَ النَّهَارِ) » اذهب في معنى البلاغة من أن يقول « في أول النهار » . وقوله : (س ٣٩١٣) « وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » أبلغ من أن يقول « أصل الكتاب » . وقوله (س ١٢٥٨) : « فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيْكُمْ » أبلغ من أن يقول : « قدموا قبل نجوكم صدقة » . وقوله (س ٢١٠) : « لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ » أبلغ من أن يقول : « لهم ثواب عمل صالح قدم لهم الوعد عليه » . وقوله (س ٢٦١٦) : « فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ » أفصح من أن يقول : « فأتى أمر الله بنيانهم من القواعد » . وكذلك قوله (س ٢٥٩) « فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا » أحسن من أن يقول : « فأتاهم أمر الله من

حيث لم يحتسبوا . وقوله (س ٣٩ آ ٥٦) « يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ » أفصح من أن يقول : « فرطت في أمر الله » ، أو « في طاعة الله » . وما أشبه ذلك من آي القرآن . لأن هذا هو البديع الذائع ، والمستعار المقتضب في لغتهم ، وصحة سعة تصرفهم وخطابهم ، وأمثالها كثيرة .

والثاني : أنزله الله سبحانه اختباراً ليقف المؤمن عنده ، ويردّه إلى عالمه ، فيعظم به ثوابه ، ويرتاب به المنافق فيستحق العقوبة ، ولم يضرهم جهلها ولو افتقروا إلى علمه لم يطوّه عنهم كما اختبر قوم طالوت بالماء فقال : (س ٢٤٩ آ ٢) « إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ » ، فكما جاز ترك الاعراض في هذا وأن لا يقال ما العلة في هذا ؛ فكذلك يؤمر بالمتشابه ولا يقال لِمَ لَمْ يكشف معانيها ولم يوضحها .

الثالث : أراد أن يُشغِلَ أهل العلم برده إلى الحكم فيطول بذلك فكرهم ، ويظهر بالبحث عنه إهتمامهم . ولو أنزله كله محكماً لاستوى فيه العالم والجاهل ، فشغل العلماء به ليعظم ثوابهم وتعلو منزلتهم ، ويكرم عند الله مآبهم ، ويضطرّ الناس إليهم ، ويلزموا أنفسهم قبول تفسيرهم . ولو لم يشغلهم بذلك لجاز أن يشتغلوا بالأمر المذمومة .

الرَّابِع : وجدنا أهل كل صناعة يجعلون في علومهم غوامض ومسائل دقيقة ليخرجوا بها من يعلمون ، ويمرّنونهم على إبداع الجواب . فإذا قدروا على الغامض كانوا على الواضح اقدّر ، فقد صنع صنّاع أهل النحو ، والتصريف ، والشعر ، والفقه وغيرها مسائل غامضة . لهذا السبب فجاز أن الله تعالى أنزل المتشابه ليخرجهم به وليرنّ عبادّه ، فإذا انبسطوا في المتشابه لم يكونوا بلداء في بعضه يرونه كالجبال وراء سترٍ ظهرت العلوم عليهم ، وكثرت منافع الناس من جهتهم ، وتسكلموا بغرائب الحكمة . كما قال صلى الله عليه وسلم : إن تهامة كيرع العسل حلواً أوّله حلواً آخره فيغمصه هذا على قوم ، واليربع الزق ، وقوله : حلواً أوّله حلواً آخره ، أي لا يتغير كتغير اللبن وشبهه .

الخامس : أنزل المتشابه لتشتغل به قلوب المؤمنين ، وتتعب فيه جوارحهم ، وتنصرف في البحث عنه أوقاتهم ، ومدد أعمارهم ، فيحوزوا من الثواب حسبا كابدوا من المشقة ، والاثرة له على غيره مما يعمل لربه ، كما تعبدهم بالصلوات ، والصيام ، والحج من المنازل إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، وغيرها من الشرائع .

السادس : هو أن الله سبحانه علم أنه لو أنزل الكتاب كله ليس فيه ما يحتاج إلى استخراج ولا نظر عالم ، لكان يستوى فيه العالم وغيره ؛ وكان ذلك يحملهم على ترك التدبر لمعانيه ، والإقبال عليه إذ يئسوا من أن يكون في باطنه غير ما في ظاهره ولا يتشاغلون به ، وإذا تفرغوا من التشاغل به حملهم ذلك على ركوب معاص ونظر في أمور مكروهة . وعلم أنه إذا شغلهم بتكليف الدراسة والاستخراج لمعاني القرآن لم يرتكبوها ، فشغلهم باستخراج حكمه الباطنة ، فصاروا لا يشبعون منه لما يهجمون عليه في كل وقت يتدبرونه من عجائب حكمه ، وغرائب فوائده ، ويحوز مع ذلك أن يكون في المعلوم أنه لو كان تنقطع الفوائد لاجتازوا عند المصير إلى انقطاع فوائده إلى الضجر منه ، والاستخفاف بحقه . وليس من كلام الحكماء شيء إلا وأنت وإن عرفت ظاهره ففي باطنه من الحكم على قدر شرف الكلام ومبلغ قدره من الأحكام ، وبما يدل على علم واضعه ، فما ظنك بكلام أحكم الحاكمين ، وأعلم العالمين ؟

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في القرآن : هو الذي لا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تقضى عجائبه . ولو كان مقصوراً على معنى ظاهره لما تنافست العلماء بالازدياد منه ، ولا استووا في الدرجات في العلم به . وأى كتاب وجدت من كتب العلماء المستحسنة تتساوى الناس في العلم به ولا يفضل بعضهم على قدر منزلته في التدبر لما لا يظن له من قصر عن منزلته ، والاستخراج لا يكون

إلا بالنظر فيما قد يجوز أن يعارضه المشتبه حتى يزيله حسن الاستخراج بالتدبر الصَّحيح والفكر الدائم .

السابع : يحتمل أن يكون الله تعالى أراد بانزاله بعض القرآن مشتبهاً أن يُريهم قدر الكفاية ، كما عرّفهم حُسن التكلف لما غمض من معانيه لاستيجاب الثواب ، فيجب الشكر عليهم والاعترافُ بالأمرين جميعاً مما أمسّط عنهم فرضه ، وما كلفهم فعله كما فعل في سائر الفروض ، لأنه معروف في المشاهدة أنه لا يعرف قَدْرَ مَا بَيَّنَّه الْعِلْمُ وكفى فيه المؤنة حتى يتكلف استخراج بعض مَادَقٍ مما لم يبيّنه ، فانه لا يعلم قَدْرَ علم العالم بالكل إلا مَنْ تعرّض للجزء منه ، وكذلك عرّف الله قومًا مداواة بعض تعديل الطبائع بالكميّة ، أو الكيفيّة ، ليريه مقدار ما كفاهم أمر تعديل الأمّات وتتصل الاجزاء اللطيفة على قدر الكفايات ، فليس أحدٌ أعلم بعد العالم الكامل ممن تعاطى استخراج الجزء من علمه . ألا ترى أنه لا يُجِلُّ أَهْلَ الْفَصَاحَةِ ، والشعر ، والخطب إلا مَنْ قد أخذ طرفاً^(١) من ذلك ، ولا يعرف قدر المهندس ، والمتطبّب ، والنحوي ، والمتكلم ، والسائس ، والمُدبّر ، والكاتب إلا مَنْ قد خالطه في تلك الصناعة بعض الخالطة ، فيعلم مقدار ما فاته منها وَحَالَهُ ما زاد على ما حواه بمعرفته بجلالة ما حوى . فلذلك ابتلى الله العلماء باستخراج ذلك ليقع لهم ذلك بالخبر والشهادة وإن آمنوا به في الجملة .

الثامن : ولقد أشار الله تعالى في كتابه إلى وجه الحكمة في ذلك بقوله (س ٢٦٢) : « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَخْلَقَ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا » . ها هنا تمام الكلام ، ثم قال جواباً لهم : « يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا » . أى أراد بذلك تحقيق معلومه في الذين سبقت مشيئته ، وعلمه ، وحُكمه لهم بالضلالة ، فجعل هذا الكلام سبباً

لذلك ولا عيبَ عليه فيه ، لأنه أحاط علماً باستحقاق الجميع العاصي منهم والمطيع .
ثم قال : « وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا » . أى وسبق علمه ، وقضاؤه ، ومشيشه فى قوم
بالهداية لما علم أنهم أهل لذلك فجعل هذا سبباً لذلك . فأما أهل السعادة فيعملون
بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، فيستوجبون الرحمة والفضل . وأما أهل الشقاوة
فيجحدونها فيستوجبون الملامة والعدل ، ولذلك قال (س ٣ آ ٧) : « وَالرَّاسِخُونَ
فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا » .

فهذه الأجوبة الثمانية يجوز أن يكون الله سبحانه أنزل بعض كلامه متشابهاً
لها أو لبعضها ، وكل واحد منها له وجه فى العظمة ، ومنفعة فى الدلالة والتعبد ،
وقد حرس الله سبحانه من اتباع الحكمة من الآفات ، وسائر حُجج الله من أن
يضره اشتباه المشتبه وجعلت له المنفعة التى ذكرنا فى اشتباه ما اشتبه ، وبالله
التوفيق .

الفصل الثاني من

في ذكر من تخرج عن التفسير واستنكره

وفيمن شرع فيه وقام به وأظهره ؛ واستشهد بالإشعار لما ذكره
والوجه في ذلك ، وفي اجتهاد المجتهدين في أحكام القرآن المختلفة
في تأويل أيها ؛ وفي جواز استنباط معانيه
على شرائطه اللغوية

ولمَّا ذكرنا بعض ما قيل في التفسير والتأويل ، ووجوه التنزيل ، وأجلنا
القول فيها من غير تفصيل ، فلا بد لنا من القول في ذكر من تخرج عن التفسير ،
وبيان وجه الحكمة فيه ؛ فإن بعض الجهال يتعلقون به ويجعلونه علة لجهلهم
وقصور علمهم وعقلهم . فمن ذلك : ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه
أنه سئل عن قوله تعالى : (س ٤ آ ٨٥) « وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتِبًا » .
فقال : أي سماء تظلني ، وأي أرض تغلني إن قلت في كتاب الله ما لم أعلم ؟
ومنها : ما روى عن جيلة وغيره ، عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قرأ على المنبر (س ٨٠ آ ٣١) : « وَفَاكِهَةً وَأَبًّا » ، فقال : هذه الفاكهة قد
عرفناها فما الأب ؟ . ثم رجع إلى نفسه فقال : لعمر كإن هذا هو التكلف يا عمر .
ومنها : ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان النبي صلى الله
عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن إلا آيات بعدد ، علمهن إياه جبريل عليه السلام .
ومنها : ما روى عن حماد بن زيد ، عن عبد الله بن عمر قال : لقد أدركت
فقهاء المدينة وأنهم ليعظمون القول في التفسير ، منهم : سالم بن عبد الله ، والقاسم
أبن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع ، إلى أخبار رويها نحو ذلك .

ومنها : ماروى عن الشعبي أنه قال : أدركتهم وما شئ أبغض إليهم أن يسألوا عنه ، ولا هم له أهيب من القرآن .

ومنها : ماروى عن الربيع بن خثيم قال : ليتق أحدكم التكذيب إياه أن يقول : قال الله كذا . وكذا . فيقول : كذبت لم أقل ، ويقول لم يقل الله : كذا . وكذا . فيقول كذبت قد قلت .

هذه وأمثالها من الألفاظ مما اتخذوها ذريعة إلى الطعن على من فسر القرآن ، وذلك شئ حاولت به الزنادقة أن يلبسوا على الأمة أمر دينهم ، وتلقته طائفتان من الناس :

إحدهما : الجهال الذين قصر علمهم عن الوقوف على معانى القرآن ، واستنكفوا أن يتعلموها من أرباب الصناعة إصراراً على العدوان ، فاكتموا بجهلهم وحماقتهم ، ولم يصلوا إلى يقظتهم وإفافتهم .

والطائفة الأخرى : الرافضة ، والحشوية . فإنهم اعتمدوا على أنه لا سبيل إلى شئ من علم الدين إلا من جهة الإمام المعصوم الذى يدعونه حجة الله على عباده ، من غير أن يقفوا منه على أثر ؛ وتسمية هذا الإمام الذى يدعونه بالمعدوم أولى منه بالمعصوم ، لأنهم منذ أربعمائة سنة ، بقليل شئ^(١) ، ينتظرونه ، ويعدون الناس خروجه ، ويترصدهونه وهو كل يوم أخفى أثراً ، وأعمى بصراً .

وأما الحشوية فإنهم اعتمدوا على ما قدمنا ذكره من تحذير السلف رضى الله عنهم عن القول فى كتاب الله تعالى بما لا تمس إليه الحاجة . ونحن نذكر أولاً فساد مذهب إليه القوم من الاقتصار على ظاهر القرآن والروايات من كتاب الله تعالى . ثم نعقبه بذكر ما تعلقوا به فيما قدمنا ذكره ، والجواب عنها ووجه الحكمة فيها .

(١) يعنى : نحو أربعمائة سنة .

فنقول : قال الله سبحانه وهذا (س ٢٩ آ ٣٨) «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ» وأصل التدبّر من الدبّر ؛ ودبّر كل شيء عاقبته ؛ فتدبّر القول هو الذى يتتبع ما يؤدّى إليه من العاقبة والغرض المقصود منه . وهذا هو التأول نفسه ، وذلك أن التأول تفعل من المأل ، وهو أن يتتبع المتأول ما يؤول إليه القول من غرض وما يؤدّيه من معنى . وقوله تعالى : « وَلَيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ » نعت مترتب على أعمال الأبواب فيه^(١) وليس ذلك إلا بتتبع معانيه ، ولو قد أراد حفظ اللفظ والوقوف على ظاهره لكان ذكر الآذان وماهى نعته^(٢) يغنى عن الأبواب ، ولكان الاستماع يغنى عن التدبّر . وقال الله تعالى : (س ١٦ آ ٨٩) « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ » . وقد علم أن ذلك البيان ليس كله منصوفاً عليه فى ظاهر القرآن ، ولكن منه ظاهراً لا كلفة فى الوقوف عليه ؛ ومنه ما يتكلف استدراكه بضرب من النظر .

فإن قيل : أليس قال الله تعالى : (س ٥١ آ ٢٩) « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ » . فمن لم يكتف بما أنزل الله من كتابه فلا كفى .

قلنا : إنما ذلك فى الحجة على نبوته صلى الله عليه وسلم . ولعمري إن القرآن بنظمه المعجز كاف فى ذلك ، ومعلوم أنه لا كفاية له^(٣) بظاهر القرآن عن تعلم السنة ، فإن من سمع فى القرآن : (س ٤٣ آ ٢) « أَقِيمُوا الصَّلَاةَ » ، لم تكفه ذلك عن تعلم ما بين الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من أركان الصلاة ومواقيتها ، وعدد ركعاتها . وكذلك فى قوله : (س ٤٣ آ ٢) « وَآتُوا الزَّكَاةَ »

(١) أى القرآن

(٢) كذلك فى الأصل والصواب : وماهو نعتها من الاستماع .

(٣) فى الأصل : لا كفاية إليه :

وقوله : (س ١٨٣ آ ٢) « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ » ، ونحو ذلك .

فإن قيل : أليس قد قال الله تعالى : (س ١٦ آ ٤٤) « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما نزل إليهم .

قلنا : بلى .

فإن قيل : فهلا اقتصرتم على ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما حاجتكم إلى زيادة تكليف على ذلك ؟

قلنا : لأنه لا ينكر أن يكون بيان الرسول صلى الله عليه وسلم قد كان على حسب الحاجة في ذلك الوقت ولأولئك القوم . ثم احتاج مَنْ بَعْدَهُمْ إلى زيادة بيان ، ويحوز أن يكون في بيانه صلى الله عليه وسلم ضربٌ من الإجمال ، ثم الحاجة ماسة إلى نظر يفصل ما أجمله كما أنه قال تعالى (س ١٦ آ ٨٩) : « تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ » . وكانت الحاجة قائمة إلى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم بتفصيل ما أجمله القرآن .

فأما . ماروى عن أبي بكر رضى الله عنه من إعظامه القول في القرآن فإن له وجوهاً ثلاثة .

أحدها : أنه رضى الله عنه قد كان في أول مقام بالأمر ، وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من بين الأمة ولم يرد رضى الله عنه أن يطرق الناس عامة القول في القرآن ، فيكون ذلك شيئاً يتعاطاه مَنْ لم يكن من أهله . سوى من اختصه الله بذلك من فضله . لأنك عرفت بعقلك إنه لم يحرم عليه من أمر السنة ، وبيان الشريعة التي يحتاج إليها الناس الجمل ذكرها في القرآن ، واحتياجهم إلى الاستنباط إلا أنه سلك فيه سبيل الإحتياط نظراً للمخالفين ، فرضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومأواه .

الثاني : يحتمل (أنه) رضى الله عنه إنما قال ذلك في أول وهلة سئل عنه

فرأى في ذلك الوقت لذلك الأمر ذلك رأى . ثم إنه لما تدبر واجتهد في رأى . وتفكر وعلم أن الأمة لا غنى بهم عن التفسير ، وأنه ان يبين لهم الإمساك عن إبانة مجملات الكتاب والاكتفاء بمهمات الخطاب ، فإن ذلك يؤدي إلى الخلل في القول والعمل ، فصار بعد ذلك إلى التفسير كما روى عنه في تفسير الكلاله . وقد تعرض للمجتهد في اجتهاده رأى في حادثٍ أحوال يَكُونُ في بعضها مُقْدِمًا ، وفي بعضها منكرًا ، وفي بعضها راجعًا إلى أن يستقيم به الأمر ويؤديه رأى إلى ما يراه صوابًا ، فيقوم عليه ويناضل عنه ويدعوا إليه ، كما كان منه في أمر تأليف المصاحف من الانكار على عمر رضى الله عنهما أولاً ، ثم الرجوع إلى قوله آخرًا لما رآه الأصوب كما ذكرناه .

والَّذِي يُؤَيِّدُ هَذَا الْوَجْهَ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى مِنْبَرِ الْمَدِينَةِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْبُدْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِ : الْجَدِّ ، وَالْكَلَالَةِ ، وَأَبْوَابِ مِنْ أَبْوَابِ الرَّبِّ . وَعَنْ عُمَرَ بْنِ مَرْثَةَ قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ شَرَا حِيلَ يَقُولُ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَاللَّهِ لَأَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ لَنَا ثَلَاثًا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الدُّنْيَا : الْخِلَافَةُ ، وَالْكَلَالَةُ ، وَالرَّبُّ . فَقُلْتُ : يَا بَا شَرَا حِيلَ ، وَمَا يَشْكُلُ عَلَيْكَ مِنَ الْكَلَالَةِ مَا خَلَا الْوَلَدَ وَالْأَبَ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ إِنْ كَانُوا يَشْكُونَ فِي الْأَبِ الثَّالِثُ : وَيُؤَيِّدُ مَا ظَنَنْاهُ ^(١) أَنَّهُ رَوَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التَّبَسُّعَ عَلَيْهِ مَعْنَى الْحَرْجِ فَقَالَ : ابْغُوا إِلَى أَعْرَابِيٍّ وَاجْعَلُوهُ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ مُدْجِلِيًّا ، فَأَتَى بَرَاءَ مِنْ بَنِي مُدْجَلٍ فَقَالَ : مَا الْحَرْجَةُ فِيكُمْ ؟ . فَقَالَ : الشَّجَرَةُ الَّتِي لَا تَصِلُ إِلَيْهَا رَاعِيَةٌ وَلَا وَحْشِيَّةٌ . فَقَالَ عُمَرُ : فَكَذَلِكَ قَلْبُ الْكَافِرِ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْمَعْرِفَةُ وَالرَّغْبَةُ فِي الْإِسْلَامِ ، كَمَا لَا تَصِلُ الرَّاعِيَّةُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي التَّفُّ فِيهِ الشَّجَرِ . وَكَأَنَّ الْحَرْجَ جَمَاعَةُ شَجَرٍ مُلْتَفٍّ لَهُ شَوْكٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : مَارَوْى فِي كِرَاهَةِ التَّفْسِيرِ فَعَلَى جِهَاتٍ :

(١) يعنى : ما قلناه

إحداها : أن تفسر ذلك بأحاديث منفردة على الجزم والقطع لا على أن ذلك كما روى والآية تحتلُّ غيره . أو على الجهل بكلام العرب وحجج العقول . فأما على الوجه الآخر من اشتراط معانى لفظه من ألفاظ اللغة وأحكامه من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعميم خاصه ، وتخصيص عامه ، وإجازة ما احتمل المعانى ورد ذلك إلى أنه يجوز أن يكون أحد تلك المعانى بغير قطع ، أو كلها إن كانت جائزة . ورد ذلك إلى الله عز وجل إذ لم يُصمَّم على شئ من ذلك ، وليس فى ظاهر الآية دلالة عليه ، فذلك هو الجائز .

الرابع : قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن الهيصم رضى الله عنه . قال ذلك رضى الله عنه مع معرفته باللغة ، وتلقينه الوحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاهاً^(١) ، ومشاهدته الأحوال التى نزل فيها القرآن ، ولا موضع للظن فيه بأنه جهل معنى ماسئل عنه من لغة العرب . فلقد فسر المفسرون بعده فقالوا « مُقَيَّتاً »^(٢) . أى حافظاً مقتدرأ ، واستشهد أصحاب المعانى على ذلك أبياتاً^(٣) نحو ما قال الشاعر :

فَلَسْنَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ جَهْلًا وَلَكِنْ نَعْبُدُ اللَّهَ الْمُقَيَّتَا

وقال أبو سفيان بن الحارث :

فَلَسْتُ الْمُقَيَّتَ عَلَى أَمْرِهِمْ وَلَا بِالْمَلِكِ وَلَا الْمُقْتَدِرَ

وقال تائب شرأ :

تَجَلَّدَ وَلَا تَجَزَعُ وَكُنْ ذَا حَفِظَةٍ فَإِنِّي عَلَى مَا سَاءَهُمْ لَمُقَيَّتٌ

(١) فى الأصل : كفاحاً

(٢) يعنى فى س ٨٥ آ ٤

(٣) يعنى : بأبيات .

وقال الآخر ^(١) :

لَيْتَ شِعْرِي وَأَشْعُرَنَّ إِذَا مَا قَرَّبُوهَا مَنْشُورَةً وَدُعِيْتُ
أَلَى الْفَضْلِ أَمْ عَلَى إِذَا حُو سَبْتُ إِنِّي عَلَى الْحِسَابِ مُقِيْتُ
ولكن الذى نظنه بأبى بكر رضى الله عنه أنه عظم فى صدره القرآن ، وجلَّ
قدره عن أن يتكلم فيه لغير موضع الحاجة التى لا بدَّ منها ، ولم يأمن أنه إن أبدل
بهذه اللفظة لفظاً أخرى لعلها لا تقع موقع الأولى فى إبلاغ الوصف ، ألا ترى
أنك تقول : رجل جوادٌ ، سخيٌّ ، سمحٌ ، معطٍ ، باذل ، منفق ، فتفيد هذه
الأوصاف كلها معنىً متقارباً ، إلا أن بعضها أبلغ فى المدح وأتم فى الوصف ، لأنه
ليس قولك : معطٍ فى إبلاغ المدح بمنزلة قولك : جواد .

وكذلك قولك : رجل محسن ، مفضل ، كريم . فترجع الأوصاف إلى
معنى واحد ، وبعضها أتم وأبلغ . ولو قلت : رجل بخيل ، شحيح ، ضنين ،
ممسك ، كزنكيد ، تفاوتت العبارات فى الإبلاغ والتقصير مع رجوعها إلى معنى
واحد وهو البخل . فعلى هذا النحو سبيل ما يعبرُ عنه من كلمات القرآن وألفاظه
بلفظ آخر إرادة البيان والإيضاح ، فبالحرى أن لا يقع اللفظ المعبرُ به فى كل موضع
وفقاً ما يعبرُ عنه وإن قارب به فى المعنى .

أولا ترى ما قاله المفسرون فى قوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » . معناه : الشكر لله . أنه
وإن كان كل واحد من اللفظين قد يُعبرُ عن الآخر فى تعارف الناس ، وإن
كثيراً من أهل التحصيل فرقوا بين الحمد والشكر بفروقٍ جمةٍ ليس هاهنا موضعُ
ذكرها ، وكذلك الشحُّ والبخل .

وقد روى عن أبى الشعثاء أنه قال : قلت لعبد الله بن مسعود : يا أبا عبد الرحمن :
إني أخاف أن أكون قد هلكْتُ ، قال : ولم ذاك ؟ ! قال : قلت لأنى سمعتُ الله

(١) وهو السمومل بن عاديا . انظر ديوان السمومل (بيروت ١٩٢٠)

يقول: (س ٩٥٩ آ ٩) « وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ». وأنا رجلٌ شحيحٌ لا يكاد يخرج من يدي شيءٌ . قال : ليس ذلك الشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن ، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً ، ولكن ذاك البخل ، وبئس الشيء البخل .

وروى عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : علمني عملاً يُدخلني الله به الجنة . قال : لئن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة ، إعتق النسيئة ، وفك الرقبة . قال : أو ليسوا واحداً ؟ قال : لا ، عتق النسيئة أن تنفرد بعقبتها ، وفك الرقبة أن تُعين في ثمنها .

وحكى أن النضر بن شميل دخل على المأمون عند مقدمه مرو ، فمثل بين يديه وسلم ، فقال له المأمون : اجلس . فقال : لا أقول إن أمير المؤمنين لحن ، ولكن الجلوس عن اضطجاع . قال : فكيف تقول ؟ قال : قل اقعُدْ . فإن القعود عن القيام ، فأمر له بمجائزة .

قلت : ويعتبر ذلك بالمقابلة ، فإنك تقول : القيام والقعود فتقابل بينهما ، ولا تقول القيام والجلوس . وكذلك تقابل الحمد ، بالذم أو اللوم ، وتقابل الشكر بالكفران ، وأمثال هذه من الألفاظ المتقاربة في الاستعمال المفارقة في المعنى كثيرة . وكذلك الألفاظ المشتركة في المعنى ، وبعضها أوعب له وأوفى للإبانة عنه كثيرة جداً . فعلى هذه السبيل امتنع أبو بكر رضي الله عنه من أن يتكلم فيما سئل عنه ، وقد علم أن بالسؤال غنى عن سؤاله ، إذ ليس ذلك أمراً يحتاج إلى أمثاله ، ولا هو نهى يلزمه اجتنابه ، وإنما هو ثناء على الله عز وجل ، وأولى به أن يترك على ما أنزله الله تعالى في كتابه . وكذلك ما روى عن عمر رضي الله عنه في الأب^(١) ، فقد علم عمر رضي الله عنه أن الأب ضرب من النبت . وليس يضر الرجل أن يعرف جميع أنواع النبات بإعيانها ، ولن تلحقه نقيصة ، مع أننا لا ننكر أن يشد

عن الفصيح في اللغة البارع فيها^(١) وقد يعرفه من هو دونه في الفصاحة والبراعة .
وأما ما روى عن عائشة رضى الله عنها ، فإن ذلك يدل على أنه عليه السلام
كان يحتاج مع ما أنزل عليه من القرآن إلى تفسير آيات يعلمهن إياه جبريل
عليه السلام . وذلك لما كان جبريل يشاهد من الأحوال ما لم يكن يشاهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكذلك الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدت
أحوالاً لم يشاهدوها من بعدهم ، فلا ينكر أن يحتاج من بعدهم إلى تفسيرهن .
وقلنا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر إلا آيات معدودة من قبله .
إن الذين شاهدوا نزول القرآن نجماً نجماً^(٢) ، وعانوا الحوادث التي نزل فيها ،
وعرفوا المتقدم فيه والمتأخر ، لم يحتاجوا في بيان أحكامه في باب الخصوص ،
والعموم ، والناسخ والمنسوخ إلى ما يحتاج إليه من بعدهم ممن لم يشاهد تلك
الأحوال ، لاسيما وهم أرباب اللغة العربية التي نزل بها القرآن . قد نشأوا عليها
حتى كانت لهم طباعاً^(٣) مسلحاً لم ينكت^(٤) فيه مِرَاسُ لُغَةٍ أُخْرَى بفساد ،
فما الذي كان يُجَوِّهُهُمْ إلى تفسير ما يتلى عليهم تمام بحقيقته عارفون إلا آيات
معدودة قد أجملت فيها أحكام الشريعة بحيث لا يوقف عليه إلا ببيان الرسول
صلى الله عليه وسلم . وما الذي يغنينا عن طلب ما عرفوه لمشاهدة أحوال النزول ؟
ولسلامة طباعهم في اللغة العربية بما أمكننا من شدة الجهد لعلنا نقف من ذلك
بعد الجهد على بعض ما كانوا يقفون عليه عفواً .

وأما : ما ذكره من امتناع من امتنع من القول في التفسير ، فإن ذلك بمنزلة
من امتنع منهم عن الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا فيما لم يجد عنه

(١) في الأصل : فيها بعضها مما قد .

(٢) يعنى نجوماً نجوماً .

(٣) هكذا في الأصل والصواب : طباعاً

(٤) أى يؤثر

بدأ . ولذلك قلت روايات رجالٍ من أكابر الصحابة رضى الله عنهم ، ومن لم يفارقوه في حالاته كمثّل : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وغيرهم رضوان الله عليهم .

وروى عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه قال : قلت للزبير : مالى لا أسمعك تُحدثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أسمع ابن مسعود ، وفلاناً ، وفلاناً ؟ فقال : أما إنى لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

وروى عن داود بن خالد أنه مرّ . هو ورجل معه ، على ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، فقال له ذلك الرجل : والله إننا لنجد عند غيرك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا نجد عندك . فقال ربيعة : ما عندهم شيء إلا وقد سمعت منه ، ولكنى سمعت رجلاً من آل الهذير يقول : صحبتُ طلحة بن عبيد الله وما سمعته يحدثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً . قلت : ماهو ؟ قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريدُ قبور الشهداء ، حتى إذا تدلّينا من وقيم إذا قبورٌ بمُحَنِيةٍ . قلنا يا رسول الله : هذه قبور إخواننا ؟ قال : هذه قبور أصحابنا . فلما جئنا قبور الشهداء قال : هذه قبور إخواننا .

وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى قال : قال أبو هريرة لما ولى عمرُ قال : أَقِلُّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فيما يعمل به . قلت : ولم يكن امتناعُهم من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الإنكار على من روى ، ولكن على سبيل الإعظام لذلك ، واغتنام السلامة إذا وجدوا من قد كفاهم ذلك من غيرهم . فكذلك امتناع من امتنع منهم من أن يتكلم في كتاب الله عز وجل ، وإنما هو حيث لم تمسَّ إليه حاجة وكان غيره يكفيه ما يحتاج إليه من ذلك .

وروى عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن

أبى نضرة قال : كنا عند عمران بن حصين فكنّا ننذاكر العلم . قال : فقال رجل :
لا تتحدثوا إلا بما فى القرآن . فقال له عمران بن حصين : إنك لأحقُّ . أوجدت
فى القرآن صلاة الظهر أربع ركعاتٍ لا يُجهر بالقراءة فى شيء منها ؟ والمغرب ثلاثاً
يجهر بالقراءة فى ركعتين ، ولا يجهر بالقراءة فى ركعة ؟ والفجر ركعتين يجهر فيهما
بالقراءة ؟ قال علي : ولم يكن الرجل الذى قال هذا صاحبَ هذى ، ولكنها كانت
منه زلة . قال : ثم قال عمران لى : ما نحن فيه يعدل القرآن ، أو نحو هذا الكلام .
قلت : ولقد صدق عمران فأحسن التنبيه على موضع الحاجة إلى تفسير مجملات
القرآن . ولم يأل فقهاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم بياناً
كانت الحاجة له ^(١) فى كل زمان . وهذا عبد الله بن عباس لم يدع آيةً فى القرآن
إلا وقد ذكر من تفسيرها على ما روت عنه الرواة . ولذلك قيل : أبى عباس
ترجمان القرآن .

وروى عن أبى مليكة قال : رأيت مجاهدًا يسأل أبى عباسٍ فى تفسير
القرآن ومعه الواحد . قال : فيقول له أبى عباسٍ : اكتبه حتى سأله عن التفسير كله .
وروى عن سعيد بن جبير أنه قال : من قرأ القرآن ولم يفسره كان كالأعمى
أو كالأعراى .

وروى مسلم عن مسروق قال : كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا
فيها ويفسرها عامة النهار ، وعن أبى عبد الرحمن قال : حدثونا الذين كانوا يقرؤونا
أنهم كانوا يستقروا من النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات
لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العمل ؛ فيعلموا القرآن والعمل جميعاً .
وعن أبى مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن
حتى يعرف معانيهن .

(١) فى الأصل : بياناً له مقدار الحاجة وكانت له .

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن الهيصم : ولست أنكر أن يكون من القرآن ما قد استأثر الله تعالى بعلمه . فلم يجعل لنا إلى الوقوف عليه سبيلا . وذلك فيما لم يلزمنا فيه أمر ولا نهى . وإنما أراد أن يهبدنا بالإيمان به . والتسليم له جملة .
وقد روى عن الربيع بن خثيم أن الله أنزل هذا القرآن بعلمه ، واستأثر بعلم ما شاء وأطلعكم على علم ما شاء منه . فأما الذي استأثره به لنفسه فلم يستم بئاليه ، ولا تسألون عنه . وأما الذي أطلعكم عليه من علمه ، فالذي تسألون عنه ، وتجزون به . وما كل القرآن تعلمون . ولا كل ما تعلمون تعقلون . ثم قال رضى الله عنه : أما الذي استأثر الله تعالى به من القرآن حتى لم يجعل إليه سبيلا ، لا تحقيق علم ، ولا تجبير رأى . فمثله ما أخبر من أنه خلق آدم بيديه ، وما ذكر في مجيئه يوم القيامة ، فإنه لا يصح تحقيق اليدين له على ما نقله من الجارحتين المهيأتين هيئة مخصوصة . ولا يصح شيء مما تأوله عليه أهل الخلاف من معنى القوة والنعمة . وما قيل : إن ذكر اليدين صلة لا عبرة به لما في ذلك من إبطال التخصيص الذي خص به آدم عليه السلام . وكذلك لا يجوز تحقيق مجيئه على ما نقله من زوال عن مكان إلى مكان ، ولكننا نؤمن بذلك ونحوه ، ونذر تأويل ذلك إلى الله عز وجل .

ومما استأثر الله تعالى بعلمه : أوقات ما وعد من الكوائن فإنهم أوقاتها . نحو قيام الساعة ، ونزول عيسى ، وطلوع الشمس من مغربها ، وبمنزلة ما في كل شيء من أمور الشريعة من المصلحة فإن الكثير من ذلك لا يحققه إلا الله تعالى .
وأما الذي أطلعنا عليه فإن منها أحكاماً عقلية قد سهل في العقل لنا سبيل الوقوف عليها . وكان ماورد في القرآن زيادة تأكيد لها وتنبيهاً على أتباع العقل فيها ، وتفسير ما جرى هذا الجرى من آيات القرآن لمن أعمل عقله سهل ممكن ، ومنها أحكام شرعية قد أجملها الله تعالى في القرآن ، فلا تفسير إلى شيء منها إلا بما ينزل الله من بيانه على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم . نحو قوله تعالى : (س ٢ آ ٨٣) « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَآتُوا الزَّكَاةَ » . وقوله تعالى : (س ٣ آ ٩٧)

« وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ». وقوله تعالى : (س ١٤١٦) « وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ». ونحو ذلك من الأمور المجملة التي لو تركنا وظاهر القرآن لم يكن يمكننا الوقوف على المراد منها . ففسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأن ذكر أركان الصلاة وشرائطها ، ومقادير الزكوات وما تجب هي فيه ، وكيفية الحج ، وحق الله في الحبوب . قوله تعالى : (س ١٦ آ ٤٤) « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ » . وإنما كان صلى الله عليه وسلم يفسر ما يوحى الله . قال الله تعالى : (س ٣ آ ٥٣) « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى » . وقال : (س ١٩ آ ٧٥) « ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » . وهذا الوجه من التفسير الذى هو بيان الجملات لم يكن ليصح من أحد إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ هو السفير بين الله وبين عباده .

ثم إن سائر العلماء يبينون ما ثبت عندهم من جهته صلى الله عليه وسلم . ووجه آخر من التفسير أن يبين الناسخ والمنسوخ من أحكام القرآن وما هو حتم من الأوامر ، أو ترغيب ، أو تأديب . وما هو عام من الأخبار أو خاص . ويقطع على مراد الله تعالى من كل شيء من ذلك . وما كان من هذا الوجه فإن أولئك الذين شاهدوا الأحوال وعرفوا سبب نزول الآيات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الذين بعدهم ممن كانوا من علم تلك الأحوال بمنزلة من شاهدها لقرب عهدهم بها ، واستفاضة أخبارها لديهم وهم التابعون ، ومن كان يجاوزهم تفسير آيات القرآن على مقتضى ما شاهدوه وعرفوه من أسباب نزولها وأحوال من نزلت فيهم . وليس لمن بعدهم ممن لم يتحققوا تلك الأحوال ، إلا بأخبار تنقل إليهم على السنة الرواة مما لا يقطع على مغيبه باليقين ، أن يتعاطوا هذا الوجه من التفسير ، وإنما عليهم أن يتبعوا أولئك السابقين ويتطلبوا مذاهبهم وأقوالهم في ذلك ، فيأخذوا بما أجمعوا عليه أخذاً لا معدلاً عنه ، وينظروا فيما اختلفوا فيه فيتخيروا ما هو أهدى وأوفق بالأصول . وها هنا وجه آخر ، هو أوسع مما تقدم ذكره مجالاً ، وأيسر حالاً ، وهو حمل اللفظ على ما يحتمله من مقتضى

لغة العرب ، واستقراء الوجوه الممكنة فيه . وهذا هو التأويل المسوّغ لأهل العلم في كل وقتٍ وزمان .

ثم إن هذا المتأول ، إن وجد وراء اللفظ دليلاً يققه على بعض الوجوه التي احتملها اللفظ من قضاء العقل ، أو حجة إجماع ، أو من أمر سنة صار إلى ما يوجبها الدليل ، وقطع على أنه الوجه المراد من الآية دون غيره ، وإن لم يجد دليلاً موجباً لأحد الوجوه اعتبر الوجوه التي احتملها اللفظ على وجه الامكان من غير قطع على شيء من مُغَيَّب حكمه فاعرفه .

وقد أخبرناك فيما تقدم من كتابنا عن حالة ابن عباس وتقدمه في التفسير ، وتخصيص الله سبحانه إياه بهذا النوع الجليل الخطير ، وفيه قدوة لصاحب الحجة والتبصير ، ثم من اشتهر بعلم التفسير من التابعين كسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وليس بعكرمة بن أبي جهل ، وكذلك أبو صالح باذام^(١) ، ومن الناس من يقول باذان مولى أم هانئ ، ومجاهد بن جبير ، وأبو العالية الرياحي ، والضحاك ابن مزاحم ، وعلي بن أبي طلحة ، وأبو مخلد لاحق بن حميد ، والحسن البصري ، وقتادة بن دعامة . وهؤلاء كلهم أخذوا عن ابن عباس ما خلا فتادة ، فإنه لم يُعرف له صحبة مع أحدٍ من الصحابة غير أنس بن مالك بن أبي الطفيل ، إلا أن يكون قد رأى بعضهم ولم تكثر صحبته له ولا سماعه منه .

وكذلك الحسن فإنه لم تعرف له كثير صحبة مع ابن عباس ، وإنما روى ما روى عنه من خُطْب قام بها ابن عباس رضي الله عنه بالبصرة فيما يقال ، وروى عن عبد الملك بن ميسرة قال : لم يلق الضحاك ابن عباس ، إنما لقي سعيد بن جبير بالرّي فأخذ عنه . وهذا بعيد لكثرة ما روى الضحاك عن ابن عباس من غير أن ذكر سعيد بن جبير ، ولم يكن الضحاك ممن يتهم بالكذب أو تدليس .

وأما أبو صالح ؛ فإنه كان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه . وقد

(١) وهو مولى أم هانئ . انظر ميزان الاعتدال ٣ : ٣٦٥ .

روى عن ثابت ، عن أبي صالح مولى أم هانئ ، أنه اعتقته أم هانئ بنت أبي طالب . قال : وكنت أدخل عليها في كل شهر أو شهرين دخلة فدخلت عليها يوماً فينا أنا عندها ، إذ دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يابن عمي كبرتُ وَثَقُلْتُ ، وَضَعَفَ عَقْلِي فهل من مجزئ ؟ فقال : إبشرى بأبوابه خير كبير ، (قولى) «الحمد لله» مائة مرة تكون عدل مائة رقية ، وكبرى مائة مرة تكون عدل مائة فرس مسرجة ملجمة في سبيل الله ، وسبحي الله مائة مرة تكون عدل مائة بدنة مقلدة متقبلة ، وهल्ली مائة مرة لا يلحقك ذنب الا الشرك بالله .

ثم أن أبا صالح روى عنه محمد بن السائب الكلبي ، ولقد كان مشهوراً بعلم التفسير والبراعة فيه . وقد روى عنه الأئمة ، ولو لم يكن له راو غير أبي يوسف قاضى القضاة لقد كان ذلك كافياً . وطعن فيه قوم وسموه كذاباً ، وهذا ممن قاله إقدام عظيم لما ذكرناه . وقد روى عنه سفيان الثوري ، ونظراؤه من العلماء الكبار من أهل الفقه والعلم ، ولم يطعن فيه . وروى عنه سفيان بن عيينة ، وهمام بن يحيى ، ومعر بن أسيد ، وحامد بن سلمة ، وهشيم بن بشير ، وأبو بكر بن عياش ، وعبد الله بن المبارك ، ووکیع بن الجراح . وذكره أئمة أهل الأعراب مثل : الكسائي ، وأبي عبيدة ، والأخفش ، والفراء .

وفي الجملة : فإن من طعن فيه ولم يبين المعنى الموجب لذلك ، فإنه لا يقبل ذلك منه . فلسنا نأمن أن يكون الشيطان أغرى بين علماء كل عصر على سبيل التحاسد والتنافر ، كما أغرى بين بنى يعقوب من الأنبياء عليهم السلام ، وكما أغرى بين الحسن وأبن سيرين من العلماء . مع أنه لم يذكر الكلبي في تفسيره إلا وقد نقله الثقات من غيره . إلا أنه رضى الله عنه كان ممن سعى في الروايات ، ولم يكن غيره بذلك الحل ، فلذلك قيل فيه ومثله سالم بن مخلوق . ومن اشتهر بالتفسير اسماعيل السدي ، وسنيله الإيجاز دون البسط .

وقد ألف قوم كتباً في التفسير على سبيل الرواية دون أن يتكلموا فيه بمنزلة

ما كان من وكيع بن الجراح الرواسي ، ومالك بن سليمان الهروي ، وعبد بن حميد ودونهم .

وألف قوم كتبوا في الغريب ، وفي المعاني ، والأعراب كما كان من أبي عبيدة ، والأخفش ، والفراء ، وقطرب ، والزجاج وغيرهم . وكل ذلك تأكيد لما قلناه من تخرج المتحرج ، وتقدم المتقدم . ثم الذي يؤيد ذلك تأييداً وقوة ، وتأكيذاً ، استشهادهم بالشعر . فلقد روى عن عكرمة أنه سئل عن الزنيم (س ١٣٦٨) . فقال : هو ولد الزني . وتمثل بيت شعر :

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ أَبُوهُ بَعَى الْأُمِّ ذُو حَسْبٍ لَيْسَ

وروى طلحة بن عمرو عن عطاء قال : سمعت ابن عباس إذا سئل عن عربيّة

القرآن أنشد الشعر . فقيل له : ما زينيم ؟ فقال :

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرَّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَرْعُ

وعن ابن أبي مليكة قال : سئل ابن عباس عن (س ١٧٨٤) « اللَّيْلِ

وَمَا وَسَقَ » . فقال : وما جمع ، ألم تسمع قول الشاعر :

(إِنَّ لَنَا قَلَائِصًا حَقَائِقًا) مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدُنَ سَائِقًا^(١)

وعن الأجلح ، عن عكرمة في قوله تعالى : (س ١٧٤) « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ »

قال : على غير غدرة ، وغير فجرة . وقال : أما سمعت قول الشاعر :

وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَأَتُوبَ فَاجِرٍ لَيْسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

وروى عن عمرو بن ميمون بن مهران قال : سمعت حاضراً ، أو أبا حاضِرٍ ، رجل

من الأزدي يقول : سمعت ابن عباس يقول : إني لجالس عند معاوية إذ قرأ هذه

الآية (س ١٨٨٦) : « وَجَدَهَا تَقْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِئَةٍ^(٢) » . فقلت :

(١) قائله المعجاج . انظر ديوان المعجاج (ed. Ahlwardt) ص ٨٤ .

(٢) انظر Materials ص ٥٧ .

ما تقرأها إلا « حَمَّة » . فقال معاوية لعبد الله بن عمر : وكيف تقرأها ؟ فقال : كما قرأتها يا أمير المؤمنين . قال ابن عباس : فقلت في بيتي نزل القرآن . فأرسل معاوية إلى كعب فقال : أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب ؟ فقال : أما العربية فأتعلمها ، وأما الشمس فإني أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين^(١) وأشار كعب بيده إلى المغرب ، أما إني لو كنت عندك لرفدتك كلاماً تزداد بصيرة في قولك « حَمَّة » . فقال ابن عباس : وما هو ؟ قلت : فيما عاش من قول تبع فيما ذكر ذو القرنين^(٢) في تخلقه بالعالم وابتغائه إياه ، هو قوله :

بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَبْتَغِي أَسْبَابَ أَمْرِ مِنْ حَكِيم مُرْشِدٍ^(٣)
فَرَأَى مَغَارَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا فِي عَيْنِ حَمِي خُلْبٍ وَثَأُطٍ حَرَمَدٍ^(٤)
فقال ابن عباس : وما الخُلبُ ؟ قلتُ : الطين بكلامهم . قال : وما الثأطُ ؟ قلتُ : الحمئة . قال : وما الحرمدُ ؟ قلتُ : الأسودُ ؟ قال : فدعا رجلاً أو غلاماً فقال : اكتب ما يقول هذا . وروى عن معمر قال : سئل الحسنُ عن المرأة من أهل الشرك تُسَبِّحُ هل تحل أن يطأها من صارت إليه ؟ فقال الحسن : أما سمعت قول الشاعر :

وَذَاتَ حَلِيلٍ أَنْكَحَتْهَا رِمَاحُنَا حَلَالًا لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تُطَلَّقْ
وعن أبي صالح قال : سمعت ابن عباس ينشد للناس هذا البيت في قوله (س)
١٤٨٤ : « يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ » .

وَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ وَمَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتُ أَعْرِفُ
فكل هذه الألفاظ والروايات تؤيد ما ذكرناه من وجوب التفسير لمن بلغ ذلك المبلغ .

(١) المأثور عن كعب أنه قال : أجدها تغرب في عين سوداء .

(٢) هكذا في الأصل والصواب : عن ذي القرنين .

(٣) انظر لسان العرب ١٣٥:٩ .

(٤) وفي لسان العرب ١٣٥: ٤ في عين ذي خلب .

فإن قيل : هل يجوز لأهل العلم باللغة العربية أن يفسروا القرآن على شرائط اللغة ومعاني غريبها ؟

قلنا : أما ما كان تحت الكلام من المعاني الكبيرة التي تحتلها اللغة فعليه أن يفسر ذلك على مالا تدفعه حجج العقول . والحجة ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والإجماع . لأن الله تعالى لم يرد ذلك ، وإنما أراد منه بعضاً دون بعض . وأن يجوز واحد من ذلك على ما يجوز في اللغة العربية إذا كانت المعاني تتنافى ، ولا يجوز اجتماعها بدلا من صاحبها ، وأكثر من واحد إذا كان يجوز اجتماعه ولا يتنافى . وإذا كان كله يجوز اجتماعه ووقوعه تحت الاسم والخبر ولم يأت دليل يدل على خصوصه لامن حجة عقل ، ولا كتاب ، ولا سنة ، ولا إجماع ، ولا عادة فيجعله على عمومته . إذ كان الحكيم إنما أنزل كتابه بيانا للناس ولِيُنذِرُوا به كما قال ، فلا يجوز أن يخاطبهم بما يوجب العموم ، وهو يريد الخصوص دون العموم ، ولا ينصب على تخصيصه دليلاً يدل على خصوصه . لأنهم كانوا^(١) لا يدرون ما يقصدون مما أمرهم به أو نهاهم عنه ، أو ما يرجون مما وعدهم ، أو ما يخافون ما وعدهم به ، ولا ما يتركون ولا ما يعتقدون ، مما لا يعتقدون ، فإذا جاء العقل ، أو الكتاب ، أو السنة ، أو الإجماع ، أو العادة بدليل على تخصيص ما عم ، أو تعميم ما خص اتبع ذلك ، إذا كان تخصيص العام وتعميم الخاص بوضع أدلة على ذلك جائزاً غير منكر .

فمن ذلك قوله تعالى : (س ٣ آ ١٧٣) « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ . إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ » . فقد خصّ دليل العادة بالعقل والإجماع وتواتر الخبر أنه ليس كل الناس قالوا ذلك . ولما قال تعالى : (س ٣٣ آ ٦٤) « إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا » ، دل هذا العموم على عمومته ، إذ لم يخصّ

(١) هكذا في الأصل والصواب : إذن

بشيء . وكما قال تعالى : (س ٣٣ آ ١) « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ
الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ » فدل حجة العقل ، والخبر ، والإجماع (على) أن هذا وإن
خوُطِبَ به النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن المراد به العموم فوجب تعميمه ، وإن
كان لفظه خاصاً . فإذا اختلف في شيء هل هو خاص أو عام جعلناه على ظاهر
لفظه من تخصيص أو تعميم إلا أن يقوم الدليل بأنه خلاف ظاهر لفظه . والدليل
على ذلك أن الله تعالى قال : (س ١٤ آ ٤) « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ
قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » . وقال تعالى : (س ١٩ آ ٩٧) « فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا » . ولقد تعيَّبه قوم ، منهم : عبد الله بن
الزُّبَيْرِ لما قال تعالى (س ٢١ آ ٩٨) « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » فسمعوا
هذا فقالوا : قد عبدت الملائكة ، وعبد المسيح فوجب أنهم معذبون ، وأغفلوا
ما في عقولهم من الدليل على تخصيص ماعم باللفظتين أن الله لا تزر عنده وازرة ووزر
أخرى (س ١٦ آ ١٦٤) ، فنبههم على ما تركوا من هذا الدليل ، وقال لهم بعقبه
(س ٢٠ آ ١٠١) « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى » إلى قوله « خَالِدُونَ »
ومن الدليل على ذلك أيضاً إجماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على تفسير القرآن على شرائط اللغة . ومن ذلك حديث ابن عباس في ليلة القدر
(س ٩٧ آ ١) ، وقوله : إنها ليلة سبع وعشرين ، بين يدي عمر بن الخطاب
رضي الله عنه والأشياخ من الصحابة ، فاستحسن قوله ، وأخذ برأيه وما تعقبه
أحد منهم فيه ، كما ذكرناه في الفصل الثالث ، مع كثرة ما روى عن ابن عباس
في تفسير القرآن بالأسانيد المتصلة ، وأنه فسر القرآن حرفاً حرفاً . وأنه فسر
(س ٤٢ آ ١١) « فَأَطِرَ السَّمَوَاتِ » ، خالق السموات ، لقول رجل من العرب :
هذا بئري وأنا فطرتها . مع نظائر كثيرة من ^(١) تفسير التابعين لذلك كالحسن ،

(١) في الأصل : لذلك من .

ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وقتادة . وهذا يدل على أن الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعائشة ، وعمر ، وابن عباس ، وعمر بن عبد العزيز أنهم قالوا : لا يعلم تأويل القرآن إلا الله ، والراسخون في العلم لا يعلمون تأويله ، وإنما كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بحكمه ومتشابهه ، لا أنهم عرفوا تأويله غلط . وإذا كان أهل الرسوخ لا يعلمون تأويله فمن دونهم من تأويله أبعد . ولو كان الأمر على ما ظنوا بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعائشة ، وابن عباس ، وعمر بن عبد العزيز ، لم يكن لقول الله تعالى (س ٤٧ آ ٢٤) « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا » ، وقوله تعالى : (س ٣٨ آ ٢٩) « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَ رُوحًا » ، وقوله تعالى : (س ١٤ آ ٤) : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » ، معنى يعقل . لأن أهل الرسوخ في العلم إذا كانوا لا يصلون إلى معرفة تأويله ، ولم يجعل لهم السبيل إليه ، ولا دليل عليه^(١) فما يغني عنهم تدبره وانه نزل بلسانهم وهم لا يعلمون بتدبرهم إياه شيئاً من تأويله .

ولو كان هذا هكذا كان الله تعالى ندب عباده إلى المحال الذي لا يصح وجوده . وهذا منفي عن الله عز وجل . فلما صح انكساره^(٢) فقول الله أولى أن يتبع ، لأنه الحق الذي لا شك في حقيقته . وقد ندب الله تعالى خلقه إلى تدبر كتابه ، واستنباط مراده منه ، ولذلك فرض ذلك عليهم ، وما كان ليفعل ذلك إلا وقد جعل لهم سبيلاً إلى العلم بمراده ، والا لم يكن لقول الله تعالى هذا معنى ، وهذا عن الله منفي ، ويصدق ذلك حديث ذكره جرير بن عبد الحميد ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه المسيب بن رافع قال : لما بعث الله نبيه

(١) هكذا في الأصل والصواب : إلى الدليل عليه

(٢) أى بطلانه

صلى الله عليه وسلم قال : إني منزل عليك نوراً تفتح به أعينا عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، فيه ينابيع العلم ، وفهم الحكمة ، وربيع القلوب ، وهو أحدث الكتب بالرحمن عهداً ، يفتح الله به أعينا عمياً ، وقلوباً غلفاً . وآذاناً صماً . وقد قال الله تعالى (س ٩٣ آ ٣) « قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ قَاتُلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » . بعد أن قال : « كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ » ، إلى أن قال : « قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ » بيانا لما ادعوا كذبه بتلاوتها . ولا يكون ذلك بكتاب الله العربي المبين .

وقد روى عن مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأنا يومئذ حديث السن : أرايت قول الله تعالى : (س ١٥٨ آ ٢) « إِنَّ الْأَصْفَاءَ وَالْمُرْوَءَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ » ، إلى أن قال : « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا » .

قالت عائشة : لو كان كما تقول ، كانت : فلا جناح عليه ألا يطَّوَّفَ بهما . ألا ترى كيف استنبطت وأستدلت بظاهر اللفظ على شرائط اللغة العربية ؟ وفسرت الآية فاستبان بذلك رجحان ما ذكرناه لأنها رضوان الله عليها أجل من من أن تكره شيئاً وتسكره . ثم تصير إليه لترنكبه وتذكره .

فإن قيل : كيف جاز عندكم أن يسوغ الله الاختلاف في الأحكام التي قد بين ذكرها في الكتاب بالتأويل ؟ وهل يجوز ذلك في الحكمة ؟ فإنه قد صح في الرواية المتظاهرة أن الصحابة رضی الله عنهم ومن بعدهم قد اختلفوا في ذلك الاختلاف الظاهر المكشوف الذي لا يجوز أن يكون ما نقل عنهم منه باطلاً .

قلنا : أما الرواية بذلك فمن ذكرت فصحيحة لا تدفع . وأما جواز ذلك فإنه ليس بمنكر أن يجعل الله حكم عبدين في حال ، أو عبدين واحد في حالين مختلفا ، لأن كل واحد منهما فرضه غير فرض الآخر ، وما يصلح في ذلك من العبد

غير ما يُصلحُ له آخر^(١) . وذلك كما جعل الله تعالى حكم الطاهر في الصلاة الواحدة غير حكم الحائض فيها ، وحكم المقيم غير حكم المسافر ، وحكم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم في تحريم الصدقة غير حكم غيرهم . فلما كان ذلك في المنصوص عليه غير متناقض ولا متنافٍ ، جاز أن يبيح الله تعالى من الإجهاد ما يُؤدَّى إلى مثل ذلك الاختلاف الذى لو نصَّ هو سبحانه عليه لم يكن ذلك مختلفاً ولا متناقضاً على الشريطة التى قلنا ، وإنما المتضاد المتناقض الذى لا تجوز العقول أن يفرضه الله تعالى على عباده بنص ولا يبيح^(٢) إجهادات تؤدَّى إليه . وهو : أن يفرض الله سبحانه على عبدٍ واحدٍ وقتٍ واحدٍ من جهة واحدة حكمين مختلفين ينفي أحدهما صاحبه ويضاده ، فيأمره بأن يأتى بهما جميعاً على تضادهما وتنافيهما لا على أن يأتى بكل واحدٍ منهما بدلاً من الآخر ، كما أنه خيرهم بين أن يقتلوا ، أو يمتنوا ، أو يفدوا ، وبين أن يفرقوا بين الحج والعمرة ، وبين أن يفردوا بدلاً من القرآن ، وما أشبه ذلك مما هو معروف فى أحكام الله تعالى . إن كان ما ذكرنا مما لا يختلف ولا يتضاد على عبدٍ فى حال ، أو على عبدٍ فى حالين ، أو على التخيير فى حالين لعبدٍ أن يأتى بكل واحدٍ من الحكمين المتضادين على البديل ، ولم يكن فى فرضه على البديل بالنص تناقضٌ ، ولا صرفٌ من الحكمة ، جاز أن يبيح الله لعبادٍ مختلفين ، أو لعبدٍ واحدٍ فى أوقاتٍ مختلفة ، وحالاتٍ متباينة ، اجتهادات تؤدَّى إلى مثل ذلك الذى لو فرضه هو ، تبارك وتعالى ، لم يكن فى العقل قبيحاً ، ولا فى الأحكام متناقضاً . لأنه سواء قلتُ لك فى حكم العقل : إفعل كذا بالنص والتوقيف ، أو أنحللك من رأى ما أعلم أنه سيؤديك إلى ذلك الذى كنت أقفك عليه وانهته لك .

(١) كذلك فى الأصل والصواب : منه فى آخر .

(٢) فى الأصل : لا اباحة

فإن قيل : هذا وإن كان حقاً أفليس لو نص عليه كان أبلغ في الحجة وأشفي للصدور في تيقن الصواب ؟

قلنا : ما علم الله تعالى أن الأصلح فيه ذلك ، فقد نصَّ عليه ووقفه من الأحكام المنصوصة في الكتاب والسنة ، وما علم أن تكليف الآراء فيه واستخراج المعاني أروض لطباعهم ، وأدعى لهم إلى التنافس في العلم والاشتغال بنيل درجة بعد درجة أصلح ، فهذا الذي تركهم فيه واجتهاداتهم . وجعل فرض كل واحدٍ منهم هو ما أداه إليه اجتهاده دون اجتهاد غيره من تأويل كتاب أو سنة ، واستخراج معنى في مثلٍ قد ضربه لهم في الأصول ليمثلوا على مثاله ، ويقسوا عليه اجتهادهم .

وقلنا : إنه قد فعل ذلك بعد تجويزه في العقول لاجتماع الحجة على ذلك وتركه المختلفين يفتون الناس بتلك الآراء المختلفة ويقضون عليهم بها^(١) ، ولو كان خطأ من بعضهم كان سبيله أن يُنهي عنه قائله والمفتي به ، ولا يُمكن أحد قضي به عليه على إلزامه نفسه ، فلما أجمعوا على إجازة ذلك وتصويبه ، علمنا أنهم لم يفعلوا ذلك إلا بتوقيفه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، بما أجرى به عاداتهم في حياته ، وعند غيبتهم عنه ، إلى الأمصار النائية أن يحكموا بمثل ذلك . وقد رويت في ذلك الأخبار الكثيرة التي أهمها عندنا هذا الإجماع الذي ذكرنا ، وقد كانت ترويه من طرق الأحاد ، وإنما حدثت الحوادث بعده ، ولما لقنوا ذلك عنه في حياته جدوا على ذلك غير مستوحشين من ركوبه ، ولا متأثرين في القضاء به وإلزامه من أباه من^(٢) إباحة الفروج ، وسفك الدماء ، وأخذ الأموال ، وما يجوز فيه الصلح من الموارد ، وما لا يجوز ذلك فيه من الحدود والتحرير للرقاب ، وإباحة الفروج وحظرها بتلك الاجتهادات المختلفة ، والآراء المتباينة . لأنها في أحكام العقول على ما بيننا غير متناقضة ولا متنافية ، وفي أحكام السنة الإباحة لها ثابتة ، لأنهم كانوا

(١) في الأصل : بها ويأولونهم ليتحملوا الناس ولو كان .

(٢) بيان للحوادث في قوله : وإنما حدثت الحوادث .

أورع وأخوف لله ، وأشد توقياً من أن يفعلوا ذلك من غير إباحة ، بعد أن حذر عليهم أن يقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ^(١) ، و (س ١٨٨ آ ٢) « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ » ، وأن يحفظوا فروجهم ، ويفضوا أبصارهم ^(٢) . فلمّا رأينا ذلك في العلماء وأهل الورع ، والتعشف مجعاً عليه ^(٣) بعد تجويزه بحجة العقل دل ذلك على صحة ما ذكرناه . وبالله التوفيق .

(١) س ١٥١ آ ٦ .

(٢) س ٣٠ آ ٢٤ .

(٣) في الأصل : عليه على وجوبه .

الفصل التاسع

في نزول القرآن على سبعة أحرف وما قيل في معانيه

ولما ذكرنا من تخرج عن تفسير القرآن ، ومن لم يتخرج عنه . وقلنا : الوجه فيه وأتبعناه بالفصول المتعلقة به ، امتد بنا الكلام إلى بيان معنى قوله : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، واختلاف الناس فيه .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن الهيصم رضى الله عنه إجازة قال : أخبرنا أبو علي أحمد بن محمد قال : حدثنا أبو سعيد الأصبخري القاضي ، قال : حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال : حدثنا عبد الرزاق بن همام ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ، وعبد الرحمن بن عبد القاهر أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول : مررت بهشام بن حكيم بن حزام وهو يقرأ الفرقان (س ٢٥) في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستمعت قراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكذت أشاوره في الصلاة فانتظرت حتى سلم ، فلما سلم لبثته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي أسمعتك تقرأها ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت له : كذبت فوالله ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأني هذه السورة التي تقرأها . قال : فانطلقت أقوده إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقلت : يا رسول الله : إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها ، وأنت أقرأني سورة الفرقان . قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرسله يا عمر . أقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التي سمعت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت . ثم قال لي : أقرأ يا عمر . فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : هكذا أنزلت . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأ منه ما تيسر .

قال : وأخبرنا أبو عليّ قال : حدثنا أبو سعيد ، قال : حدثنا الرّماديّ قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : قال أبيّ بن كعب : اختلفت أنا ورجل من أصحابي في آية فترافعنا فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ يا أبيّ . فقرأت . ثم قال للآخر : اقرأ . فقرأ . فقال : كلا كما محسن مجمل . فقلت : ما كلانا محسن مجمل . قال : فدفع النبي صلى الله عليه وسلم في صدرى وقال : أيّ أبيّ ، إن القرآن أنزل علىّ . فقل لي أعلى حرف أم على حرفين ؟ . فقلت : بل على حرفين . ثم قيل لي : أعلى حرفين أم على أربعة أحرف ؟ . فقلت : بل على أربعة أحرف . فلم يزل بي حتى انتهى إلى سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ ما لم تحتم آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة ، وإذا كانت عزيز حكيم . فقلت : سميع عليم فإن الله سميع عليم .

وعن زر بن حبیش ، عن أبي بن كعب قال : التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ، فقال : يا جبريل ، إني بعثت إلى أمة أميين ، منهم العجوز والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط . قال : يا محمد : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف .

قلت : وقد تكلم الناس في السبعة الأحرف على ما قدمته ، فمن حملها على المعاني ، قال : إنها وعدّ ، ووعيد ، وحلال ، وحرام ، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج . ومنهم من قال : حلال ، وحرام ، وأمر ، ونهي ، وخبر ما كان ، وخبر ما يكون ، وأمثال .

وعن ابن مسعود قال : نزل القرآن على خمسة أحرف ، حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، وأعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، واعتبروا بأمثاله .

وعن سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان الكتاب الأول نزول من باب واحد ، وعلى حرف

واحد، وأنزل القرآن على سبعة أبواب ، على سبعة أحرف : زاجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه . وأمثال ، فأحلوا الحلال ، وحرّموا الحرام ، واعملوا بالحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال ، فهو في هذين الحديثين على اعتبار معانيه دون ألفاظه إلا أنه مقصورٌ في أحدهما على خمسة أحرف .

وقد يحتمل أن لا يكون المراد من ذكر الخمسة عند كثير من أهل العلم ، وكذلك ما ذكر من السبعة الأحرف لا يُوجب أن تكون حروف القرآن مقصورة عليها . قالوا : وذلك بمنزلة قوله صلى الله عليه وسلم : خمس لا يعلمها إلا الله ، وليس يجب من ذلك أن يكون ما يختص علمه بالله سبحانه مقصوراً على الخمس . وكقوله عز وجل (س ٩ آ ٨٠) « إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ » ، وليس تقنيطهم عن المغفرة مقصوراً على استغفاره لهم سبعين مرة ، حتى أنه لو زاد لغفر لهم ، وعلى هذه الطريقة عند هؤلاء قد يمكن أن يكون للقرآن وجوه زائدة على الخمسة المذكورة في الحديث ، وحروف زائدة على السبعة . وعن الإمام الهادي أبي عبد الله محمد بن كرام رضى الله عنه : أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وأمثالاً ، ومواعظ ، ووعداً ووعيداً ، وأمرأً ونهيأً ، وخواصاً وعواماً ، وتعظيم الربّ تبارك وتعالى على ثلاثة عشر حرفاً ، والإيمان بهذه كلها ، والعمل بناسخها ومحكمها ، ولا يعمل بمنسوخها ومتشابهها ، ألا لا تفسروا القرآن برأيكم كما فسر أهل الأهواء .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار . وإنما ذكر الإمام الهادي رضى الله عنه هذا الفصل عقيب ما روى حديث ابن مسعود قال : نزل القرآن على خمسة أحرف ، لكل حرف منها ظهرو بطن ، فيحتمل أن يكون قد ذهب رحمه الله إلى أن ذكر الحروف الخمسة والسبعة لا يُوجب الاقتصار عليها على ما قدمناه . ويحتمل أن يكون قد قصد من الوجوه التي ذكرها شرح الوجوه الخمسة من قبل أن الأمر والنهي قد يدخلان في الناسخ والمنسوخ ؛

وكذلك يدخل الوعد ، والوعيد ، والمواعظ ، وتعظيم الرب في الحكم والمتشابه .
إذ لا تخلو جميعاً من أحد أمرين . وكذلك يدخل في الخاض والعام ، وتدخل
الأمثال في المواعظ ، إلا أنه قد يعرف الأمر والنهي من لا يعرف الناسخ والمنسوخ .
وكذلك قد يعرف فهمها وغيرها من الوعد والوعيد من لا يعرف حكم العام من
الخاص ، فقد صار كل واحد مما ذكر وجهاً على حياله يحتاج إلى معرفة منفردة
وإن كانت داخلية في الخمسة التي في الحديث . وذلك بمنزلة من ذكر أسباع
القرآن ؛ ثم ذكر السور . فإن عدد السور يزيد على الأسباع ولكنها داخلية فيها .
وكذلك عدد الآيات يزيد على السور وهي داخلية فيها ، فليس يمتنع على هذا
الوجه أن يكون ذكر الخمسة الأوجه مستغرقاً لجميع القرآن ، وتكون السبعة
الأحرف داخلية فيها .

ثم الأوجه الثلاثة ، وهي التي ذكرها الإمام الهادي رضي الله عنه ، داخلية في
السبعة وفي الخمسة على ما ذكرنا . إلا أنه يبعد أن يكون المراد من السبعة الأحرف
ما ذهبوا إليه من أن اعتبار المعاني من حلال ، وحرام ، ووعد ، ووعيد ، ونحو ذلك
من قبل أن الأخبار الواردة فيه من مخاصمة عمر بن الخطاب هشام بن حكيم حرام ،
واختلاف أبي والأنصاري رضي الله عنهما في القراءة يدل على أن اختلافهم كان
في الألفاظ دون المعاني . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : فاقراً ما تيسر منه ،
وقال : كلها كافٍ شافٍ . وقال لابي : وإذا كانت عزيز حكيم ، فقلت : سميع
عليم ، فإن الله سميع عليم . فدل ذلك على أن الرخصة في تغيير اللفظ على وفاء من
المعنى . ويزيد ذلك وضوحاً ما رواه زر عن أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال : يا جبريل : لقد بعثت إلى قوم أميين ، إلى آخر الخبر ، وذلك أن الأمر لا يتسع
على الأسمى بخلاف غيره باختلاف المعاني ، وألا يتسع عليه باختلاف الألفاظ وإبدال
بعضها ببعض حتى أنه إن كان لسانه لا يطوع للفتة استبدل بها غيرها مما ينوب
منها في المعنى . وما رفعه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : يفرق فيه بين

السبعة الأبواب ، والسبعة الأحرف . فإنه يحتمل أن يكون ما ذكر من الوجوه السبعة تفسيراً لسبعة الأبواب دون السبعة الأحرف . ثم إن جماعة من أهل العلم ذهبوا إلى أن اختلافهما على سبيل اختلاف لغة العرب . وذلك أن الله عز وجل أنزل القرآن على سبعة أوجه من لغات العرب متفرقة في القرآن .

وروى عن أبي صالح ، عن ابن عباس أنه قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف يردد منها في هوازن خمسة أحرف ، وفي سائر العرب حرفان .

وقد ذكر في غير هذا الحديث عن ابن عباس أنه قال : نزل القرآن على سبعة أحرف ، خمسة منها للعجوز^(١) من هوازن ، سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف . ذكر خمسة أحرف ، فنسبها إلى أربع قبائل ، وهذا لا وجه له إلا اختلاف اللغات ، وفيه من اليسر والسعة أن وجد كل قوم من ذوى اللغات المختلفة في ألفاظ القرآن ما وافق لغتهم التي نشؤوا عليها ، فكان ذلك أقرب إلى الاستئناس به والرغبة في حفظه وقرآته ، ولم يسأموا ترك ما اعتادوه ، ومفارقة ما ألفوه ونشؤوا عليه ؛ لكنني أرى الوجه أيضاً لا يتوسع في النهج الذي رآه صلى الله عليه وسلم ، حيث شكنا إلى جبريل أنه بُعث إلى قوم أميين . وذلك أن كل لفظة وافقت لغة فريق من العرب خاصة ، فإن الآخرين في استعمالها بمنزلة هذا الفريق ، وإن لم توافق اللفظة لغتهم ، فلم يحصل إذ ذاك بنزوله وفق لغتهم كبير طائل في اليسر والتوسعة ، مع أنه قد روى عن السلف في بعض الألفاظ مما في القرآن أنه بلغة فارس ، وفي بعضها أنه بلغة الروم ، كما نذكره إن شاء الله عز وجل .

وروى عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن شرحبيل قال : ما من لسان إلا في القرآن . وعن أبي ميسرة ، عن أبي إسحاق قال : في القرآن من كل لسان .

(١) كذلك في الأصل ، وفي تفسير الطبري ١ : ٢٢ : للعجوز من هوازن .

وروى عن بعض الأئمة: أن معنى سبعة أحرف سبع لغات متفرقة في القرآن ليست مقصورة على لغات العرب . وهي : الحبشية ، والنبطية ، والسرانية ، والفارسية ، والطحاوية^(١) ، والرومية ، والعربية .

قال وَمِنَ الَّذِي نَزَلَ بِالْغَةِ الْحَبَشَةِ الْكُفْلَانُ^(٢) الضَّعْفَانُ^(٣) ، عن سعيد ابن جبير ، وأبي موسى . ومنها : الاواه^(٤) للرحيم ، عن أبي ميسرة ، عن عمرو ابن شرحبيل هو الشيخ . ومنها : المشكاة^(٥) ، للسكوة ، عن عكرمة ، ومجاهد . ومنها الناشئة^(٦) ، لقيام الليل ، سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، يقولون نشأ قام . وعن السدي هي بلحن الحبش ناشئاً .

ومنها : القسورة^(٧) ، عن ابن عباس . ومنها : ابلعي ماءك^(٨) ، عن جعفر ابن محمد ، عن أبيه . ومنها : طه^(٩) ، يارجل ، عن عكرمة برواية عمر بن أبي زائدة . ومنها : يا جبال أو بى معه^(١٠) ، أى سبحى ، عن أبي ميسرة . ومنها : طوى^(١١) . اسم الجنة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . ومنها : واعتدت لهن مُتَّكاً^(١٢)

(١) أنظر معجم البلدان لياقوت الحموى ٣ : ١٦٤

(٢) فى س ٢٨٥٧ آ

(٣) فى س ٢٦٥ آ

(٤) فى س ١١٧٥ آ وس ١١٤٩ آ

(٥) فى س ٣٥٢٤ آ

(٦) فى س ٦٢٧٣ آ

(٧) فى س ٧٤٢٢ آ

(٨) فى س ٤٤١١ آ

(٩) فى س ١٢٠ آ

(١٠) فى س ١٠٣٤ آ

(١١) فى س ١٢٢٠ آ وس ١٦٧٩ آ

(١٢) فى س ٣١١٢ آ

للاترج ، عن سلمة بن ثمام . ومنها : مقاليد السموات^(١) ، للمفاتيح ، عن مجاهد .
وأما البنطية : فقولہ : طه ، يارجل ، عن عمارة عن عكرمة . ومنها :
سرباً^(٢) . للنهر ، عن سعيد بن جبیر قال : وهو سرباً . ومنها : فصرهن^(٣) ، أى
قطعهن ، عن عكرمة عن ابن عباس . ومنها قوله : ملكوت السموات^(٤) ، هو
ملكوتاً ، عن عكرمة منقوطة ثلاث نقط . ومنها : سجيل^(٥) ، اسم للحجارة ،
عن عكرمة .

وأما السريانية : فقولہ : طه ، يارجل ، عن قتادة . ومنها : الطور^(٦) ،
الجليل ، عن مجاهد . ومنها : سرباً ، نهر الجبل ، عن البراء بن عازب .
وأما الفارسية : فقولہ : من سجيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
وعن عكرمة قال : من سنك كل ، وعن مجاهد أولها حجارة وآخرها
طين . وعن ابن عباس رواية أبى صالح ، من طين يطبخ ، كما يطبخ
الآجر ، وهو بلغة فارس . ومنها : مقاليد ، عن مجاهد أيضاً مفاتيح بالفارسية .
وأما الطحاوية : فقولہ وغساقاً^(٧) للنتين ، عن عبد الله بن بردة .

وأما الرومية : فالفردوس^(٨) ، البستان ، عن أبى صالح ومجاهد . ومنها :
القسطاس^(٩) ، العدل ، عن مجاهد . قالوا : وإنما ذكرها الله سبحانه في كتابه
ليكون جامعاً لأصول الألسنة ، وهذه أصول اللغات ، وما سواها فروع لها ،

(١) في ٣٩ آ ٦٣ و ٤٢ آ ١٢

(٢) في ١٨ آ ٦١

(٣) في ٢٢ آ ٢٦٠

(٤) في ٦ آ ٧٥ والآخ .

(٥) في ١١ آ ٨٢ والآخ .

(٦) في ٢٣ آ ٢٠ والخ

(٧) في ٧٨ آ ٢٥ و ٣٨ آ ٥٧ .

(٨) في ١٨ آ ١٠٧ و ٢٣ آ ١١ .

(٩) في ١٧ آ ٣٥ و ٢٦ آ ١٨٢ .

ولأنها^(١) كانت أقرب إلى العرب دياراً ومنازل ، فاختلفوا بهم ، ولم يكن الهند والسند ، والترك كذلك لبعده الديار ، وتناهى المزار .

فإن قيل : كيف يجوز أن يكون في القرآن غير لغة العرب ؟ وقد قال الله تعالى (س ٤١ آ ٣) « قُرْءَانًا عَرَبِيًّا » . وقال (س ٢٦ آ ١٩٥) « بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » .

قلنا : إن الكلمة وإن كان أصلها من لغةٍ أخرى ، فإنها إذا عرفت في العربية ، واستعملها أهلها ، فقد صارت عربية كسائر ما تتخاطب عليه العرب من كلامها ، لذلك جاز أن يخاطب الله بها العرب . ألا ترى أن العربي إذا قال لصاحبه : اشتر لي تَرَنْجِينَ ، فإن هذا الاسم ، وإن كان مُعَرَّباً من الفارسية ، فإنه يُفهمُ به المراد ؟ كما أنه لو قال : اشتر لي عَسَلًا ، فهم المراد منه . قال الشاعر :

فَخَمَّةٌ ذَفْرَاءُ تُرْنَى بِالْعُرَى قُرْدُمَانِيًّا وَتَوْكَا كَالْبَصَلِ

فمعنى قُرْدُمَانِيًّا فيما قيل : أنه مصبوغٌ مخلد ، وأصله بلسان الفرس ، كان يقول أحدهم إذا صبغ درعاً : كردمان ، فعربوا هذه اللفظة . وقال الأعشى :

وَإِخْوَانِ صِدْقٍ لَا ضَعْفَانَ بَيْنَهُمْ وَقَدْ جَعَلُونِي فَيْسَحَاهَا مُكَرَّمًا

فَعَرَّبَ قوله : فَيْسَكاه ولم يخرج شعره ذلك من أن يكون عربياً . وقد قال قوم ، تحاشياً عن أن يكون في القرآن ما ليس من لغة العرب : إن هذه الألفاظ التي نسبت إلى سائر اللغات المختلفة وقعت^(٢) من العربية وفق كلامهم ليس إنها من لغتهم . كما يقال بالعربية « كوز » وهي بالفارسية « كوزه » ، ويقال بالعربية « جوز » وهو بالفارسية « كوز » . وليس ذلك من حيث أن العربي عند ما يقول ذلك يتكلم بالفارسية أو الفارسي يتكلم بالعربية . وكذلك إذا قال : درهم ، أو قال : دينار ، أو قلم ، أو دواة . وكانت هذه أسماء هي في العربية والعجمية جميعاً

(١) أى لأن أهلها .

(٢) في الأصل : وأنها وقعت .

على صيغة واحدة وفاقاً وقع من اللغتين . ولا ينكر أن يكون من اللغتين كما يوافق بعضها بعضاً على سبيل الاتفاق ، دون قصد من أصحابها أن يتكلموا بغير لغتهم . ولا يستنكر مع ذلك أن يتعارفوا فيما بينهم استعمال ألفاظ من غير لغتهم حتى تصير من لغتهم ، كما أنهم قد يتعارفون بالتسمى بأسماء صيغت على غير لغتهم . وكما قد تستعمل بالفارسية ألفاظ من العربية ، حتى أنه لو تكلم الفارسي في بعضها بما هو محض الفارسية لاستغنى المعنى به عند من لا لسان له إلا الفارسية لجعله ^(١) أصلاً . وروى عن الحسن بن ذكوان ، عن الحسن ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف ، قال : صدقوا ^(٢) . أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وأكثر من ذلك على كلام العرب ، بكل شيء كان المعنى فيه واحداً في العربية ، فإذا تكلمت به كان صواباً . فقد نزل على سبعة أحرف ، وعلى أكثر من ذلك ، وعلى أكثر من بضعة وعشرين حرفاً ، إذا كان جائزاً في كلام العرب . ولكن الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف ، وإنما يعنى به أن القرآن إنما هو جدال ، وأمثال ، وأحكام ، وترغيب ، وترهيب ، وأمر ، ونهي .

قلت : فقد صرف على رضي الله عنه فائدة الخبر إلى اختلاف المعاني دون الألفاظ ، وجعل الألفاظ الجائزة في القرآن زيادة على سبعة . وقد قلنا : إن فحوى الأخبار التي تقدمت روايتها يقتضي اختلاف الألفاظ ، ولولا ذلك لم يقل : فاقروا ما تيسر . وقال القيني في قول النبي صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن على سبعة أحرف . قال : تأويله على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن . قال : ولقد تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها على سبعة أوجه .

(١) في الأصل : أو لجعله .

(٢) أي الرواة .

أولها : الاختلاف في إعراب الكلمة ، أوفى حركاتِ بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها ، نحو قوله : (س ١١ آ ٧٨) «هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» ، و «أَطْهَرُ لَكُمْ» . و (س ٣٤ آ ١٧) «هَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ» ، و «هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ» ، (س ٣٧ آ ٤) «وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ» و «بِالْبُخْلِ» و (س ٢٨٠ آ ٢) «فَنَظِرَةً إِلَى مَسِيرَةٍ» و «مَيْسِرَةٍ» .

والوجه الثاني : أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركاتِ بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها ، نحو قوله : (س ٣٤ آ ١٩) «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» و «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» ، و (س ٢٤ آ ١٥) «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ» و «يَلْقَوْنَهُ» و (س ١٢ آ ٤٥) «وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أَمَةٍ» ، و «بَعْدَ أَمَةٍ» .

والوجه الثالث : أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرامها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها ، نحو قوله : (س ٢٥٩ آ ٢) «وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا» و «نُنْشِرُهَا» ، وقوله : (س ٣٤ آ ٢٣) «حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ» و «فُزِّعَ» .

والوجه الرابع : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها ، نحو قوله : (س ٣٦ آ ٢٩) «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً» و «زَقِيَّةً وَاحِدَةً»^(١) ، و (س ١٠١ آ ٥) «كَالْعَيْنِ الْمَفْشُوشِ» ، و «كَالصُّوفِ»^(٢) .

والوجه الخامس : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير ، نحو قوله :

(١) انظر Materials ص ٧٨ .

(٢) انظر Materials ص ١١١ .

(س ١٩٥٠) « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ » « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ » ^(١) .

والوجه السادس : أن يكون الاختلاف بما يزيل صورتها ومعناها ، نحو قوله :
(س ٢٩٥٦) « وَطَلَعَ مَنْضُودٌ » في موضع « وَطَلَحَ » ^(٢) .

والوجه السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان ، نحو قوله :
(س ٣٧٣٥) « وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ » « وَمَا عَمِلَتْهُ » ^(٣) . وقوله في سورة الحديد
(س ٥٧٢٤) : « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » ^(٤) و « فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » بنقصان « هو » . وقرأ بعض السلف (س ٣٨٢٣) « إِنَّ هَذَا أَخِي فَلَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ أَنتَى » ^(٥) و (س ٢٠١٥) « إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أَظْهَرُكُمْ عَلَيْهَا » ^(٦) .

وقال الشيخ محمد بن ألهيصم : إن ألقينى ، عفا الله عنا وعنه ، قد أحسن الترتيب لهذه الوجوه ولكنه إن كان قصد من ذكرها تبين اللغات السبع التي زعم أنها متفرقة في القرآن وحمل عليها قول النبي صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن على سبعة أوجه ، فإنه لم يضع البيان موضعه ، وذلك أن اختلاف الألفاظ التي تختلف فيها المعاني لا يعتبر في اختلاف اللغات ، ولو كان ذلك اختلاف اللغات لكان الواحد إذا قال : جاء زيدٌ . وقال آخر : ذهب عمرو ، كانا قد تكلمنا بلغتين مختلفتين . ولكان في القرآن أكثر من ألوف اللغات من حيث أن كل لفظة خالفت اللفظة

(١) انظر Materials ص ٩٣ .

(٢) انظر Materials ص ١٩١ .

(٣) انظر المقنع للداني ص ١٠٣ ، ١١٣ .

(٤) انظر المقنع ص ١١٥ ، ١١٧ .

(٥) انظر Materials ص ٨١ .

(٦) انظر Materials ص ٥٩ و ١٤٦ .

الأخرى تكون لغة منفردة ، وهو مع ذلك قد أُعتبر في هذا الترتيب ماختلف صورته في الكتاب وما لا يختلف . ومعلوم أنه لا مدخل في صورة ^(١) الكتاب في اختلاف اللغات . وإنما تعتبر اللغة بالألفاظ دون صور الكتاب . وإيضاً : فإنه أُعتبر فيما يختلف بالإعراب أو الحروف ما يغير المعنى فجعله وجهاً ^(٢) ، وما لا يغير المعنى فجعله وجهاً آخر ، ولم يعتبر في الزيادة ما يفيد زيادة معنى وهو السابع . وقوله « نَعَجَّةٌ » إذا زيد فيه « أُثْيَ » لم تفد زيادته فائدة ، ولو أنه أُعتبر هذا في الزيادة فجعلها وجهين كانت الوجوه تكون ثمانية ، وليس اعتبار ذلك حيث أُعتبره بأقل منه حيث تركه . وشيء آخر ، وهو أننا لم نخير فيما يختلف فيه المعنى لنقرأه كيف شئنا ، وليس في اختلاف اللغات باختلاف المعاني سعة على قارئ القرآن ، إذ لا بدّ من تحفظ كل شيء منها وذلك زيادة في شغله .

وقد قال أبو عبيد في معنى السبعة الأحرف : أنها سبع لغات متفرقة في القرآن ، وذكر مثله الأزهري عن المُنْذِرِي ، عن أبي العباس أحمد بن يحيى ، إلا أنهم لم يذكروا تلك الأحرف ، ولم يبينوا سبيل قصر ^(٣) الخبر على سبعة . قال : والذي عندى في هذا المعنى : أن الواجب فيما جاء من إنزال القرآن على سبعة أحرف ، هو أن نعتبر ما هي الفائدة من ذلك أولاً ، ثم يحمل الخبر على ما هو أخرى بها ^(٤) وأوفق لها .

وقد دل حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن الفائدة من ذلك اليسر والسعة في قراءته ، ودلّ حديث زر عن أبي عليّ أن الفائدة منها التسهيل على من يقرئه أمياً لا يَطْوَع له لسانه لإقامة حروفه ، أو شيخاً كبيراً قد نشأ على لغة

(١) كذلك في الأصل والصواب لصورة .

(٢) في الأصل : وجهاً واحداً .

(٣) في الأصل : ما قصره

(٤) في الأصل : إليها

تخالف ببعض حروفها ظاهر التلاوة حتى تمرنت عليها طباعه ، واستمرت بها عاداته ، فتعذر عليه الإقلاع عنها والتنقل إلى غيرها ، وكان التيسير في الحروف السبعة عندي على ما تدل عليه هذه الأخبار على وجهين .

وجه من ذلك : أن يكون القارئ في سعة من قراءته حتى أنه لو زل عن ظاهر لفظ القرآن على سبيل السهو إلى ما لا يبعدُ معناه عن ذلك اللفظ نفسه ، أو عن سائر ما في القرآن من نحوه لم يلزمه من ذلك إثمٌ ، ولم يوجه إليه في ذلك حرجٌ . وذلك أن وجوهاً من الزلل في القرآن هي بحيث إن زلَّ عنها التالى للقرآن قطعت عليه صلاته ، وعليه أن يفرع منها إلى الصواب متندماً على ما فرط منه ، مستظهِراً بالاستغفار على تدارك الغلط فيه .

ووجوهٌ منها بحيث لا تقطع الصلاة ، وإن كانت بخلاف ما عليه القراءة ، وهي الوجوه التي يشا كل سبيل الخارج إليها في مخالفته لظاهر التلاوة سبيل الاختلاف الذي به قد نزل القرآن .

مثال ذلك : أن قارئاً لو قرأ (س ٣ آ ٥٩) « إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ » ، فغلط إلى أن بدلَ « عند الله » « عبد الله » بالباء ، فإن ذلك وإن لم يكن بما قرئ به ولا يجوز لأحد أن يتعمده ، فليس بالذي يقطع صلاته ، أو يلزمه إثمًا ، لأنه مما قد حقق الله معناه في آية أخرى ، قوله : (س ٤ آ ١٧٢) « لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ » ، ولأن الله تعالى قد أنزل مثل هذا الاختلاف في قوله ^(١) (س ٤٣ آ ١٩) « وَجَعَلُوا أَلَمَلًا لِكَلِمَةٍ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً » و« الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ » فإنهما قد قرئتا جميعاً . وكذلك لو غلط من قوله : (س ١١٤ آ ٢) « مَلِكِ النَّاسِ » إلى أن يقرأ « مَالِكِ النَّاسِ » ، فإن ذلك وإن كان مما لا يجوز التعمد به فهو من نحو الاختلاف الذي نزل به القرآن في قوله : (س ١ آ ٤) « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » و« وَمَلِكِ » جميعاً .

وقد ذكر أن الأخصش شك في قوله : (س ١٥٢٨) « فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ » إنه « فاستغاثه » بالثاء أو « فاستعانه » بالنون . وهذا الضرب من الزلل لا يقطع الصلاة ، ولا يلزم من زلّ إليه شدة التحرج والتأثم . فأما لو زلّ في قوله : (س ٥٩٣) « إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ » إلى أب يقول « عيسى بن الله » ، أو قال : « عدوّ الله » حاشى له وتعالى الله عن ذلك ، فإن عليه يفرع إلى الاستغفار وأفسد ذلك صلاته .

وكذلك لو غلط في قوله « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » فقال : « مَالِك » ونحو ذلك من الخطأ الفاحش الذي لم يجوز أن يصح له معنى ، وكذلك لو جرى على لسانه في تضاعيف ما يقرأ القرآن قول ليبد :

* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَّاخَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ *

فإن ذلك وإن كان قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه من أصدق قول قائلته العرب ، فإنه يقطع صلاته ويلزمه الفرع إلى الصواب لظهور مخالفته ظاهر التلاوة . فهذا وجه واحد من التوسعة واليسر .

وأما الوجه الثاني : فهو ما أباح الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يقرئوا كل من أتاها ممن نشأ على لغة يعتادها من لغات العرب على حسب ما يتيسر عليه . وأن لا يسؤموه تكلف ما يخالف لغته فيقطعه ذلك عن الرغبة في حفظ القرآن والقيام به ، وذلك بمنزلة الهذلي^(١) إذا قرأ : (س ١٢٣٥) « عَتَى حِينَ » بدّل « حتى حين » إذ هي لغته . والأسديّ يقرأ (س ٩٦٢) « يَعْلَمُونَ » ، و (س ١٠٦٣) « وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ » ، و (س ٦٠٣٦) « أَلَمْ إِعْهَدْ إِلَيْكُمْ »^(٢) .

(١) هي قراءة عبد الله بن مسعود . انظر Materials ص ٤٩ .

(٢) يقال ان المضارع بكسر الياء هي لغة بني أسد .

وذكر أبو حاتم السجستاني أنه سمع حترش بن ثمال، وهو عربي فصيح، يقول في خطبته: الحمد لله إحمده وإستعينه، وإتوكل عليه، فيكسر الألفات كلها. وأكثر العرب يجعلون القاف تقارب الكاف في السماع، ورأيت غير واحد منهم يجعل الجيم كلها تقارب الباء ضرباً من المقاربة، وهؤلاء لو أخذوا بما يخالف عاداتهم لتعسر ذلك عليهم، فيسر الله عليهم بلطفه ليقرا كل فريق منهم بما هو عادته، وليس لغيرهم أن يسلك في القراءة مسلكتهم ولكن يلزم التلاوة المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان هذا التيسير من الله تعالى بأن أنزل القرآن على سبعة أحرف، أي على سبعة أوجه تتخالف بها لغات العرب وعاداتهم، ليكون ذلك دليلاً على أن ما يجري ذلك الجري مما يخرج إليه الغالب ليس فيه إثم ولا حرج، وكذلك ما يجري مجراه مما تجر إليه طباع من نشأ على لغة تخالف ظاهر التلاوة لم تلزمه فيه لأئمة، ولولا ذلك وكان يكون الأمر مقصوراً على ما نزل في القرآن من الاختلاف فقط لم يكن في ذلك كثير يسر، بل كان حفظ تلك الوجوه زيادة في الشغل، لكنها لما صارت دليلاً على اليسر الذي ذكرناه في وضع الحرج عما يشاكلها من اللفظ ويخالف ظاهر التلاوة عظمت فائدتها واتسع الأمر بها وتيسر. قال رضي الله عنه: ثم اني تدبرت الوجوه التي تتخالف بها لغات العرب فوجدتها على سبعة أنحاء لا تزيد ولا تنقص، وبجميع ذلك نزل القرآن.

فالوجه الأول منها: إبدال لفظ بلفظ آخر بمنزلة، فإن منهم من لا يكاد يعرف إلا الحوت، ومنهم من يقول سمك ولا يكاد يقول حوت. ومنهم من يقول عشب، وآخر يقول كلاء، وآخر يقول حشيش.

ومنهم من يقول: نام فلان، ولا يكاد يقول رقد، وآخرون يقولون: رقد ويتعارفونه. ولقد قلت في «البادية» وأنا أكل بعض الأعراب: هذا طريق وعر. فقال: وما وعر؟ فقلت: خشن. ثم قلت له: أما في كلامكم وعر؟ قال: لا. ولسنا نعرف إلا الخشن.

وقد روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من جُعِلَ قاضياً فقد ذبح بغير سكين . قال أبو هريرة : ذلك أول يوم سمعت سكين ، ما كنت أعرف إلا المدي . وفي القرآن : (س ٦٢ آ ٩) « فَأَسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » وقد قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « فَأَمْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ »^(١) . وقال عز وجل : (س ١٠١ آ ٥) « كَالْعَيْنِ الْمَنفُوشِ » ، وقرأ ابن مسعود : « كَالصُّوفِ الْمَنفُوشِ »^(٢) . وقال : (س ٣٦ آ ٢٩) « إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً » ، وقرأ ابن مسعود : « زَقِيَّةً وَاحِدَةً »^(٣) .

والوجه الثانى : إبدال حرفٍ بحرفٍ بمنزلة قولهم^(٤) أعطيتُ ، ومن العرب من يقول أنظيت بالنون . ويقولون : قهرنى فلان ، ومنهم من يقول : كهرنى . ويقولون : مَدَحْتُهُ وَمَدَّهْتُهُ ، وهرقتُ الماء وأرقتُهُ ، وسحقتُ الزعفران وسهكتُهُ . ويقولون للقبر : جَدَثٌ ، وَحَدَفٌ ، وَثُومٌ ، وفُومٌ ، ومعائير ، ومعافير . وبمنزلة مايبدل بعضهم ألف لام التعريف بألف ميم .

وروى عن أبي هريرة أنه قال يوم الدار لعثمان : طَابَ امْضَرُبُ . أى طَابَ المضرب .

وروى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس من أمرٍ إمْصِيَامٌ فى امْسَقَرٍ . وذلك على لغة دوس .

وكذلك تميم تبدل مكان الهمزة عيناً ، وينشدون عن ذى الرمة :

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرَقَاءَ مَنَزَلَةً مَاءُ الصَّبَابَةِ فِي عَيْنَيْكَ مَسْجُومٌ

(١) انظر Materials ص ٢٢١ .

(٢) انظر Materials ص ١١١ .

(٣) انظر Materials ص ٧٨ .

(٤) أى : بمنزلة كقولهم .

ومن ذلك ما روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : لا تتبعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ، ولا تتبعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل ، ولا تشفّوا بعضه على بعض ، ولا تتبعوا شيئاً منه غائباً بناجز إلا يداً بيد . فإن قال : انظرنى حتى أُلج بيتى فلا تنظروه فإنى أخاف الرما . يعنى : الربا .

وقد يقال : لأزم فى معنى لأزب . وفى القرآن « الصّرّاط » قرىء بالصاد والسين جميعاً .

وروى عن سفيان بن عيينة ، عن زياد بن علاقة ، عن قُطبة بن مالك قال : سمعت النبی صلى الله عليه وسلم يقرأ (س ١٠٥٠ آ) « وَالنَّخْلَ بِاسِقَاتٍ » . قال سفيان : بالصاد .

وروى إسرائيل ، عن زيادة بن علاقة ، عن قُطبة قال : سمعت النبی صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر : « وَالنَّخْلَ بِاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ » فمدّ نضيداً ، وهو فى هذه الرواية بالسين ، وهذيل تبدل الالف بدل الواو من ولده : قال البريق يرى أخاه :

فَأَصْبَحْتُ لَا أَدْعُوا مِنَ النَّاسِ وَاحِداً

سِوَى أَلِدِهِ فِي الدَّارِ غَيْرَ حَكِيمٍ

وقد يقولون : أحدان بمعنى وُحْدان . ويقولون إسادَه ووساده ، ووَكافٌ واكافٌ ، ووَشاحٌ واشاحٌ . وفى القرآن : (س ١١٧٧ آ) « وَإِذَا أُرْسِلُوا لِقَائِ أَهْلِهِمْ أَقْبَتُوا » بمعنى « وَقَتَّتْ » ، وهذيل أيضاً تَضَعُ متى مَوْضِعٍ من . قال أبو ذؤيب :

تَرَوْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعْتُ مَتَى لَجَجَ خُضْرٍ لَهْنٌ ثَلِيحٌ^(١)

(١) هكذا فى الأصل والصواب : نثيج . انظر ديوان أبى ذؤيب ١١ : ٨

(ed Hell) ص ١٧ ، وفى شرح شواهد ابن عميل للجرجانى . ص ١٣٣

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نثيج :
فى باب شواهد حروف الجر .

« تَرَوْتَ » الْفِعْلُ لِحَتَامِ سُودٍ ، ^(١) « متى لجج » أى من لجج « لهن ثليج »
أى مر سريع ^(٢) وقوله « تَرَوْتَ » يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِ قَبْلِهِ ^(٣) يَقُولُ :

سَقَى أُمَّ عَمْرٍ وَكُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَنَاتِمُ سُودٍ مَاؤُهُنَّ تُجِيجُ ^(٤)

وقد ذكرنا أن الذين كتبوا المصحف اختلفوا فى التآبوت والتابوه ، وهذا
الضرب الذى هو إبدال حرف بحرف فى لغة العرب غير قليل .

والوجه الثالث : تقديم وتأخير : إمّا فى الكلمة ، وإمّا فى الحروف ،
فإمّا فى الكلمة : فذلك شائع فى سائر العرب تقول : سَلِبَ زَيْدٌ ثوبه ، وسَلِبَ
ثوبُ زَيْدٍ ، والمعنيان واحدٌ ، ولربما يختلفُ به المعنى على ضربٍ من التفاوتِ
لا يكاد يكون اختلافًا ، كقولهم : عرضتُ الناقةَ على الحوضِ ، وعرضتُ الحوضَ
على الناقة . ولعل بعض العرب أَلَزَمَ فى أمثال هذه تقدّمَ لفظه ، وبعضهم تقدّمَ
أحرفٍ ، فيكون ذلك اختلافًا فى اللغة من هذا الوجه . وفى القرآن
(س ٢ آ ١٢٤) « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » . وهى قرآءة العامة . وقرئ أيضاً
« الظَّالِمُونَ » ، وقرئ (س ٢ آ ٣٧) « فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ » على أن
الفعل لآدمَ ، وقرئ بنصب آدم وكلماتُ رفع على أن الكلمات هى التى تلتقته ^(٥) .
وقرئ « فَيَقْتُلُونَ » « وَيُقْتَلُونَ » ونحو ذلك .

وأما فى الحروف فكقولهم : صَعَقَ ، وَصَقَعَ ، وَجَبَذَ ، وَجَذَبَ ، وَبَثَرَ
عَمِيقَةً ، وَمَعِيقَةً ، وَأَحْجَمْتُ عَنِ الْأَمْرِ ، وَأَجْحَمْتُ ، وَمَا أَطْيَبُهُ ، وَأَيْطَبُهُ ، وَرَجُلٌ

(١) فى الأصل . شبه السحاب بها ، والصواب : حذفه لانه لامعنى له

(٢) ولأن قرأناه نثيج ، هو الصول العالى :

(٣) أى : يرجع الضمير فيها إلى الحناتم فى بيت قبله :

(٤) وهذا البيت هو ١١ : ٦ فى دايونه .

(٥) انظر التيسير للدانى ص ٧٣ .

أعزل وأزعل ، واعتاقه الأمر واعتقاه ، واعتام واعتَمَى ، ونحو ذلك . وهذا اختلاف في اللغة بلا شك .

وفي القرآن : (س ١٣ آ ٣١) « أَفَلَمْ يَبْسُ الَّذِينَ » . وأيضاً : « أَفَلَمْ يَأْيَسْ^(١) » . (س ٢٩ آ ٦٠) « وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ » بتقديم الهمزة على حرف الاعتلال وتأخير عنه ، (س ٧ آ ١٦٥) « وَعَذَابٍ بَيِّسٍ » بتقديم الهمز على الياء على وزن فاعيل « وَبَيَّاسٍ » بتأخير الهمز عن الياء مثال فاعل^(٢) .

والوجه الرابع : زيادة حرف أو نقصانه ، وذلك بمنزلة قول من يقول من العرب : تَعْرِيفِنَهُ ، وَتُعْطِينَهُ ، وَمَالِيَهُ ، وَدَارِيَهُ . وفي القرآن : (س ٦٩ آ ٢٨ و ٢٩) « مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهُ » و « هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ » . ومنهم من يسقط بعض الحروف ترخيماً ، قال الله تعالى : (س ١١ آ ٢٠) « فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ » .

وروى عن أراكة ، عن علي قال : سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ : (س ٤٣ آ ٧٧) « يَا مَالٍ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ » بغير كافٍ . وقد رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم بإثبات الكاف ، وعليه الناس . وقد تقول العرب يا صاح . أي : يا صاحبُ ، ويا حارٍ . أي : يا حارث . ويقولون : عم صباحاً . أي : أنعم صباحاً ، وقال عنترة :

يَا دَارَ عِبَلَةٍ بِالْجَوِّ تَكَلَّمِي وَعِمِّي صَبَاحًا دَارَ عِبَلَةٍ وَأُسْلَمِي

أراد : وانعمي صباحاً ، وقد تزيد العرب حروفاً ، ثم لا تعتدُّ بها ، كمثل ما يزيدون ما ولا في كثير من كلامهم فيقولون : كان أبي ابناً ، أي : ابناً . وقد تزداد ما تضعيف القول صلة . من ذلك قوله تعالى : (س ٤٣ آ ٣٥) « وَإِنْ

(١) انظر المقنع ص ٩١ والتيسير ص ١٢٩ .

(٢) انظر التيسير ص ١١٤ .

كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » . أى : لمتاع ، وما صلة . وتكون لا زائدة أيضاً كقوله : (س ٢٩٥٧) « لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ » ، وقال ساعدة بن جؤية :

فَلَمِنِكَ لَا بَرْقٌ كَانَ وَمِصْهُ عَابٌ تَشْمُهُ ضِرَامٌ مُثْقَبٌ
ورواه أبو عمرو : وَلَمِنِكَ بَرْقٌ كَانَ .

وقد يريدون الحرف فى صيغة اللفظ كقول القائل :

أقول إذ خَرَّتْ عَلَى الْكَلْكَالِ ، يُرِيدُ : الْكَلْكَالِ .

وكقول المفضل العبدى : وَبَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حَنِيقٌ . أى : حَنِقٌ . ولكن هذه الوجوه من الزيادات قد لا تدخل فيما تختلف به اللغات لشمول ذلك سائر العرب واشتراكها فيه . وإن كان ربما يكون بعضهم أكثر استعمالاً لها من بعض ، فكذلك سائر المجازات المستعملة ، فهى ليست تعتبر فى اختلاف اللغات ، وإن كان يتعارف من ذلك كل فريق بعض ما لا يتعارفه الآخرون . إذ ليس ذلك عندهم معدوداً فى أصل لغتهم . فأما المهمز فإن من العرب من يستعمله ، وهم : تميم ومن يوافقها فى ذلك . ومنهم من يقل استعماله له ، وهم : هذيل ، وأهل الحجاز . والهمزة حرف يزيدها بعضهم ويحذفها بعضهم . وقد يحذف بعضهم المد فى مواضع ، ويثبت ذلك آخرون ، والمد حرف . وكذلك من قرأ : (س ٢١٥) « رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا » بتخفيف الباء ، فإنه قد نقص حرفاً ، وهو إحدى الباءين ، وذلك على لغة هذيل ومن وافقهم فيه . وقال أبو كبير الهذلى :

أَرْهَبُ إِنْ يَشِبُّ الْقَدَالُ فَإِنَّهُ ^(١) رُبَّ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَفَقْتُ بِهِ يَضِلُّ

أراد يازهيرة يعنى ابنته . والاختلاف فى زيادة هذه الحروف وتقصانها اختلاف فى اللغات .

(١) وفى رواية أخرى : فأنى . انظر لسان العرب ١٤ : ٢٢٢

والوجه الخامس : اختلاف حركات البناء ، مثل قول بعض العرب في الجواب : نَعَمْ . وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : نَعِيم . ومثل الْبُخْل ، وَالْبَخْل ، وَالْكَبْد ، وَالْكَبْد ، وَمَيْسَرَة ، وَمَيْسَرَة ومثل قول بعضهم حَسِبَ فلانٌ يَحْسِبُ بكسر السين في المستقبل ، وقول بعضهم يَحْسِبُ بفتحها . ومن ذلك كسر مَنْ كسر أول الفعل المضارع فقال : يِعْلَمُ ، وإِعْلَمُ ونحو ذلك . ومنه إثمَامُ بَعْضِهِم الضمة في قوله : وإذا قِيلَ وَغِيضُ^(١) ونحوه .

والوجه السادس : إختلاف الاعراب ، من نحو قول الهذلي : مَا زَائِدُ^(٢) حَاضِرٌ . قال الله تعالى (س ١٢ آ ٣١) « مَا هَذَا بَشَرًا » ، وقرأ ابن مسعود على لغة هذيل : « مَا هَذَا بَشَرًا »^(٣) . وقد ذكر من لغة بلحارث بن كعب أنهم يقولون : مررت برجلان ، وقبضتُ منه دِرْهَمَان . وجَلَسْتُ بين يَدَاهُ ، وَرَكِبْتُ علاه ، وأنشدوا :

فأطرق إطراق الشُّجاع ولو تَرَى^(٤) مساعيًا لِنَابَاهُ (الشجاع) لَصَمًّا

وفي القرآن (س ٢٠ آ ٦٣) « إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » .

والوجه السابع : هو إشباع الصوت بالتفخيم والاضطباع ، أو الاقتصار به بالاضطباع^(٥) والادغام ، وأكثر الاضطباع في لهمْ ، ولغة الحجاز على التفخيم .

وقد روى عن زيد بن ثابت أنه قال : نزل القرآن بالتفخيم ، وإنما أراد بذلك عندنا في العرض الأخير الذي عَرَضَهُ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبي بن كعب ، وذلك أنه لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يميل

(١) في س ١١ آ ٤٤

(٢) والصواب زَيْدٌ

(٣) انظر Materials ص ٤٩

(٤) كذلك في الأصل والصواب . ولو رأى .

(٥) أى الترقيق

في بعض الأوقات إذا قرأ : (س ٩٨) « لَمْ يَكُنْ » ، تستعمل الإمالة في القرآن جماعة ، هم الأئمة . ولم تكتب المصاحف بالياء في أمثال : (س ٩٣ آ ١ ، ٢) « وَالضُّحَى ، وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى » . ولكن التفخيم أعلا وأشهر في فصحاء العرب وهو الأصل والامالة داخله فيه ، وليس التفخيم والامالة اختلافاً في نفس اللغة ، وإنما ذلك اختلاف في اللحن وتقدير الصوت وتزيينه ، وقد اختار كل فريق من العرب ما رآه وفق طباعه واتبعهم على اختلافهم متبعون من غيرهم .

وكذلك الإدغام فإنه أمر شائع في سائر العرب . ألا ترى أنك لا تجد منهم إلا من يدغم لام المعرفة عند الحروف التي تخرج من طرف اللسان ، كالتاء ، والثاء ، والذال ، والنون ونحوها . وكذلك لا أحد من العرب إلا وهو يدغم الطاء الساكنة قبل التاء والثاء الساكنة قبل الطاء كقوله : احطت بما لم تحط به . وقوله : (س ٣ آ ٧٢) « وَقَالَتْ طَائِفَةٌ » ، ونحو ذلك . وليس يكاد اللسان يطوع بالاضمار في مثل هذه المواضع إلا على إكراه شديد . وكذلك اللام الساكنة قبل الراء كقوله : (س ٢١ آ ٤) : « قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ »^(١) ، وقوله (س ٨٣ آ ١٤) : « بَلْ رَانَ » ، مع أن من أهل الحجاز من يظهر اللام هاهنا . ثم تختلف مذاهب العرب في الإدغام والاضمار في كثير من الحروف وذلك أيضاً تزيين الصوت ، وتحسين اللحن وليس باختلاف في أصل اللغة ، ولكنهم إذ قد تباينوا فيه عُدَّ في اختلاف لغاتهم .

فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب قد أنزل الله باختلافها القرآن متفرقاً فيه ، ليعلم بذلك أن من نزل عن ظاهر التلاوة بمثله أو من تعذر عليه ترك عادته فخرج إلى نحو ما قد نزل به ، فليس ملوماً فيه ولا معاقباً عليه ، وكل ذلك إذا كان فيما لم تختلف فيه المعاني فإنه إنما ينسب إلى اختلاف اللغات إذا

(١) انظر المنع ص ١٠١ و ١١١ و ١٢٠ .

لم يكن باختلاف المعاني ، وإما أن تختلف العبارة باختلاف المعنى فذلك لا يقتضى الاختلاف فى اللغة ، لأن اللغات مبنية على اختلاف العبارات عن اختلاف المعانى . ثم لا يقال فى اللغة الواحدة أنها لغات مختلفة من حيث عبّرت عن معان مختلفة بعبارات مختلفة ، لذلك قلنا إن التيسير الذى حصل لهذه الأمة من إنزال الله تعالى القرآن على سبعة أحرف ، أى على سبع لغات ، إنما هو فيما لم يختلف فيه المعانى ، وعلى ذلك دلّ ما روى عن الحسن قال : قرأ أنس بن مالك (س ١٢٩٤ و ٢) : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَحَلَّلْنَا عَنْكَ وَزْرَكَ » ^(١) . قال الحسن : فقلت يا أبا حمزة هذه قراءة أعرابية ؟ قال : ولم ؟ . قلت : « وَوَضَعْنَا عَنْكَ وَزْرَكَ » . قال : ووضعنا ، وحططنا ، وحلّلنا كل ^(٢) قراءة . إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف . قال : زدنى . قال : أثنى [قال : زدنى .] قال : ثلاثة . قال : زدنى ، فلم يزل يستزيده حتى عدّ سبعة أحرف .

قلت : ألا ترى أنه اعتبر الألفاظ المبيّنة عن معنى واحد دون ما يختلف به المعنى .

وكذلك روى ابن سيرين ، عن ابن مسعود أنه قال فى اختلاف القراءات : أنها بمنزلة قولهم : هلم ، وتعال ، وأقبل . وروى عن همام بن الحارث أن أبا الدرداء كان يعلم رجلاً (س ٤٤٤ آ ٤٤) . « طَعَامُ الْأَيْتِمِ » . فقال الرجل : « طعام اليتيم » ، وكرره عشرين مرة . فقال : قل « طعام الفاجر » .

وعن أبى بن كعب أنه كان يقرئ رجلاً فارسياً ، فكان إذا قرأ عليه « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَيْتِمِ » . قال : « طعام اليتيم » . فمر به النبي

(١) انظر Materials ص ٢١٧ .

(٢) فى الأصل : كلاً .

صلى الله عليه وسلم فقال : « طَعَامُ الظَّالِمِ » فَفَصَّحَ بِهَا لِسَانَهُ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب : قوم لسانه وعلمه ، فإنك مأجورٌ ، وإن الذى أنزله لم يكن فيه ، ولا الذى نزل به ، ولا الذى أنزل عليه وأنه قرآن عربى .

وعن الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه قال : حدثنا حماد ، عن إبراهيم أن أبى مسعود كان يقرئ رجلاً أعجمياً « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأُنْيَمِ » فجعل الرجل يقول « طعام اليتيم » ، فلما أعياه قال له عبد الله : أما تحسن أن تقول « طعام الفاجر » .

قلت : لقد روى الابتلاء بهذا العجمى لأبى الدرداء ، ولأبى كعب ، ولعبد الله ابن مسعود فى هذه الكلمة الواحدة ، والأقرب أن يكون هذا الابتلاء لهم فى تارات مختلفة مع أنفس متغايرة ، وذلك أن حرف ثاء مما يكثر تعذره على العجمى حتى يبدل بها حرف تاء . وسورة الدخان (س ٤٤) هى التى يرغب فى حفظها الأميئون ، والنساء ، وأهل البلاد لما يذكرون فضل من قرأها ، فذلك كثرت البلوى فى هذه الكلمة خاصة .

فإن قيل : إذا كان هذا التيسير الذى هو فى السبعة الأحرف^(١) إنما كان فيما لا يختلف المعنى فيه ، فما قولكم فى القراءات التى تختلف المعانى ؟ .

قلنا : إنها صحيحة منزلة من عند الله ، ولكنها خارجة من هذه السبعة الأحرف ، وليس يجوز أن يكون فيما أنزل الله من الألفاظ التى تختلف معانيها ما يجرى اختلافها مجرى التضاد والتناقض ، لكن مجرى التغير الذى لا تضاد فيه . ثم إنها تتجه على وجوه ، فمنها : أن يختلف بها الحكم الشرعى على المبادلة بمنزلة ما قرئ قوله تعالى : (س ٦٥) « وَأَرْجُلَكُمْ » بالنصب والكسر جميعاً . وإحدى القراءتين تقتضى فرض المسح والأخرى فرض الغسل . وقد بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف فى وقته ، والغسل لحاسر الرجل .

(١) فى الأصل : والأحرف أنه

وروى عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس ، وعن علي بن أبي طالب جميعاً قالاً : من قرأ «وَأَرْجُلَكُمْ» يرى المسح واجباً . ومن قرأ «وَأَرْجُلَكُمْ» يرى الغسل واجباً ، وجميعاً قالوا يستقيم كلاهما ، لأنهما قالوا : رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هكذا . وهكذا . وهذا الضرب هو الذى لا تجوز القراءة به إلا إذا تواتر نقله ، وثبت من الشارع بيانه ، وليس يُعذر من زلّ فى مثله عما هو المنزل حتى يراجع الصواب ، ويفزع إلى الاستغفار ، وقد يكون ما يختلف فيه الحكم على غير المبادلة لكن على الجمع بين الأمرين ، كقوله : (س ٢٢٢ آ ٢) «وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ» من الطهر ، «وَحَتَّى يَطْهَرْنَ» مشددة الطاء من التطهر^(١) ، فإن القراءتين تقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما . وذلك أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها ، وحتى تطهر بالاعتسال . ومثله قوله تعالى : (س ٤٩ آ ٦) «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» . وقوله تعالى : (س ٩٤ آ ٩) «إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا» . وقرئت «فتبثوا»^(٢) وكلاهما واجبان ، التبين والتثبت جميعاً لا يجوز ترك واحد منهما . ومثله : قوله تعالى : (س ١٩١ آ ٢) «وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» . وقرئ «وَلَا تَقْتُلُوهُمْ»^(٣) ، وكلا الأمرين كان محظوراً قتلهم عند المسجد وقتالهم إلا أن يبدووا بالقتال . ولا تجوز القراءة فى أمثال هذه إلا بالنقل الظاهر ، ومن زلّ فى مثله إلى ما يقتضى أمراً قد علم ثبوته ولم يفرط فيه لم يلزمه فيه حرج (ويكون) بمنزلة أن تصحف قوله^(٤) : (س ٣٢ آ ١٧) «وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا» ، وتقرؤها بالراء والباء من الربا فى المال ، وهو منهى عنه كمثّل الزنى ، أو زل من قوله :

(١) انظر التيسير ص ٨٠ .

(٢) انظر التيسير ص ٩٧ .

(٣) انظر التيسير ص ٨٠ .

(٤) فى الأصل بمنزلة قوله

(س ٢ آ ١٩٥) « وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » إلى أن يقرأ : « وَأَتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ »
 فجعل النون تاء من الموافقة ، ومعلوم أن الموافقة واجبة في سبيل الله ، كما أن إنفاق
 المال فيها واجب . فإن كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم
 على ذلك ، وكذلك إن كان ذلك لتفريظه في كتاب الله تعالى ، وإعراضه عنه لشغله
 بطلب الدنيا ، فإنه في حرج إذ ذاك فيما يزل به عن ظاهر التلاوة ، وإنما صرف
 الحرج عن كان ذلك منه على سبيل السهو ، أو كان شغله العائق له عن مراعاة القراءة
 جهاد في سبيل الله ، أو طلب العلم ، أو نحو ذلك . وقد راعى منها مالا بدَّ له
 منها . وقد روى عن الحسن أنه قال : أنزل القرآن لنعمل به ، فاتخذ الناس تلاوته
 عملاً . وقد تختلف معنى القرائتين في الخبر ، أو في الخبر والأمر نحو قول الله تعالى :
 (س ١٢ آ ٤٥) « وَأَدَّ كَرَّ بَعْدَ أُمَّةٍ » . معناه بعد مدة . وقرأ ابن عباس « بعد
 أُمَّة » ، معناه بعد نسيان^(١) . و (س ٢ آ ٢٥٩) « وَكَيْفَ نُنْشِرُهَا » . بالراء
 وبالزاي . والراء تقتضي الأحياء ، والزاي التحريك . وقراءة العامة (س ٢٦ آ
 ٦٤) « وَأَزْلَفْنَا » بالفاء ، ومن قرأ بالقاف بمعنى أهلكتنا^(٣) فإن أراد قربنا وأديننا
 فليس بينهما فرق .

وقوله : (س ٢٤ آ ١٥) « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ » من التلقى أى :
 تقولونه وتقبلونه . وقرأت عائشة رضي الله عنها : « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ » من الوَلَقِ وهو
 الكذب^(٤) . وهذا اختلاف في الجَدِّ ، ولكن المعنيان جميعاً قد ثبت صحتهما لأن
 صاحب السجن الذي نجا ذكر أمر يوسف بعد مدة وذكره بعد نسيان . وكذلك

(١) انظر الاتحاف للبناء ص ١٦٠

(٢) انظر التيسير ص ٨٢

(٣) هي قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب : انظر Materials ص ٦٨ و ١٥١

(٤) انظر Materials ص ٣٤٧ :

قد حرك الله العظام وأحيائها يصح المعنيان جميعاً . والخائضون في أمر عائشة رضي الله عنها قد تلقوه بالقول والقبول وهو كذب . فأنزل الله تعالى بالمعنيين في عرضين . ومثله قوله تعالى : (١٩٣٤ آ) « بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا » على الخبر عن دعائهم ، و « بَاعِدْ » ^(١) على الخبر عن أخبارهم بذلك فإنهم دعوا الله أن يفرقهم في البلاد . فلما فرقهم وباعد بين أسفارهم ، قالو « رَبُّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا » وأجاب دعوتنا . أخبر الله تعالى عنهم بالمعنيين في عرضين .

وكذلك قوله : (س ٢٣٤ آ) « فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ » بالزاي وبالعين ، و « فُرِغَ » ^(٢) بالراء والغين معجمة .

وقوله : (س ٣١٢ آ) « وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَتَكًا » و « مَتَكًا » ^(٣) ونحو ذلك . ومن ذلك قوله تعالى : (س ١٢٥ آ) « وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » على الأمر ^(٤) . وقرئ « وَأَتَّخِذُوا » على الخبر ، وكلاهما صحيح لأنهم أمروا بذلك وفعلوه ، فأنزل الله تعالى ذلك على الوجهين جميعاً في عرضين .

وقد يكون الاختلاف بأن يزيد أحدهما في بيان المراد على الآخر ، نحو قوله : (س ٢٣١ آ) « وَقَضَىٰ رَبُّكَ » ، وفي قراءة ابن مسعود : « وَوَصَّىٰ رَبُّكَ » ^(٥) والتوصية أوضح في الدلالة على المراد من الآية ، إذا القضاء مشترك بين التوصية وغيرها . وكذلك قوله تعالى : (س ١٩٦ آ) « فَصَيَّامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ » ، وفي قراءة ابن مسعود « ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُّتَتَابِعَاتٍ » ^(٦) ففيه زيادة البيان .

(١) انظر الاتحاف ص ٢٢١

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر الاتحاف ص ١٦٠ .

(٤) الاتحاف ص ٨٩

(٥) انظر Materials ص ٥٤

(٦) هي قراءة أبي بن كعب انظر Materials ص ١٢٠ .

وكذلك من قرأ: (س ٢٠ آ ١٥) « أَكَادُ أَخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أَظْهَرُكُمْ عَلَيْهَا »^(١) وسبيل من تعمد في أمثال هذه بخلاف ما نزل به القرآن ، وقد عرف صحة ما خرج إليه أو سها فيه فزلّ على ما اعلمتكم قبل هذا .
فأما تضاد المعاني وتنافيها فليس بوجوده في كتاب الله تعالى ، وقراءة القرآن ، إلا ما كان من ناسخ ومنسوخ ، وذلك ليس بمتضاد في المعنى ، وإن ظنّ به (ذلك) من لا يعرف حقيقة النسخ من قبل أن الأمر المنسوخ إنما كان في علم الله وإزادته إلى أجل معلوم ، ولم يكشف عنه عند مبدأ الأمر .

ثم لما أن تناهت مدة الأمر ، وحل الأجل أبان عن تناهيها ، وكشف عن حكمه . وذلك : بمنزلة أن يأمر الطبيب مريضاً بلزوم ضرب من الطعام الذي يراه أوفق به ولم يبين له الأجل ، حتى إذا تغيرت حال المريض وعلم الطبيب أن غير ذلك الطعام أوفق به نهاه عنه وأمره بغيره ، وليس في ذلك تضاد . ألا ترى أنه عز وجل لو أبان في أول الأمر عن الأجل والأمر المعاقب له فقال : استقبلوا بيت المقدس بصلواتكم إلى تمام ثمانية عشر شهراً ، ثم لولا وجوهكم شطر المسجد الحرام لم يكن فيه تناقض ولا تضاد . وهذا القدر كاف في هذا وبالله التوفيق .

(١) هذه هي أيضاً قراءة أبي بن كعب . انظر Materials ص ١٤٦ .

الفصل العاشر

في ذكر تنزيل الكتب ، وأجزاء القرآن

وعدد الآيات والكلمات والحروف

وَلَمَّا أَوْضَحْنَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، بِمَا يَغْنَى عَنْ
الإعادة والإطناب ، صرنا إلى ذكر تنزيل الكتب ، وأجزاء القرآن ، وعدد
الآيات والكلمات إذ هو آخر الأبواب ، فنقول :

روى عن مالك بن سليمان ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن قتادة قال : أنزلت
صحف إبراهيم لثلاث ليالٍ من رمضان ، وأنزلت التوراة لست ليالٍ مضين من
رمضان ، وأنزل الإنجيل لثمان عشر ليلةً من رمضان ، وأنزل الفرقان لأربع
وعشرين من رمضان .

قال إبراهيم : سمعت قتادة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُعْطِيَتْ
السَّبْعُ الطُّوَلُ : مكان التوراة ، والمائتين : مكان الإنجيل ، والمئتان : مكان الزبور ،
وفضلتُ بالمفصل .

وعنهم عن مالك ، عن معمر بن الحسن ، عن أبان ، عن محمد بن أبي العالية ،
عن أبي الجلد قال : نزلت صحف إبراهيم في أول ليلةٍ من رمضان ، وذكر نزول
التوراة ، والزبور ، والإنجيل ، والقرآن على نحو ما قال قتادة .
وأما ذكر أجزاء القرآن ، فقد ذكرها الشيخ الأجل أبو سهل الأنباري رضي الله
عنه في كتابه .

فأما الانصاف ، فإنه روى عن الحسين بن أحمد الزعفراني قال : أخبرنا محمد
بن خالد البزاز . قال : أخبرنا أحمد بن محمد من ولد القاسم بن أبي بزة قال :
حدثني أبي ، عن حميد بن عمرو قال : هذا حساب حميد الأعرج : النصف الأول

ينتهي إلى بعض خمس وستين آية من سورة الكهف حيث قال : « إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ » ^(١) وهو الربع الثاني ، والسادس الثالث ، والثلث الرابع ، والعشر الخامس ، وصارت « مَعِيَ صَبْرًا » من النصف الثاني إلى آخر القرآن .

وأما الأثلاث : فإن الثلث الأول ، ينتهي إلى بعض إحدى وتسعين آية من سورة براءة عند قوله تعالى : « وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ » ^(٢) إلا حرفاً واحداً ، وهو الباء من « سَيُصِيبُ » وهو السادس الثاني ، والسبع الثالث ، وصارت الباء في الثلث الثاني ؟ والثلث الثاني ، ينتهي إلى بعض ست وأربعين آية من سورة العنكبوت عند قوله : « وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا » ^(٣) وهو السادس الرابع ، والسبع السادس ، وصارت « الَّذِينَ ظَلَمُوا » من الثلث الآخر . والثلث الآخر إلى آخر القرآن .

وروى يوسف بن موسى قال : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا يزيد بن النضر ، عن شهاب بن شريعة ، عن الحناني في الأثلاث ، الثلث الأول هذه الآية : « وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ » إلى قوله « جَهَنَّمَ » ^(٤) .

وفيا يروى محمد بن يحيى عن عبد الملك ، عن محبوب ، عن شهاب ، ومطهر عن الحناني رأس مائة من براءة (س ٩) ، والثاني : رأس هذه الآية من طسم القصص « أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا » إلى قوله « أَفَلَا تَسْمَعُونَ » ^(٥) . أو مائة وإحدى (عشرة) من طسم الشعراء (س ٢٦) ، والآخر ما بقي .

وأما الأربع : فإن الربع الأول ينتهي إلى آخر حرف من أول آية من

(١) س ١٨ آ ٦٧ في مصحفنا .

(٢) س ٩ آ ٩٠ و مصحفنا .

(٣) س ٢٩ آ ٤٦ في مصحفنا .

(٤) س ٩ آ ٦٨ في مصحفنا .

(٥) س ٢٨ آ ٧١ في مصحفنا .

سورة الأعراف عند قوله : (س ٢٧ آ ٢) « لَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ » ، وهو الثمن الثاني ، وصارت « أَتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ » من الربع الثاني . والربع الثاني : ينتهى إلى بعض خمس وستين آية من سورة الكهف عند قوله : (س ١٨ آ ٦٧) : « إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ » ، وصارت « مَعِيَ صَبْرًا » من الربع الثالث . والربع الثالث : ينتهى إلى بعض مائة وثمان وأربعين آية من سورة والصفات عند قوله : (س ٣٧ آ ١٤٨) « فَأَمِنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ » ، وهو الثمن السادس ، وصارت « إِلَى حِينٍ » من الربع الرابع ، والربع الرابع : إلى آخر القرآن .

وفى رواية الحماني : الربع الأول : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام^(١) . والثاني : فى الكهف : (س ١٨ آ ١٩) « وَلِيَتَلَطَّفَ » ، والثالث : خاتمة يس (س ٣٦ آ ٨٣) . وفى رواية عبد الملك خاتمة الزمر (س ٣٩ آ ٧٥) . والرابع : ما بقى .

وأما الأخماس ، فإن الخمس الأول : ينتهى إلى بعض اثنتين وثمانين آية من سورة المائدة عند قوله : (س ٥ آ ٨٠) « لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » ، وهو العشر الثاني ، وصارت « وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ » من الخمس الثاني . والخمس الثاني : ينتهى إلى بعض ث وأربعين آية من سورة يوسف عند قوله : (س ١٢ آ ٤٦) « لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ » ، وهو العشر الرابع ، وصارت « لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ » من الخمس الثالث . والخمس الثالث : ينتهى إلى بعض إحدى وعشرين آية من سورة الفرقان عند قوله : (س ٢٥ آ ٢١) « لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا » ، وهو العشر السادس ، وصارت « لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ » من الخمس الرابع . والخمس الرابع : ينتهى إلى بعض خمس وأربعين آية من سورة حم السجدة عند قوله : (س ٤١ آ ٤٦) « مَنْ عَمِلَ

(١) أى من أول الفاتحة إلى س ١٦٥ آ ١٦٥ .

صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ « ، وهو العشر الثامن ، وصارت « أَسَاءَ فَعَلَيْهَا » من الخمس الآخر . والخمس الخامس آخر القرآن .

وفي رواية الحماني : الخمس الأول : إلى عشر ومائة من المائدة (س ١٠٧٥) « وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذْنُ لِمَنِ الظَّالِمِينَ » . والثاني : إلى تسعين من يوسف : (س ٩٠١٢) « إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ^(١) » . والثالث : السجدة من سورة الفرقان (س ٦٥٢٥) . والرابع : إلى عشر آيات من عسق (س ١٢٤٢) « بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » . والخمس : ما بقى .

وأما الأسداس : فالسدس الأول ينتهى إلى بعض إحدى وأربعين ومائة آية من سورة النساء عند قوله : (س ١٤٢٤) « وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا » وصارت « كُسَالَى » من السدس الثانى . والسدس الثانى : ينتهى إلى بعض إحدى وتسعين آية من سورة براءة عند قوله : (س ٩٠٩) « وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ » إلا حرفاً واحداً ، وهو الباء الذى فى آخر « سَيُصِيبُ » ، وهو الثلث الأول ، وصارت الباء من السدس الثالث . والسدس الثالث : إلى بعض خمس وأربعين آية فى سورة العنكبوت عند قوله : (س ٤٦٢٩) « وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا » وهو الثلث الثانى ، وصارت « الَّذِينَ ظَلَمُوا » من السدس الخامس ^(٢) . والسدس الخامس : ينتهى إلى بعض أربع وثلاثين آية من سورة حم الجاثية عند قوله : (س ٤٥٥٣٥) « فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا » ، وصارت « وَلَا هُمْ » من السادس . والسدس السادس : إلى آخر القرآن .

وفي رواية الحماني السدس الأول : من البقرة إلى خاتمة النساء (س ٤١٧٦) . والثانى : خاتمة براءة (س ١٢٩٩) . والثالث : خاتمة الكهف

(١) وفى مصحفنا : فإن الله لا يضيع أجر المحسنين .

(٢) فقد من الأصل ذكر السدس الرابع .

(س ١١٠ آ ١٨) . والرابع : خاتمة العنكبوت (س ٢٩ آ ٦٩) . والخامس : خاتمة الأحقاف . (س ٣٥ آ ٤٦) ، والسادس : ما بقي .

وأما الأسبَاعُ وأنصافها : فالسبع الأولُ : ينتهى إلى بعضِ ستِّ وخمسين آية من سورة النساء عند قوله : (س ٤ آ ٥٧) « لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ » ، وَصَارَتْ « وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا » من السبع الثانى .

والسبع الثانى : ينتهى إلى بعض سبع وستين ومائة آية من سورة الأعراف عند قوله : (س ١٦٧ آ ٧) « مَنْ يَسْؤُهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعٌ » ، وصارت « أَلْعِقَابِ » من السبع الثالث .

والسبع الثالث : ينتهى إلى بعض أربع وعشرين آية من سورة إبراهيم عند قوله : (س ١٤ آ ٢٢) « وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ » ، وصارت الميم والكاف اللتان فى « عليكم » من السبع الرابع .

والسبع الرابع : ينتهى إلى بعض تسع وأربعين آية من سورة المؤمنين عند قوله : (س ٢٣ آ ٤٩) « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ » ، وصارت « لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ » من السبع الخامس .

والسبع الخامس : ينتهى إلى بعض ثمانى عشرة آية من سورة سبأ عند قوله : (س ٣٤ آ ١٨) « قُرْئى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا » ، وصارت النون والألف اللتان فى « قَدَّرْنَا » من السبع السادس .

والسبع السادس : ينتهى عند آخر حرف من الآية الثانية من أول سورة الحجرات عند قوله : (س ٢٤ آ ٢) « وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » ، وصارت « إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ » من السبع الآخر ، والسبع الآخر إلى آخر القرآن .

وعن محمد بن يحيى قال : حدثنا الحجاج بن منهال قال : حدثنا همام ، عن قتادة ، قال : السبع الأول : ينتهى إلى قوله : (س ٤ آ ٧٦) « إِنَّ كَيْدَ

الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا . والثاني : في الأنفال إلى قوله : (س ٣٦٨)
 « إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ » . والثالث : في الحجر (س ٤٩١٥) « نَبِيُّ
 عِبَادِي » إلى « الْأَلِيمُ » . والرابع : خاتمة المؤمنين (س ١١٨٢٣) .
 والخامس : خاتمة سبأ (س ٥٤٣٤) . والسادس : خاتمة الحجرات (س ٤٩
 ١٨) . والسابع ما بقي .

وأما الأسباعُ المعروفة عندنا على تأليف أهل الكوفة : فأول سبع : من أول
 فاتحة القرآن إلى قوله : (س ٦١٤) « صُدُودًا » . والمنصف قوله : (س ٢
 ٢٦٦) « فَأَحْتَرَقَتْ » إلى قوله : « تَتَفَكَّرُونَ » . والسبع الثاني : إلى قوله :
 (س ١٧٠٧) « إِنَّا لَا نَضِيعُ أُجْرَ الْمُصْلِحِينَ » . والمنصف : قوله : (س ٦
 ١٢٢) « الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » . والسبع الثالث :
 قوله : (س ٢٥١٤) « وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » ،
 والمنصف قوله : (س ٦٠١٠) « إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ » . والسبع الرابع : إلى قوله : (س ٥٥٢٣) « مِنْ
 مَّالٍ وَبَنِينَ » من المؤمنين ، والمنصف : قوله : (س ٧٤١٨) « لَقَدْ جِئْتَ
 شَيْئًا نُّكَرًا » من سورة الكهف . والسبع الخامس : إلى قوله : (س ٢٠٣٤)
 « فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » . والمنصف قوله : (س ٢١٢٨) « نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ » من القصص . والسادس : إلى خاتمة سورة الفتح (س ٢٩٤٨) .
 والمنصف : قوله : (س ٤٠٤٠) « بَغْيٍ حِسَابٍ » من سورة المؤمن .
 والسابع : إلى آخر القرآن . والمنصف خاتمة التغابن (س ١٨٦٤) .

وفيا أخبرنا الشيخ محمد بن الهيصم رضى الله عنه ، قال : أخبرنا أبو النصر محمد
 ابن علي قال : أخبرنا الشيخ الأجل أبو سهل الأنماري رضى الله عنه قال : أخبرنا
 يوسف بن موسى ، قال : حدثنا محمد بن يحيى القطعي ، قال : حدثنا يزيد بن النصر

المجاشعي ، قال : حدثنا شهاب بن شريفة ، عن راشد أبي محمد الحماني في الأسباع
قال : السبع الأول : البقرة ، وآل عمران إلى هذه الآية من سورة النساء : (س
٤ آ ٥٦) « كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا » إلى « حَكِيمًا » . والسبع
الثاني : إلى هذه الآية من الأعراف (س ١٤٧ آ ١٤٧) « حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ »
إلى « يَعْمَلُونَ » . والثالث : إلى هذه الآية من الرعد (س ٣٥ آ ١٣) « تِلْكَ
عُقَبِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقَبِي الْكَافِرِينَ النَّارُ » . والرابع : إلى هذه الآية من
الحج : (س ٦٧ آ ٢٢) « وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا » إلى « مُسْتَقِيمٌ » .
والخامس : إلى هذه الآية من الأحزاب (س ٣٦ آ ٣٣) : « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ » إلى « مُبِينًا » . والسادس : إلى هذه الآية من الفتح : (س ٤٨ آ
٦) « الْفَظَّانِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوَاءِ » إلى قوله « مَصِيرًا » . والسابع : آخر القرآن .
وعن عبد الملك بن عبد الرحمن قال : حدثنا محبوب ، عن شهاب بن شريفة ، عن
الحماني ، ومحمد بن مطهر بن خالد الربعي ، عن الحماني : السبع الأول : (س ٥٥ آ ٥٥)
« وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ » في الدال . والثاني : (س ١٤٧ آ ١٤٧) « حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ » في التاء . والثالث : (س ٣٥ آ ١٣) « أَكُلُّهَا دَائِمٌ » ، في ألف
« أَكُلُّهَا » . والرابع : (س ٦٧ آ ٢٢) « جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَا » في الألف^(١) .
والخامس : (س ٣٦ آ ٣٣) « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ » في الهاء^(٢) .
والسادس : (س ٤٨ آ ٦) « ظَنُّ السَّوَاءِ » في الواو . والسابع : آخر القرآن .

وأما الأثمان : فإن الثمن الأول ينتهي إلى بعض مائة وخمس وتسعين آية من
سورة آل عمران عند قوله : (س ١٩٧ آ ٣) « متاع قليل ثم ما » ، وصارت
الواو ، والياء ، والهاء ، والميم التي في « مَاوِيَهُمْ » من الثمن الثاني . والثمن الثاني :
ينتهي إلى آخر حرف من أول مائة ، من سورة الأعراف عند قوله : (س ٢٧ آ ٢٧)

(١) اي ألف ناسكوه .

(٢) وهي تاء مؤمنة

« لَتَنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ » ، وهو الربع الأول ، وصارت « أَتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ » من الثمن الثالث . والثمن الثالث : ينتهى إلى بعض تسع وثلاثين آية من سورة هود عند قوله : (س ١١ آ ٤٠) « حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ » . وصارت « قُلْنَا أَهْلُ » من الثمن الرابع . والثمن الرابع : ينتهى إلى بعض خمس وستين آية من سورة الكهف عند قوله : (س ١٨ آ ٦٧) « إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ » وهو النصف ، وصارت « مَعِيَ صَبْرًا » من الثمن الخامس . والثمن الخامس : ينتهى إلى آخر حرف من آخر آية من طسم الشعراء عند قوله : (س ٢٦ آ ٢٢٧) « أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » ، وصارت أول طس النمل (س ٢٧) من الثمن السادس . والثمن السادس : ينتهى إلى بعض مائة وثمان وأربعين آية من سورة الصافات عند قوله : (١٤٨ آ ٣٧) « فَأَمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ » وهو الربع الثالث ، وصارت « إِلَى حِينٍ » من الثمن السابع . والثمن السابع ينتهى إلى آخر حرف من أول عشر ، من أول سورة النجم عند قوله : (س ٥٣ آ ١٠) « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى » ، وصارت « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ » من الثمن الثامن ، والثمن الثامن : إلى آخر القرآن .

وفى رواية إبراهيم التيمي : الثمن الأول : من أول البقرة إلى قوله من النساء (س ٤ آ ٢٠) « وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدِلَ زَوْجَ مَكَانَ زَوْجٍ » . والثاني : (س ٧ آ ٥٠) « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَهْمَا عَلَى الْكَافِرِينَ » من الأعراف . والثالث : (س ١١ آ ٧٨) « وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ » فى هود . والرابع : (س ١٨ آ ٩٤) « نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا »^(١) من سورة الكهف . والخامس : فى النمل (س ٢٧ آ ١٣) « قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ » . والسادس : (س ٣٨ آ ٢٣)

(١) فى مصحفنا ، خرجاً ، ولكنه فى بعض المصاحف ، خرجاً ، : انظر

« وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ » في ص . والسابع : (١٨٥٤) « كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ » في اقتربت . والثامن : مابق .

وأما الاتساع . فالتسع الأول ينتهى إلى بعض مائة وثلاث وأربعين آية من سورة آل عمران عند قوله : (س ١٤٣٣) « تَمَنُّونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَ » ، وصارت النون والتاء والميم في « وَأَنْتُمْ » من التسع الثانى . والتسع الثانى : ينتهى إلى بعض أربع وخمسين آية من سورة الأنعام عند قوله : (س ٥٣٦) « لِيَقُولُوا أَهْؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا » ، وصارت « أَلَيْسَ اللَّهُ » من التسع الثالث . والتسع الثالث : ينتهى إلى بعض إحدى وتسعين آية من سورة براءة عند قوله : (س ٩٠٩) « وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ » إلا حرفاً واحداً وهو الباء التى فى آخر « سَيُصِيبُ » ، وهو الثالث الأول ، وصارت الباء من التسع الرابع . والتسع الرابع : ينتهى إلى بعض إحدى عشرة آية من سورة النحل عند قوله : (س ١١٦) « يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ إِنَّ فِي » ، وصارت « ذَلِكَ لآيَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » من التسع الخامس . والتسع الخامس : ينتهى إلى بعض ثمان وعشرين آية من سورة الحج عند قوله : (س ٣٠٢) « فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحْلَتْ لَكُمْ الْأُ » ، وصارت النون ، والعين ، والألف ، والميم فى « الْأَنْعَامُ » من التسع السادس . والتسع السادس : ينتهى إلى بعض ست وأربعين آية من سورة العنكبوت عند قوله : (س ٤٦٢٩) « وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِاتِّبَاعِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا » وهو الثالث الثانى ، والسدس الرابع ، وصارت « الَّذِينَ ظَلَمُوا » من التسع السابع ، والتسع السابع : ينتهى إلى بعض آيات من سورة حم المؤمن عند قوله : (س ١٠٤٠) « يَنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ » ، وصارت « أَنْفُسَكُمْ » من التسع الثامن . والتسع الثامن : ينتهى إلى بعض سبع عشرة آية من أول الواقعة عند قوله : (س ٥٦١٣ و ١٤)

« ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ عَلَى » ، وصارت « سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ »
من التسع الأخير . والتسع الأخير إلى آخر القرآن .

وعن الحمانى التسع الأول : (س ١٦٧ آ ٣) « وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ »
في آل عمران . والثاني : في الأنعام (س ٩٥ آ ٦) « فَالِقُ الْإِصْبِ وَالنَّوَى » .
والثالث : في براءة (س ١٢٢ آ ٩) « لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » . والرابع : في النحل
(س ٣٦ آ ١٦) « عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ » ، والخامس : في الحج (س ٣٣ آ ٢٢)
« إِلَى الْبَيْتِ الْأَعْتَقِ » . والسادس : في العنكبوت (س ٦٢ آ ٢٩) « وَيَقْدِرُ
لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » والسابع : في حم المؤمن (س ٢٩ آ ٤٠)
« إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ » . والثامن : في الواقعة (س ٨٩ آ ٥٦) « فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ
وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ » . والتاسع : ما بقي .

وأما الأعشار . فإن العشر الأول : ينتهى إلى بعض إحدى وتسعين آية من
سورة آل عمران عند قوله : (س ٩٢ آ ٣) « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا » ،
وصار « تُحِبُّونَ » من العشر الثاني . والعشر الثاني : ينتهى إلى بعض أثنين وثمانين
آية من المائدة عند قوله : (س ٨٠ آ ٥) « لَبِسًا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ
سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » ، وهو الخمس الأول ، وصارت « فِي الْعَذَابِ » من العشر
الثالث . والعشر الثالث : ينتهى إلى آخر حرف من أثنين وثلاثين آية من سورة
الأنفال عند قوله : (س ٣٢ آ ٨) « فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا » إلى « أَلِيمٌ » ،
وصارت « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ » من العشر الرابع ، والعشر الرابع : ينتهى
إلى بعض ست وأربعين آية من يوسف عند قوله تعالى : (س ٤٦ آ ١٢) « أَرْجِعْ
إِلَى النَّاسِ » ، وصارت « لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ » من العشر الخامس . والعشر الخامس :
ينتهى إلى بعض خمس وستين آية من الكهف عند قوله : (س ٦٧ آ ١٨) « إِنَّكَ لَنْ
تَسْتَطِيعَ » ، وهو النصف الأول ، والرابع الثاني ، والسادس الثالث ، والثلث الرابع ،

وصارت « مَعِيَ صَبْرًا » من العشر السادس . والعشر السادس : ينتهى إلى بعض إحدى وعشرين آية من الفرقان عند قوله : (س ٢٥ آ ٢١) « أَوْ نَرَى رَبَّنَا » وهو الخمس الثالث ، وصارت « لَقَدْ أَسْتَكْبَرُوا » من العشر السابع . والعشر السابع : ينتهى إلى بعض إحدى وثلاثين آية من الأحزاب عند قوله : (س ٣٣ آ ٣١) « وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكِنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ » ، وصارت « صَالِحًا » من العشر الثامن . والعشر الثامن : ينتهى إلى بعض خمس وأربعين آية من حم السجدة عند قوله : (س ٤١ آ ٤٦) « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ » ، وهو الخمس الرابع ، وصارت « أَسَاءَ فَعَلِيَهَا » من العشر التاسع . والعشر التاسع : ينتهى إلى بعض خمس وعشرين آية من الحديد عند قوله : (س ٥٧ آ ٢٦) « وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا^(١) النَّبُوءَ وَالْكِتَابَ » ، وصارت « فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ » من العشر العاشر . والعشر العاشر إلى آخر القرآن .

وفى رواية الانمارى عن الحماني ، العشر الأول : من البقرة إلى قوله : (س ١١٠ آ ٣) « وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ » من آل عمران . والعشر الثاني : إلى قوله : (س ١٠٧ آ ٥) « إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ » من المائدة . والثالث : خاتمة الأنفال (س ٨ آ ٧٥) . والرابع : إلى قوله : (س ٩٠ آ ١٢) « إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ » إلى « الْمُحْسِنِينَ » من يوسف . والخامس : خاتمة الكهف (س ١٨ آ ١١٠) . والسادس : السجدة من الفرقان (٦٠ آ ٢٥) « وَزَادَهُمْ نُفُورًا » . والسابع : قوله : (س ٦٠ آ ٣٣) « ثُمَّ لَا يَجْأُرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا » من الأحزاب . والثامن : قوله : (س ١٢٤ آ ١٢) « بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » من عسق . والتاسع : خاتمة الحديد (س ٥٧ آ ٢٩) . والعاشر : آخر القرآن .

وأما الأنصاف فإنه روى عن الحسن بن أحمد الزعفراني قال : أخبرنا محمد بن خالد البزاز قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن ولد القاسم بن أبي بزة قال : حدثنا (١) في الأصل : فى ذريته .

أَبِي عَنْ حَمِيدِ بْنِ عَمْرِو قَالَ : هَذَا حِسَابُ حَمِيدِ الْأَعْرَجِ ، النِّصْفُ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ آيَةً مِنَ الْكَهْفِ حَيْثُ قَالَ : (س ١٨ آ ٦٧) « إِنَّكَ لَنَ تَسْتَطِيعَ » ، وَهُوَ الرَّبْعُ الثَّانِي ، وَالسُّدُسُ الثَّلَاثُ ، وَالثَّمَنُ الرَّابِعُ ، وَالْعَشْرُ الْخَامِسُ ، وَصَارَتْ « مَعِيَ صَبْرًا » مِنَ النِّصْفِ الثَّانِي إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ . فَهَذِهِ الْفُصُولُ (عَلَى) مَا حَسَبَ حَمِيدُ الْأَعْرَجِ إِلَّا مَا ذَكَرْتَهُ عَنْ الْحَمَانِيِّ . وَرَوَى عَنْ الْحَمَانِيِّ أَنَّ النِّصْفَ قَوْلُهُ فِي الْكَهْفِ (س ١٨ آ ١٩) « وَلَيَتَلَطَّفُ » فِي الْفَاءِ .

وَأَمَّا عَدَدُ الْآيِ : فَرَوَى عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ : آيَاتُ الْقُرْآنِ سِتَّةُ أَلْفٍ وَمِائَتَانِ وَثَمَانِي عَشْرَةَ آيَةً . وَحُرُوفُهَا ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفٍ حَرْفٍ وَسِتِّمِائَةِ حَرْفٍ وَتِسْعُونَ حَرْفًا . فَلَتَأْتِي الْقُرْآنَ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ . وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي عَدَدِ أَهْلِ مَكَّةَ سِتَّةَ أَلْفِ آيَةٍ وَمِائَتَا آيَةٍ وَعَشْرَ آيَاتٍ ، فِيمَا ذَكَرَهُ الزَّعْفَرَانِيُّ عَنْ عِكْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ . وَذَكَرَ مِثْلَهُ عَنْ مُجَاهِدٍ ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ : الْقُرْآنُ ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفٍ حَرْفٍ وَوَاحِدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ حَرْفٍ وَمِائَةٌ وَثَمَانِيَةٌ وَثَمَانُونَ حَرْفًا .

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ ، أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ سِتَّةُ أَلْفِ آيَةٍ وَمِائَتَا آيَةٍ وَأَرْبَعَةُ عَشْرَةَ آيَةً . وَعَنْ شَيْبَةَ بْنِ نَصَّاحٍ ، أَنَّهُ سِتَّةُ أَلْفِ آيَةٍ وَمِائَتَا آيَةٍ وَسَبْعُ عَشْرَةَ آيَةً وَكَلِمَاتُهُ : عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ أَلْفَ كَلِمَةٍ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَتِسْعٌ وَثَلَاثُونَ كَلِمَةً وَحُرُوفُهُ : ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفٍ حَرْفٍ وَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ حَرْفٍ وَخَمْسَةُ عَشْرَ حَرْفًا .

وَعَنْ أَبِي سَيْرِينَ ، الْقُرْآنُ سِتَّةُ أَلْفِ آيَةٍ وَمِائَتَانِ وَسِتُّ عَشْرَةَ آيَةً . وَعَنْ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ أَبِي الْمَعَانِيِّ الضَّرِيرِ قَالَ : عَدَدُ أَهْلِ الْكُوفَةِ سِتَّةَ أَلْفِ آيَةٍ وَمِائَتَا آيَةٍ وَسِتُّ وَثَلَاثُونَ آيَةً ، وَيَنْسَبُ عَدْدُهُمْ إِلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَعَدَدُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، سِتَّةَ آلَافٍ وَمِائَتَانِ وَأَرْبَعُ آيَاتٍ ، وَيُنْسَبُ عِدْدُهُمْ إِلَى عَاصِمِ الْجَحْدَرِيِّ . وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ يَزِيدَ بْنِ الْقَعْقَاعِ ، أَنَّهُ سِتَّةَ آلَافٍ وَمِائَتَانِ وَعَشْرَ آيَاتٍ .

وَفِي عِدْدِ أَهْلِ الشَّامِ ، سِتَّةَ آلَافٍ وَمِائَتَانِ وَسِتَّ وَعِشْرُونَ آيَةً ، وَيُنْسَبُ عِدْدُهُمْ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَبِي الْحَرِثِ الذَّمَارِيِّ .

وَعَنْ حَمِيدِ الْأَعْرَجِ قَالَ : جَمِيعُ آيِ الْقُرْآنِ سِتَّةَ آلَافٍ آيَةً وَمِائَتَا آيَةً وَاثْنَتَا عَشْرَةَ آيَةً . النِّصْفُ الْأَوَّلُ أَلْفَا آيَةً وَمِائَتَا آيَةً وَآيَتَانِ . وَالنِّصْفُ الثَّانِي أَرْبَعَةُ آلَافٍ آيَةً وَعَشْرَةَ آيَاتٍ . وَالثَّلَاثُ الْأَوَّلُ أَلْفُ آيَةٍ وَثَلَاثُمِائَةِ آيَةٍ وَثَلَاثَ وَعِشْرُونَ آيَةً . وَالثَّلَاثُ الثَّانِي أَلْفَا آيَةً وَأَرْبَعُ وَخَمْسُونَ آيَةً . وَالثَّلَاثُ الثَّالِثُ أَلْفَا آيَةً وَثَمَانِ مِائَةِ آيَةٍ وَخَمْسَ وَثَلَاثُونَ آيَةً . وَالرَّبْعُ الْأَوَّلُ تِسْعِمِائَةِ وَخَمْسُونَ آيَةً ، وَالرَّبْعُ الثَّانِي أَلْفُ آيَةٍ وَمِائَتَا آيَةً وَاثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً . وَالرَّبْعُ الثَّالِثُ أَلْفُ آيَةٍ وَسَبْعِمِائَةِ وَاحِدَى وَعِشْرُونَ آيَةً . وَالرَّبْعُ الرَّابِعُ أَلْفَا آيَةً وَمِائَتَا آيَةً وَثَمَانُونَ وَتِسْعَ آيَاتٍ . وَالْخَمْسُ الْأَوَّلُ : سَبْعِمِائَةِ وَاثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ آيَةً . وَالْخَمْسُ الثَّانِي : ثَمَانِ مِائَةِ وَسِتَّ وَتِسْعُونَ آيَةً . وَالْخَمْسُ الثَّالِثُ : أَلْفُ آيَةٍ وَمِائَتَا آيَةٍ وَثَمَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً . وَالْخَمْسُ الرَّابِعُ : أَلْفُ آيَةٍ وَثَلَاثَ مِائَةِ آيَةٍ وَتِسْعَ وَسَبْعُونَ آيَةً . وَالْخَمْسُ الْخَامِسُ : أَلْفُ آيَةٍ وَتِسْعِمِائَةِ وَسَبْعَ وَثَلَاثُونَ آيَةً .

وَالسُّدُسُ الْأَوَّلُ : سِتْمِائَةِ وَخَمْسَ وَعِشْرُونَ آيَةً . وَالسُّدُسُ الثَّانِي : سِتْمِائَةِ وَسَبْعَ وَتِسْعُونَ آيَةً . وَالسُّدُسُ الثَّالِثُ : ثَمَانِمِائَةِ وَثَمَانُونَ آيَةً . وَالسُّدُسُ الرَّابِعُ : أَلْفُ آيَةٍ وَمِائَةِ وَأَرْبَعَ وَسَبْعُونَ آيَةً . وَالسُّدُسُ الْخَامِسُ : أَلْفُ آيَةٍ وَمِائَةِ وَسِتَّ آيَاتٍ . وَالسُّدُسُ السَّادِسُ : أَلْفُ آيَةٍ وَسَبْعِمِائَةِ وَثَلَاثُونَ آيَةً .

وَالسَّبْعُ الْأَوَّلُ : خَمْسِمِائَةِ وَخَمْسُونَ آيَةً . وَالسَّبْعُ الثَّانِي : خَمْسِمِائَةِ وَخَمْسَ وَسَبْعُونَ آيَةً . وَالسَّبْعُ الثَّالِثُ : سِتْمِائَةِ وَأَرْبَعُ وَخَمْسُونَ آيَةً . وَالسَّبْعُ الرَّابِعُ : تِسْعِمِائَةِ وَأَرْبَعُونَ آيَةً . وَالسَّبْعُ الْخَامِسُ : تِسْعِمِائَةِ وَآيَتَانِ . وَالسَّبْعُ السَّادِسُ : تِسْعِمِائَةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ آيَةً .

آية . والسبع السابع : ألف آية وست مائة وتسع عشرة آية .

والثمن الأول : أربع مائة وثمانون آية . والثن الثاني : أربع مائة وإحدى وسبعون

آية . والثن الثالث : خمسمائة وسبع وخمسون آية . والثن الرابع : ستمائة وخمس

وتسعون آية . والثن الخامس : تسعمائة وخمس وأربعون آية . والثن السادس :

سبع مائة وست وسبعون آية . والثن السابع : ثمانمائة واثنان وأربعون آية .

والثن الثامن : ألف وأربع مائة وست وأربعون آية .

والتسع الأول : أربع مائة وثمان وعشرون آية . والتسع الثاني : أربع مائة وتسع

آيات . والتسع الثالث : أربع مائة وست وثمانون آية . والتسع الرابع : خمسمائة وثمان

وثمانون آية . والتسع الخامس : سبع مائة وأربع آيات . والتسع السادس : سبع مائة

واثنان وستون آية . والتسع السابع : سبع مائة وثمان وأربعون آية . والتسع الثامن :

ثمانمائة وتسع وثلاثون آية . والتسع التاسع : ألف آية ومائتا آية وثمان وأربعون آية .

والعشر الأول : ثلاثمائة وست وسبعون آية . والعشر الثاني : ثلاثمائة وست

وستون آية . والعشر الثالث : أربع مائة وست وأربعون آية . والعشر الرابع :

أربع مائة وخمسون آية . والعشر الخامس : خمسمائة وأربع وستون آية . والعشر

السادس : ستمائة وثلاث وستون آية . والعشر السابع : ستمائة وسبع وثمانون آية .

والعشر الثامن : ستمائة واثنان وتسعون آية . والعشر التاسع : ثمان مائة وثمان

وعشرون آية . والعشر العاشر : ألف ومائة وأربعون آية .

وأما أعداد الحروف والكلمات فذكر بعض العاديين أن عدد كلام القرءان

سبع وسبعون ألف كلمة وأربع مائة كلمة وست وثلاثون كلمة .

وعدد حروفه ثلاث مائة ألف حرف ، وعشرون ألف حرف ، ومائتان

واحد عشر حرفا .

وعدد ألفات القرآن : ثمانية وأربعون ألفاً وثمانمائة حرف .

وعدد الباء : أحد عشر ألفاً ومائتا حرف وحرف واحد .

- وعدد التاء : عشرة آلاف ومائة وتسعة وتسعون حرفاً .
وعدد الثاء : ألف ومائتان وستة وسبعون حرفاً .
وعدد الجيم : ثلاثة آلاف ومائتان وثلاثة وسبعون حرفاً .
وعدد الحاء : ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وتسعون حرفاً .
وعدد الخاء : ألفان وأربعمائة وستة عشر حرفاً .
وعدد الدال : خمسة آلاف وستمائة واثنان وأربعون حرفاً .
وعدد الذال : أربعة آلاف وستمائة وتسعة وتسعون حرفاً .
وعدد الزاء : أحد عشر ألفاً وسبعمائة وثلاثة وتسعون حرفاً .
وعدد الزاي : ألف وخمسمائة وسبعون حرفاً .
وعدد السين : خمسة آلاف وثمانمائة وأحد وتسعون حرفاً .
وعدد الشين ألفان ومائتان وثلاثة وخمسون حرفاً .
وعدد الصاد : ألفان وأحد وثمانون حرفاً .
وعدد الضاد : ألفان وستمائة وسبعة أحرف .
وعدد الطاء : ألف ومائتان وأربعة وسبعون حرفاً .
وعدد الظاء : ثمانمائة واثنان وأربعون حرفاً .
وعدد العين : تسعة آلاف وعشرون حرفاً .
وعدد الغين : ^(١) ومائتان وثمانية أحرف .
وعدد الفاء : ثمانية آلاف وأربعمائة وسبعة وتسعون حرفاً .
وعدد القاف : ستة آلاف وثمانمائة وثلاثة وعشرون حرفاً .
وعدد الكاف : عشرة آلاف وثلاث مائة وأربعة وخمسون حرفاً .
وعدد اللام : ثلاثة وثلاثون ألفاً وخمسمائة واثنان وعشرون حرفاً .

(١) بياض في الأصل وفي الكشكول للعامل ص ٢٠١ هو ٧٤٩٩ .

وعدد الميم : ستة وعشرون ألفاً ومائة وخمسة وثلاثون حرفاً .

وعدد الواو : خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة وستة وثلاثون حرفاً .

وعدد (الهاء) : تسعة عشر ألفاً وتسعون حرفاً .

وعدد (الياء) خمسة وعشرون ألفاً وتسعمائة وتسعة عشر حرفاً .

وذكر أن الحجاج بن يوسف جمع القراء^(١) والكتبة فعدوا له جميع آى القرآن وكلامه وحروفه فبلغ (آيه) ستة آلاف ومائتين وعشرين آية . وقيل : بل وجدّه ستة آلاف آية ومائتى آية وأربع آيات .

ووجدوا كلامه سبعاً وسبعين ألف كلمة وأربعمائة وأربعاً وثلاثين كلمة .

وحروفه ثلاثمائة ألف حرف وخمسة وعشرين ألفاً وائنين وسبعين حرفاً .

وعدد آيات كل سورة وكلامها وحروفها سورة سورة بما يطول ذكرها مفصلة . وليس كذلك من شرط هذا الكتاب .

فعرفت بما ذكرنا أنهم أجمعوا على أن القرآن هو هذا الذى جَزَّوه أثلاثاً وأرباعاً ، وأخماساً وعدوا آيه ، وكلماته وحروفه ، فمن خالفهم فقد خالف الجميع وكفاه بمخالفة الجميع خزيّاً ونكالاً ، وكفاك بما أوضحنا لك حجة واستدلالاً ، فاعرفه ، وبالله التوفيق .

(١) فى الأصل : جمع القرآن عدداً

مقدمة ابن عطية

لتفسيره المسمى

الجامع المحرر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الفقيه الإمام الحافظ القاضي أبو محمد عبد الحق بن الفقيه الحافظ أبي بكر ابن عطية رضي الله عنهما ورحمهما آمين :

الحمد لله الذي برأ النسم ، وأفاض النعم ، ومنح القسم ، وسنى ^(١) من توحيد وعبادته العصم ^(٢) ، ذى العزة القاهرة ، والقدرة الباهرة ، والآلاء المتظاهرة الذى أوجدنا بعد المدم ، وجعلنا من الخيار الوسط فى الأمم ، وخولنا عوارف لا تحصى ، وهادانا شرعة رمت بنا من رضوانه إلى الغرض الأقصى . أنزل إلينا القرآن العزيز ، وعد فيه وبشر ، وأوعد وحذر ، ونهى وأمر ، وأكمل فيه الدين ، وجعله الوسيلة الناجحة والحبل المتين ، ويسره للذكر ، وخلده غابر الدهر ، عصمة للمتعصمين . ونوراً صادعاً فى مشكلات المختصمين ، وحجة قائمة على العالم ، ودعوة شاملة لفرق بنى آدم ، كلامه الذى أعجز الفصحاء ، وأخرس البلغاء ، وشرف العلماء ، له الحمد دائماً ، والشكر واصباً ، لا إله إلا هو رب العرش العظيم . وأفضل الصلوات والتسليم على محمد رسوله الكريم ، صفوته من العباد ، وشفيع الخلائق فى المعاد ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، الناهض بأعباء الرسالة والتبليغ الأعصم ^(٣) والمخصوص بشرف السعاية فى الصلاح الأعظم ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة مستمرة الدوام ، جديدة على مر الليالى والأيام ، وبعد : أرشدنى الله وإياك ، فإنى لما رأيت العلوم فنوناً ، وحديث المعارف شجوناً وساكنت ، فإذا هى أودية وفى كل السلف مقامات حسان ، وأندية ، رأيت أن الوجه لمن تشرن للتحصيل ، وعزم على الوصول أن يأخذ من كل علم

(١) أى سهل .

(٢) المراد من العصم : الصعب .

(٣) أى التام .

طرفاً خياراً ، ولن يذوق النوم مع ذلك إلا غراراً ، ولن يرتقى هذا النجد ، ويبلغ هذا المجد حتى يمتطى مطايا الاجتهاد ، ويصل التاب بالأساد ، ويطعم الصبر ، ويكتحل بالسهاد ، تجريت في هذا المضمار صدر العمر طلقاً ، وأدمنت حتى تفسخت أينا وتصيبت عرقاً إلى أن ابتهجت بفضل الله عليّ ، وحزت من ذلك ما قسم الواهب لي ، ثم رأيت أن من الواجب على من اجتبي وتخبر في العلوم واجتبي ، أن يعتمد على علم من علوم الشرع ، يستنفد فيه غاية الوسع ، يحبب آفاقه ، ويتتبع أعماقه ، ويضبط أصوله ، ويحكم فصوله ، ويلخص ماهو منه ، أو يؤول إليه ، ويعنى بدفع الاعتراضات عليه حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحصن المشيد ، والذخر العتيق ، يستندون فيه إلى أقواله ، ويحتذون على مثاله .

فلما أردت أن اختار لنفسى ، وانظر في علم أعد أنواره لظلم رمسى ، حبرتها بالتنويع والتقسيم ، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم ، فوجدت أمتنها حبلاً ، وأرسخها جبلاً ، وأجملها آثاراً ، وأسطقها أنواراً علم كتاب الله جلت قدرته ، وتقدست أسماؤه ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، الذى استقل بالسنة والقرض ، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض ، هو العلم الذى جعل للشرع قواماً ، واستعمل سائر المعارف خداماً . منه تأخذ مبادئها ، وبه تعز نواحيها ، فما وافقه منها نصع ، وما خالفه رُفِض ودُفِع فهو عنصرها النмир ، وسراجها الوهاج ، وقرها المنير . وأيقنت أنه أعظم العلوم تقرباً إلى الله تعالى ، وتخليصاً للنيات ، ونهياً عن الباطل ، وحضاً على الصالحات ، إذ ليس من علوم الدنيا فيحل حامله من منازلها صيدا ، ويمشى في التطلب لها رويداً ورجوت أن الله تعالى يحرم على النار فكراً عَمَرَتْهُ أ كَثَر عمره معانيه ، ولساناً مَرِن على آياته ومثانيه ، ونفساً ميزت براءة وصفه ومبانيه ، وجالت سوامتها في ميادينه ومغانيه ، فَتَنِيَتُْ إليه عنان النظر ، وأقطعت جانب الفكر ، وجعلته فائدة العمر ، وما ونيت علم الله إلا عن ضرورة بحسب مايلم في هذه الدار من شغوب ،

ويمسُّ من لغوب ، أو بحسب تعاهدٍ يصيب من سائر المعارف ، فلما سلكت سبله بفضل الله ذللاً ، وبلغت من اطراد الفهم فيه أملاً ، رأيت أن نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ ، وتقذح وتسح لمن يروم تقييدها في فكره وتبرح ، وإنها قد أخذت بحظها من الثقل ، فهي تتقصى من الصدر تقصى الإبل من العقل . قال الله تعالى : (س ٧٣ آ ٥) « إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا » قال المفسرون : أى علم معانيه والعمل بها . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « قيدوا العلم بالكتاب » . ففرغت إلى تعليق ما ينتحل لى^(١) في المناظرة من علم التفسير ، وترتيب المعاني ، وقصدت فيه أن يكون جامعاً ، وجيزاً ، محرراً ، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به ، وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله تعالى من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز والغز ، وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم . فمتى وقع لأحد من العلماء الذين قد جاوزوا حسن الظن بهم لفظ ينحوا إلى شيء من أغراض الملحدین نهت عليه ، وسردتُ التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم ، أو نحو ، أو لغة ، أو معنى ، أو قراءة ، وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر كما في كثير من كتب المفسرين ، ورأيت أن تصنيف التفسير كما صنع المهدوى رحمه الله ، مفرق للنظر ، مشعب للفكر ، وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها ، واعتمدت تبين المعاني ، وجميع محتملات الألفاظ . كل ذلك بحسب جهدى ، وما انتهى إليه علمى ، وعلى غايته من الإيجاز وجدت فضول القول .

وأنا أسأل الله جلت قدرته أن يجعل ذلك كله لوجهه خالصاً ، وأن يبارك فيه ، وينفع به ، وأنا وإن كنت من المقصرين ، فقد ذكرت في هذا الكتاب

(١) يعنى ينسب إلى من قول غيرى .

كثيراً من علم التفسير ، وحملت خواطرى فيه على التعب الخطير ، وعمرت به زمنى ، واستفرغت فيه مِنِّتى ، إذ كتاب الله عز وجل لا يفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه ، وجعلته ثمرة وجودى ، ونخبة مجهودى ، فَلْيُسْتَصَوَّبَ للمرء اجتهاده ، وَلْيُنْذَرْ فى تقصير خطابه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولنقدم بين يدى القول فى التفسير أشياء قد قدم أكثرها المفسرون ، وأشياء ينبغى أن تكون راسخة فى حفظ الناظر فى هذا العلم مجتمعة لذهنه .

* * *

باب : ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة

ونبهاء العلماء فى فضل القرآن المجيد ، وصورة الاعتصام به

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قيل : فما النجاة منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو فصل ليس بالهزل ، من تركه تجبراً قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو جبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيع به الأهواء ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يملأه الأتقياء ، من علم علمه سبق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

قال أنس بن مالك فى تفسير قوله : (س ٢٥٦ آ ٢) « فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى » . قال : هى القرآن . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد علم الأولين والآخرين فليثق بالقرآن » . وقال عليه السلام : « اتلوا هذا القرآن فإن الله عز وجل يأجركم بالحرف منه عشرة حسنات ، أما إني لأقول الم حرف ، ولكن الألف حرف ، واللام حرف ، والميم حرف » .

وروى عن النبي عليه السلام أنه قال في آخر خطبة خطبها وهو مريض :
« يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين ، أنه لن تعمى أبصاركم ، ولن تضل قلوبكم ، ولن تزل أقدامكم ، ولن تقصر أيديكم ، كتاب الله يسبب بينكم وبينه طرفه بأيديكم فاعملوا بحكمه ^(١) ، وآمنوا بمتشابهه ، وأحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، ألا وعترتي وأهل بيتي هم النقل الآخر فلا تسبّوهم فتهلكوا .

وقيل لجعفر بن محمد الصادق : لم صار الشعر والخطب يُملّ ما أعيد منها ، والقرآن لا يُملّ ؟ فقال : لأن القرآن حجة على أهل الدهر الثاني كما هو حجة على أهل الدهر الأول ^(٢) . فكل طائفة تتلقاه غصّاً جديداً ، ولأن كل امرئ في نفسه متى أعاده وفكر فيه تلقى منه في كل مدة علوماً غضة ؛ وليس هذا كله في الشعر والخطب .

وقيل لحمد بن سعيد : ما هذا التريد للقصص في القرآن ؟ فقال : ليكون لمن قرأ ما تيسر منه حظ في الاعتبار .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظم الله » .

وقال عليه السلام : « مامن شفيع أفضل عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك »
وقال عليه السلام : « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن » :

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه .

وحدث أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من

(١) كذلك في الأصل والصواب : إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله بينكم وبينه ، طرفه بيده وطرفه بأيديكم ، بسببه لن تعمى أبصاركم . ولن تضل قلوبكم ، ولن تزل أقدامكم ، ولن تقصر أيديكم ، فاعملوا ...

(٢) يريد حجة لكل جيل وفي كل عصر .

قرأ مائة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ مائتي آية لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ ثلاث مائة آية لم يحاجه القرآن .

وروى ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أشرف أمتي حملة القرآن » .

وروى عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية : (س ٣٥ آ ٣٢) « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا » إلى آخر الآية . فقال : سابقكم سابق ، ومقتصدكم ناج ، وظالمكم مغفور له .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن أصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله » .

وروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « القرآن شافع مشفع ، وما حل مصدق ، ومن شفع له القرآن نجا ، ومن محل به القرآن يوم القيامة كبه الله لوجهه في النار ، وأحق من يتشفع له القرآن أهله وحملته ، وأولى من محل به القرآن من عدل عنه وضعه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الذي يتعاهد القرآن ^(١) ويشدد عليه له أجران ، والذي يقرأه وهو خفيف عليه يكون مع السفرة الكرام البررة » .

وقال ابن مسعود : مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا يارسول الله حدثنا : فأنزل الله تبارك وتعالى : (س ٣٩ آ ٢٣) « اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ » الآية . ثم ملوا ملة أخرى فقالوا : قص علينا يا رسول الله . فأنزل الله تعالى : (س ١٢ آ ٣) « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ » .

وروى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) أى يحفظه .

« أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ » .

وقال عبد الله بن مسعود : إن كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه . وإن أدب الله القرآن .

ومرَّ أعرابي على عبد الله بن مسعود وعنده قوم يقرؤون القرآن فقال : ما يصنع هؤلاء ؟ فقال له ابن مسعود : يفتسمون ميراث محمد صلى الله عليه وسلم .

ومرَّت امرأة على عيسى بن مريم عليه السلام فقالت : طوبى لبطن حملك ، ولثديين رضعتَ منهما . قال عيسى : طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبع ما فيه .

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى : (س ٣ آ ١٩٣) « إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ » قال : هو القرآن ليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى : (س ١٠ آ ٥٨) « قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ » قال : الإسلام والقرآن .

وقيل لعبد الله بن مسعود : إنك لتقل الصوم . فقال : إنه يشغلني عن قراءة القرآن ، وقراءة القرآن أحب إليَّ منه .

وقال قوم من الأنصار للنبي عليه السلام : ألم تر يارسول الله ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة يزهر فيها^(١) وحوّلها أمثال المصابيح ؟ فقال لهم : فلعله قرأ سورة البقرة . فسئل ثابت بن قيس فقال : نعم ، قرأت سورة البقرة .

وفي هذا المعنى حديث صحيح عن أسيد بن حضير في تنزل الملائكة في الظلمة لصوته بقراءة سورة البقرة . أخرجه البخاري .

وذكر أبو عمرو الداني ، عن علي بن الأثرم قال : كنت أتكلم في الكسائي وأقع فيه فرأيت في النوم وعليه ثياب بيض ووجهه كالقمر ، فقلت : يا أبا الحسن . ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر الله لي بالقرآن .

(١) يعني . يضيئ النار فيها .

وقال عتبة بن عامر : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال : « عليكم بالقرآن » .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : إن من أشراط الساعة أن يبسط القول ويحزن الفعل ، ويرفع الأشرار ، ويوضع الأخيار ، وأن تقرأ المثناة على رؤوس الناس لا تغير . قيل : وما المثناة ؟ قال : ما استُكْتِبَ من غير كتاب الله . قيل له : فكيف بما جاء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما أخذتموه ممن تأمنوه على نفسه ودينه فاعقلوه ، وعليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه أبناءكم فإنكم عنه تُسألون وبه تجزون ، وكفى به واعظاً لمن عقل .

وقال رجل لأبي الدرداء : إن إخواناً لك من أهل الكوفة يقرؤنك السلام ويأمرونك أن توصيهم . فقال : اقرئهم السلام ومُرهم فليعطوا القرآن عزائمهم ، فإنه يحملهم على القصد والسهولة . ويحنبهم الجور والحزونه .

وقال رجل لعبد الله بن مسعود أوصني . فقال : إذا سمعت الله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا » فارعها سَمْعَكَ فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه .

وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أحسن الناس قراءة أو صوتاً بالقرآن . فقال : الذي إذا سمعته أو رأيته تخشى الله تعالى .

وقال عليه السلام : اقرؤا القرآن قبل أن يحىء قوم يقيمونه كما يقام القدح ، ويضيعون معانيه يتعجلون أجره ولا يتأجلونه .

ويروى أن أهل اليمن لما قدموا أيام أبي بكر الصديق سمعوا القرآن فجعلوا يبكون . فقال أبو بكر : هكذا كنا ثم قست القلوب .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ مرة : (س ٥٢ آ ٧) « إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّالَهُ مِنْ دَافِعٍ » قال : إنه عيد منها عشرين يوماً .

وقال الحسن بن أبي الحسن : إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل ، وجعلتموها الليل جملاً تركبونه فتقطعون به المراحل ، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل إليهم

من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار .

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : أنزل عليهم القرآن ليعملوا به ، فاتخذوا درسه عملاً . إن أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به .

قال الفقيه الإمام القاضي أكرم الله : قال الله تعالى ، عز وجل : (س ١٧٥٤) «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» . وقال تعالى : (س ٥٧٣) «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» أى علم معانيه ، والعمل به ، والقيام بحقوقه ثقیل فمال الناس إلى الميسر وتركوا الثقیل وهو المطلوب منهم .

وقيل ليوסף بن إسباط : بأى شىء تدعوا إذا ختمت القرآن ؟ فقال : استغفر الله من تلاوتى ، لأنى إذا ختمته ثم تذكرت ما فيه من الأعمال خشيتُ المقت فاعدل إلى الاستغفار والتسبيح . وقرأ رجل القرآن على بعض العلماء قال : فلما ختمته أردت الرجوع من أوله فقال : اتخذت القراءة على عملاً اذهب فاقرأه على الله تعالى فى ليلك ، وانظر ماذا يفهمك منه فاعمل به .

باب : فى فضل تفسير القرآن ، والكلام على لغته

والنظر فى إعرابه ، ودقائق معانيه

روى ابن عباس أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أى علم القرآن أفضل ؟ . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : عرّيته فالتسوها فى الشعر . وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : أعربوا القرآن ، والتسوا إعرابه عن الله فإن الله تبارك وتعالى يحب أن يعرب .

قال المؤلف رضى الله عنه : إعراب القرآن أصلٌ فى الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التى هى الشرع .

وقال أبو العالية في تفسير قوله عز وجل : (س ٢٦٩ آ ٢٦) « وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا » . قال : الحكمة في القرآن .

وذكر علي بن أبي طالب رضى الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم . فقال له رجل : جعلت فداك تصف جابراً بالعلم وأنت أنت ؟ فقال : أنه كان يعرف تفسير قوله تعالى : (س ٢٨ آ ٨٥) « إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ » .

وقال الشعبي : رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية ، ف قيل له : إن الذى يفسرها رحل إلى الشام فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها .

وقال إياس بن معاوية : مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتدخلتهم روعة لا يدرون ما فى الكتاب . ومثل الذى يعرف التفسير كمثل رجال جاءهم المصباح وقرأوا ما فى الكتاب .

وقال ابن عباس : الذى يقرأ ولا يفسر كالأعرابى الذى يهذى بالشعر . وقال مجاهد : أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل .

وقال الحسن : والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيمن أنزلت وما يعنى بها .

وقال النبی علیه السلام : « لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً

كثيرة »

وقال الحسن : أهلكتهم العجمة يقرأ أحدهم الآية فيعنى بوجوهها حتى

يفترى على الله

وكان ابن عباس يبدأ فى مجلسه بالقرآن ، ثم بالتفسير ، ثم بالحديث

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه . ما من شيء إلا وعلمه فى القرآن ،

ولكن رأى الرجال تعجز عنه

باب : ما قيل في الكلام في تفسير القرآن

والجراة عليه ومراتب المفسرين

روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله إلا آيات بعدد علمه إياهن جبريل قال المؤلف رضى الله عنه : ومعنى هذا الحديث في مغيبات القرآن وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالى . ومن جملة مغيباته ما لم يعلم الله به ، كوقت قيام الساعة ونحوه . ومنها ما يستقرأ من ألفاظه كعدد النفخات في الصور ، وكرتبة خلق السموات والأرض

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » . ومعنى هذا : أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتصور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء . أو اقتضته قوانين العلوم كالنحو ، والأصول . وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته ، والنحاة نحوه ، والفقهاء معانيه ، ويقول كل واحد بإجتهاده المبني على قوانين علم ونظر ، فإن هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه

وكان جملة من السلف الصالح كسعيد بن المسيب ؛ وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ، ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتفقههم

وكان جملة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم أبقى على المسلمين في ذلك رضى الله عنهم

فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلى بن أبي طالب رضى الله [عنه] ، ويتلوه عبد الله بن عباس رضى الله عنه وهو تجرد للأمر وكمله . وتبعه العلماء عليه كمجاهد ، وسعيد بن جبير وغيرهما ، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب .

وقال ابن عباس : ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب .
 وكان علي بن أبي طالب يثنى على تفسير ابن عباس ، ويحض على الأخذ عنه .
 وكان عبد الله بن مسعود يقول : نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس وهو
 الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم فقهه فى الدين » . وحسبك
 بهذه الدعوة

وقال عنه علي بن أبي طالب : ابن عباس كلما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق .
 ويتلوه عبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن
 عمرو بن العاصى . وكل ما أخذ عن الصحابة لحسن متقدم
 ومن المبرزين فى التابعين الحسن بن أبى الحسن ، ومجاهد ، وسعيد بن
 جبير ، وعلقمة

قرأ مجاهد علي ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية ، ويتلوهم عكرمة ،
 والضحاك بن مزاحم ، وإن كان لم يلق عباس وإنما أخذ عن ابن جبير
 وأما السدى رحمه الله فكان عامر الشعبى يطعن عليه ، وعلى أبى صالح لأنه
 كان يراها مقصرين فى النظر ، ثم كمل تفسير كتاب الله تعالى عدول كل خلف ،
 وألف الناس فيه كعبد الرزاق ، والمفضل ، وعلى بن أبى طلحة ، والبحارى وغيرهم .
 ثم إن محمد بن جرير الطبرى رحمه الله ، جمع على الناس أشتات التفسير ،
 وقرب البعيد منها ، وشفى فى الإسناد .

ومن المبرزين فى المتأخرين أبو إسحاق الزجاج ، وأبو على الفارسى ، فإن
 كلامهما منخول .

وأما أبو بكر النقاش ، وأبو جعفر النحاس فكثيراً ما استدرك الناس عليهما
 وعلى سلفهما مكى بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأبو العباس المهدى رحمه الله ،
 متقن التأليف ، وكلهم مجتهد مأجور ، رحمهم الله ونضرو وجوههم .

باب : معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم

إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فافقهوا ما تيسر منه

اختلف الناس في معنى هذا الحديث اختلافاً شديداً ، فذهب فريق من العلماء إلى أن تلك الحروف السبعة هي فيما يتفق أن يقال على سبعة أوجه فمادونها ، كتنال ، وأقبل ، وإلَى ، ونحوى ، وقصدى ، وأقرب ، وجئ . وكالغات التي في « أف » ^(١) ، وكالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة ، وهو قول ضعيف . قال ابن شهاب في كتاب مسلم ، ^(٢) بلغنى أن تلك السبعة الأحرف : إنما هي في الأمر الذى يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام .

قال القاضى عبد الحق رضى الله عنه : وهذا كلام محتمل . وقال فريق من العلماء : أن المراد بالسبعة الأحرف معانى كتاب الله تعالى وهي : أمر ونهى ، ووعد ووعيد ، وقصص ومجادلة ، وأمثال . وهذا أيضاً ضعيف ، لأن هذه لا تسمى أحرفاً ، وأيضاً : فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ، ولا في تحليل حرام ، ولا في تغيير شيء من المعانى المذكورة .

وحكى صاحب الدلائل عن بعض العلماء . وقد حكى نحوه القاضى أبو بكر ابن الطيب ، قال : تدبرت وجوه الاختلاف في القراءات فوجدتها سبعة ^(٣) ، منها : ما تتغير حركته ، ولا يزول معناه ولا صورته ، مثل : (س ١١ آ ٧٨) « هُنَّ أَطْهَرُ » وَ « أَطْهَر » . ^(٤) ومنها : ما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب مثل : (س ٣٤ آ ١٩) « رَبَّنَا بَاعِدْ » وَ « رَبَّنَا » ^(٥) ، ومنها : ما تبقى صورته

(١) فى س ١٧ آ ٢٣

(٢) يعنى صحيح مسلم فى كتاب صلاة المسافرين .

(٣) انظر النشر لابن الجزرى ١ : ٢٧ .

(٤) انظر الإملاء للعكبرى ٢ : ٢٤ .

(٥) انظر الانتحاف للبناء ص ٢٢١ .

ويتغير معناه باختلاف الحروف، مثل: (س ٢٥٩ آ ٢) «نُنَشِرُهَا» و«نُنَشِرُهَا»^(١) ومنها: ماتتغير صورته ويبقى معناه (س ١٠١ آ ٥) «كَأَلْعَيْنِ الْمَنْفُوشِ» و«كَأَلْصُوفِ الْمَنْفُوشِ»^(٢)، ومنها: ماتتغير صورته ومعناه، مثل (٢٩ آ ٥٦) «طَلَحَ مَنْضُودٌ» و«طَلَعَ مَنْضُودٌ»^(٣)، ومنها: بالتقديم والتأخير، كقوله: (س ١٩ آ ٥٠) «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» و«سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ»^(٤). ومنها: بالزيادة والنقصان، كقوله: (س ٢٣ آ ٣٨) «تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً أُتِيَتْ»^(٥).

وذكر القاضى أبو بكر بن الطيب فى معنى هذه السبعة الأحرف حديثاً عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا القرآن من سبعة أبواب، على سبعة أحرف: نهى، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، واثمروا بأمره، واتهوا بنهيه، واعتبروا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه. قال القاضى أبو بكر: فهذا تفسير منه صلى الله عليه وسلم للأحرف السبعة، ولكن ليست هذه التى أجاز لهم القراءة بها على اختلافها، وإنما الحروف فى هذه بمعنى الجهة، والطريقة، ومنه قول الله تعالى: (س ١١ آ ٢٢) «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ»، أى على جهة وطريقة، هى شك وريب، فكذلك معنى هذا الحديث على سبع طرائق من تحليل وتحريم، وغير ذلك.

وذكر القاضى أيضاً أن أياً رضى الله عنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم

(١) انظر التيسير للدافى ص ٨٢.

(٢) أنظر Materials ص ١١١.

(٣) أنظر Materials ص ١٩١.

(٤) انظر Materials ص ٩٣.

(٥) أنظر Materials ص ٨١.

أنه قال : « يَا أَيُّ : إني قرأت القرآن على حرف أو حرفين ، ثم زادني الملك حتى بلغ سبعة أحرف ، ليس منها إلا كاف شاف ، إن قلت : غفور رحيم ، أو سميع عليم ، أو عليم حليم وكذلك ، ما لم تحتم عذاباً برحمة ، أو رحمة بعذاب . »
ولقد أسند ثابت بن قاسم نحو هذا الحديث عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر كلام ابن مسعود نحوه .

قال القاضي ابن الطيب : وهذه أيضاً : سبعة غير السبعة التي هي وجوه وطرائق ، وغير السبعة التي هي قراءات ووسع فيها ، وإنما هي سبعة أوجه من أسماء الله تعالى . وإذا ثبتت هذه الرواية حمل على أن هذا كان مطلقاً ، ثم نسخ فلا يجوز للناس أن يبدلوا أسماء الله في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه .
قال القاضي : وزعم قوم أن كل كلمة تختلف القراءة فيها فإنها على سبعة أوجه وإلا بطل معنى الحديث ، قالوا : وتعرف بعض الوجوه بمجىء الخبر به ، ولا يعرف بعضها إذ لم يأت به خبر ، قال : فقال قوم : ظاهر الحديث يوجب أن توجد في القرآن كلمة أو كلمتان تقرأان على سبعة أوجه ، فإذا حصل ذلك تم معنى الحديث .

قال القاضي أبو بكر بن الطيب : وقد زعم قوم أن معنى الحديث أنه أنزل على سبع لغات مختلفات ، وهذا باطل إلا أن يريدوا الوجوه المختلفة التي تستعمل في القصة الواحدة ، والدليل على ذلك : أن لغة عمر بن الخطاب ، وأبي بن كعب ، وهشام بن حكيم ، وابن مسعود واحدة ، وقراءتهم مختلفة ، وخرجوا فيها إلى المناكرة .

فأما الأحرف السبعة التي صوب الرسول صلى الله عليه وسلم القراءة بجميعها وهي التي راجع فيها فزاده ، وسهل عليه لعله تعالى بما هم عليه من اختلافهم في اللغات فإنها سبعة أوجه وسبع قراءات مختلفات وطرائق يقرأ بها على اختلافها في

جميع القرآن ، أو معظمه حسبما تقتضيه العبارة في قوله : أنزل القرآن ، فإنما يريد به الجميع أو المعظم فحائز أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها .

ويدل على ذلك قول الناس : حرف أبي ، وحرف ابن مسعود . ونقول في الجملة إن القرآن منزل على سبعة أحرف من اللغات والاعراب ، وتغيير الأسماء والصور ، وأن ذلك مفترق في كتاب الله ليس بموجود في حرف واحد وسورة واحدة (وجوداً) يقطع على اجتماع ^(١) ذلك فيها .

قال المؤلف رضى الله عنه : انتهى ما جمعت من كلام القاضى أبى بكر رضى الله عنه ، وإطلاقه البطالان على القول الذى حكاه ، فيه نظر ، لأن المذهب الصحيح هو الذى قرره آخراً من قوله . ونقول في الجملة إنما صح وترتب من جهة اختلاف لغات العرب الذين نزل القرآن بلسانهم ، وهو اختلاف ليس بشديد التباين حتى يجهل بعضهم ما عند بعض في الأكثر ، وإنما هو إن قریشاً استعملت في عبارتها شيئاً ، واستعملت هذيل في ذلك المعنى شيئاً غيره ، وسعد بن بكر غيره ، والجميع كلامهم في الجملة ولغتهم . واستدلال القاضى رضى الله عنه بأن لغة عمر ، وأبى ، وهشام ، وابن مسعود واحدة فيه نظر ، لأن ما استعملته قریش في عبارتها ، ومنهم : عمر ، وهشام ، وما استعمله الأنصار ، ومنهم : أبى ، وما استعملته هذيل ، ومنهم : ابن مسعود يختلف . ومن ذلك النحو من الاختلاف هو الاختلاف في كتاب الله . فليست لغتهم واحدة في كل شيء . وأيضاً فلو كانت لغتهم واحدة بأن تفرضهم جميعاً من قبيلة واحدة لما كان اختلافهم حجة على من قال : إن القرآن أنزل على سبع لغات ، لأن مناكرتهم لم تسكن لأن المنكر سمع مالىس في لغته فأنكره . وإنما كانت لأنه سمع خلاف ما قرأه النبي صلى الله عليه وسلم ، وعساه قد أقرأه مالىس من لغته واستعمال قبيلته . فكأن القاضى رحمه الله إنما أبطل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قصد في قوله : على سبعة أحرف ، عد اللغات التي تختلف بحملتها ،

وأن تكون سبعة متباينة لسبع قبائل ، تقرأ كل قبيلة القرآن كله بحرفها ، ولا تدخل عليها لغة غيرها ، بل قصد النبي عليه السلام عدّ الوجوه والطرائق المختلفة في كتاب الله مرة من جهة لغة ، ومرة من جهة إعراب وغير ذلك ، ولا مرية أن هذه الوجوه والطرائق إنما اختلفت لاختلاف في العبارات بين الجماعة التي نزل القرآن بلسانها ، وذلك يقال فيه اختلاف لغات . وصحيح أن يقصد النبي عليه السلام عدّ الانحاء والوجوه التي اختلفت في القرآن بسبب اختلاف عبارات اللغات . وصحيح أن يقصد عدّ الجواهر والرهوس من الجماعة التي نزل القرآن بلسانها وهي : قبائل مضر ، فجعلها سبعة . وهذا القول أكثر توسعة للنبي عليه السلام لأن الانحاء تبقى غير محصورة فعسى أن الملك قد أقرأه بأكثر من سبعة طرائق ووجوه .

قال القاضي رضي الله عنه في كلامه المتقدم ، فجاز أن يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها . قال القاضي عبد الحق رضي الله عنه ، والشرط الذي يصح به هذا القول هو أن يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال كثير من أهل العلم ، كآبي عبيد وغيره إلى أن معنى الحديث المذكور أنه أنزل على سبع لغات لسبع قبائل أثبت فيه من كل لغة منها ، وهذا القول هو المتقرر من كلام القاضي رضي الله عنه . وقد ذكر بعضهم قبائل من العرب رَوَّما منهم أن يعينوا السبع التي يحسن أن تكون مراده عليه السلام . نظروا في ذلك بحسب القطر ، ومن جاور منشأ النبي عليه السلام ، واختلفوا في التسمية وأكثروا . وأنا أخلص الغرض جهدي بحول الله تعالى فأصل ذلك ، وقاعدته قریش ثم بنو سعد بن بكر ، لأن النبي عليه السلام قرشي ، واسترضع في بني سعد ونشأ فيهم ، ثم ترعرع وغفت تمامته وهو مخالط في اللسان : كنانة ، وهذيل ، وثقيفا ، وخزاعة ، وأسدا ، وضبّة ، والفاها لقربه من مكة وتكرارهم عليها ، ثم بعد هذه تمياً وقيساً ومن انضاف إليهم وسط جزيرة العرب . فلما بعثه الله تعالى ويسر عليه أمر الأحرف أنزل عليه القرآن بلغة هذه

الجماعة المذكورة وهي التي قسمها على سبعة لها السبعة الأحرف ، وهي اختلافاتها في العبارات حسبما تقدم .

قال ثابت بن قاسم : لو قلنا : من هذه الأحرف لقريش ، ومنها : لكتانة ، ومنها : لأسد ، ومنها : لهذيل ، ومنها : لقيم ، ومنها : لضبة والفافها ، ومنها : لقيس لكان قد أتى على قبائل مضر في مراتب سبعة يستوعى اللغات التي نزل بها القرآن .

قال القاضي عبد الحق رضى الله عنه : وهذا نحو ما ذكرناه وهذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخيل ، ويسرها الله لذلك لتظهر آية نبيه بعجزها عن معارضة ما أنزل عليه ، وسبب سلامتها أنها في وسط جزيرة العرب ، في الحجاز ، ونجد ، وتهامة فلم تطرقها الأمم ، فأما اليمن وهو جنوبى الجزيرة فأفسدت كلام عرب به خلطة الحبشة والهنود ، على أن أبا عبيد القاسم بن سلام ، وأبا العباس المبرد قد ذكر أن عرب اليمن من القبائل التي نزل القرآن بلغاتها .

قال المؤلف رضى الله عنه : وذلك عندى إنما هو فيما استعملته عرب الحجاز من لغة اليمن ، كالعزم والفتاح .

فأما ما انفردوا به كالترخيخ ، والقلوب ، ونحوه فليس في كتاب الله منه شيء . وأما ما والى العراق من جزيرة العرب وهي بلاد ربيعة ، وشرق الجزيرة فأفسدت لغتها مخالطة الفرس ، والنبط ، ونصارى الحيرة وغير ذلك .

وأما الذى إلى الشام ، وهو شمالى الجزيرة ، وهي بلاد آل جفنة وابن الرافلة وغيرهم ، فأفسدها مخالطة الروم وكثير من بنى إسرائيل .

وأما غربى الجزيرة ، فهي جبال تسكن بعضها هذيل وغيرهم ، وأكثرها غير معمور ، فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات لم تكدر صفو كلامها أمة من العجم .

ويقوى هذا المنزع أنه لما اتسع نطاق الإسلام ، وداخلت الأمم العرب ،

وتجرد أهل المصْرَيْن البصرة والكوفة لحفظ لسان العرب وكتب لغتها ، لم يأخذوا إلا عن هذه القبائل الوسيطة المذكورة ومن كان معها ، وتجنبوا اليمن ، والعراق ، والشام ، فلم يكتب عنهم حرف واحد . وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز ومكة والمدينة والطائف ، لأن اللاجئين والتجار من الأمم كثروا فيها فأفسدوا اللغة ، وكانت هذه الحواضر في مدة النبي عليه السلام سليمة لقلة المخالطة . فعنى قول النبي عليه السلام : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، أى فيه عبارات سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن . فيعبر عن المعنى فيه بعبارة قريش ، مرة ومرة بعبارة هذيل ، مرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز في الفقه .

ألا ترى إن « فطر » معناها عند غير قريش : ابتداء خلق الشيء وعمله ، فجاءت في القرآن ، فلم تتجه لابن عباس حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها . قال ابن عباس : ففهمت حينئذ معنى موقع قوله تعالى : (س ١١٤٢ آ ١١) « فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » . وقال أيضاً : ما كنت أدري معنى قوله : (س ٨٩ آ ٧) « رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ » حتى سمعت بنت دنى حذق تقول لزوجها : تعال أفأفحك . أى أحاكيمك .

وكذلك قال عمر بن الخطاب : وكان لا يفهم معنى قوله تعالى : (س ١٦ آ ٤٧) « أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ » ، فوقف به فتى فقال : إن أبى يتخوفنى حق ، فقال عمر : الله أكبر « أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ » أى على تنقص لهم .

وكذلك اتفق لقطبة بن مالك إذ سمع النبي عليه السلام يقرأ في الصلاة : (س ١٠٥٠ آ ١٠) « وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ » ، ذكره مسلم في باب القراءة في صلاة الفجر إلى غير هذا من الأمثلة . فأباح الله لنبية هذه الحروف السبعة ، وعارضه بها جبريل في عرضاته على الوجه الذى فيه الإعجاز ، وجودة الوصف ، ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام : فاقروا بما تيسر منه . بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ، ولو كان

هذا لذهب إعجاز القرآن وكان معرضاً أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله ، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي عليه السلام ليوسع بها على أمته . فقرأ مرة لأبي بما عارضه به جبريل ، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً .

وفي صحيح البخارى عن النبي عليه السلام قال : أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف ، وعلى هذا تجىء قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان (س ٢٥) . وقراءة هشام بن حكيم بها^(١) ، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي عليه السلام في كل قراءة منهما صحّت ، وقد اختلفتا ، ها كذا أقرأني جبريل ؟ فهل ذلك إلا لأنه أقرأه بهذه مرة وبهذه مرة ؟ .

وعلى هذا يحمل قول أنس بن مالك حين قرأ : (س ٦٣٧٣) « إِنْ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَصْوَبُ قِيلًا »^(٢) . فقيل له : إنما نقرأ « وَأَقْوَمُ » . فقال أنس : أقوم وأصوب وأهياً واحد . فإنما^(٣) معنى هذا أنها مروية عن النبي عليه السلام والا فلو كان لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قول الله تعالى : (س ٩١٥) « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » .

ثم إن هذه الروايات الكثيرة لما انتشرت عن رسول الله عليه السلام ، وافترق الصحابة في البلدان ، وجاء الخلف وقرأ القرآن كثير من غير العرب ، ووقع بين أهل الشام وأهل العراق ما ذكر حذيفة بن اليمان رضى الله عنه^(٤) ، وذلك أنهم اجتمعوا في غزوة إرمينية فقرأت كل طائفة بما روى لها ، فاختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضهم لبعض : أنا كافر بما تقرأ به ، فأشفق حذيفة مما رأى منهم ،

(١) كذلك في الأصل والصواب : بخلافها

(٢) انظر Materials ص ٢١٧

(٣) كذلك في الأصل والصواب : فيكون

(٤) انظر الإتيان للسيوطي ص ١٣٨

فلما قدم حذيفة المدينة فيما ذكر البخارى^(١) وغيره دخل إلى عثمان بن عفان قبل أن يدخل بيته فقال : أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك . قال : فيما ذا ؟ قال : في كتاب الله : إني حضرت هذه الغزوة وجمعت ناساً من العراق ، ومن الشام ، ومن الحجاز فوصف ماتقدم ، وقال : إني أخشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى . قال عثمان رضى الله عنه : أفعل . فتجرد للأمر واستتاب الكفاة العلماء الفصحاء في أن يكتبوا القرآن ، ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول الله وأفصح اللغات . وقال لهم : إذا اختلفتم في شيء فاكثبوه بلغة قريش . فمعنى هذا إذا اختلفتم فيما روى وإلا فمحال أن يحيلهم على اختلاف من قبلهم ، لأنه وضع قرآن فكتبوا في القرآن من كل اللغات السبع مرة من هذه ومرة من هذه ، وذلك مقيد بأن الجميع مما روى عن النبي عليه السلام وقرئ عليه ، واستمر الناس على هذا المصحف المتخير وترك ماخرج عنه مما كان كتب ، كقراءة عمر بن الخطاب : (س ٦٢ آ ٩) « فَأَمْضُوا إِلَيَّ ذِكْرَ اللَّهِ »^(٢) ، ونحوها سداً للذريعة ، وتغليباً لمصلحة الألفه ، وهى المصاحف التى أمر عثمان بها أن تحرق أو تحرق . فأما ابن مسعود ، فأبى أن يزال مصحفه فرد فترك ، ولكن أبى العلماء قراءته سداً للذريعة ، ولأنه روى أنه كتب فيه أشياء على جهة التفسير ، فظنها قوم من التلاوة فتخلف الأمر فيها ، ولم يسقط فيما ترك معنى من معانى القرآن . لأن المعنى جزء من الشريعة ، وإنما تركت ألفاظ معانيها موجودة فى الذى أثبت .

ثم أن القراء فى الأمصار تتبعوا ما روى لهم من اختلافات ، لاسيما فيما وافق خط المصحف المتخير فقرءوا بذلك حسب اجتهاداتهم ، فلذلك ترتب أمر القراء

(١) فى صحيحه، كتاب فضائل القرآن .

(٢) انظر Materials ص ٢٢١ .

السبعة وغيرهم ، ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة وبها يصلى لأنها ثبتت بالإجماع .

وأما شاذ القراءات فلا يُصلى به ، وذلك لأنه لم تجمع الناس عليه ، أما أن المروى منه عن الصحابة رضى الله عنهم ، وعن علماء التابعين لا يعتقد فيه إلا أنهم روه .

وأما مايؤثر عن أبي السّمال ومن قار به فلا يوثق به ، وإنما اذكره في هذا الكتاب لئلا يُجهل والله المستعان .

وكان المصحف غير مشكول ، ولا منقوط ، وقد وقع لبعض الناس خلاف في بعض ما ذكرته في هذا الباب ومنازعات اختصرت ذلك كراهة التطويل ، وعولت على الأسلوب الواضح الصحيح ، والله المرشد للصواب برحمته .

باب ذكر جمع القرآن وشكله

ونقطه وتحزيبه وتعشيره

كان القرآن في مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقاً في صدور الرجال ، وقد كتب الناس منه في صحف ، وفي جريد ، وفي لخاف وطرر ، وفي خزف ، وغير ذلك . فلما استحرّ القتل بالقراء يوم اليمامة ، أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراءة كأبيّ ، وزيد ، وابن مسعود فيذهب . فندبا إلى ذلك زيد بن ثابت ، فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد منه رضى الله عنه .

وروى أن في هذا الجمع سقطت الآية من آخر براءة (س ٩) حتى وجدها عند خزيمه بن ثابت .

وحكى الطبرى : أنه إنما سقطت في الجمع الأخير والأول أصح ، وهو الذى

حكاه البخارى إلا أنه قال فيه : مع أبى خزيمه الأنصارى . وقال : إن فى الجمع الثانى فقد زيد آية من سورة الأحزاب : (٣٣ آ ٢٣) « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ » ، فوجدها مع خزيمه بن ثابت . وبقيت الصحف عند أبى بكر ، ثم عند عمر بن الخطاب بعده ، ثم عند حفصة بنته فى خلافة عثمان . واشتهرت فى خلال ذلك صحف فى الآفاق كتبت عن الصحابة كمصحف ابن مسعود ، وما كتب عن الصحابة بالشام ، ومصحف أبى وغير ذلك . وكان فى ذلك اختلاف حسب السبعة الأحرف التى أنزل القرآن عليها .

فلما قدم حذيفة من غزوة ارمينية حسب ما قد ذكرناه ، انتدب عثمان لجمع المصحف ، وأمر زيد بن ثابت بجمعه ، وقرن يزيد ، فيما ذكر البخارى ، ثلاثة من قریش : سعيد بن العاصى ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن الزبير . وكذلك ذكر الترمذى وغيرهما . وقال الطبرى : فيما روى أنه قرن يزيد أبان بن سعيد بن العاصى وحده ، وهذا ضعيف . وقال الطبرى أيضاً : إن الصحف التى كانت عند حفصة جعلت إماماً فى هذا الجمع الأخير .

وروى أن عثمان رضى الله عنه قال لهم : إذا اختلفتم فى شىء فاجعلوه بلغه قریش . فاختلفوا فى التأبوه ، والتابوت قرأه زيد بن ثابت بالهاء والقرشيون بالتاء ، فأثبتته بالتاء . وكتب المصحف على ما هو عليه غابر الدهر ، ونسخ عثمان منه نسخاً ووجه بها إلى الآفاق ، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق أو تحرق ، تروى بالحاء غير منقوطة ، وتروى بالحاء على معنى ثم تدفن ، ورواية الحاء غير منقوطة أحسن .

قال القاضى أبو بكر بن الطيب : وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه مع مشاركة من عثمان رضى الله عنه فى ذلك . وقد ذكر ذلك مكى^(١)

(١) يعنى مكى بن أبى طالب القيسى .

رحمه الله في تفسير سورة براءة (س ٩) . وذكر أن ترتيب الآيات في السور ، ووضع البسملة في الأوائل ، هو من النبي عليه السلام ، ولم يأمُر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة هذا آخر ما قيل في براءة ، وذلك مُستقصى في موضعه موافقاً إن شاء الله تعالى . وظاهر الآثار أن السبع الطول ، والخوايم ، والمفصل كان مرتباً في زمن النبي عليه السلام ، وكان في السور ما لم يرتب ، فذاك هو الذي رتب وقت الكتّاب .

وأما شكل المصحف ونقطه ، فروى أن عبد الملك بن مروان أمر به وعمله ، فتجرد لذلك الحجاج بواسطة وجدّ فيه ، وزاد تحزيبه ، وأمر وهو والى العراق ، الحسن ، ويحيى بن يعمر بذلك . وألف إثر ذلك بواسطة كتاباً في القراءات جمع فيه ما روى من اختلاف الناس فيما وافق الخط . ومشى الناس على ذلك زماناً طويلاً إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه في القراءات . وأسند الزبيدي في كتاب الطبقات إلى المبرد أن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي .

وذكر أيضاً أن ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر . وذكر أبو الفرج : أن زياد بن أبي سفيان أمر أبا الأسود بنقط المصاحف . وذكر الجاحظ في كتاب الأنصار : أن نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف وكان يقال له نصر الحروف .

وأما وضع الأعراس فيه فمر بي في بعض التواريخ أن المأمون العباسي أمر بذلك . وقيل إن الحجاج فعل ذلك .

وذكر أبو عمرو المسرافي عن قتادة أنه قال بدءوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا وهذا كالاتكار

باب: في ذكر الألفاظ التي في كتاب الله

وللغات العجم بها تعلق

اختلف الناس في هذه المسألة . فقال أبو عبيدة وغيره : إن في كتاب الله تعالى من كل لغة .

وذهب الطبري وغيره إلى أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صريحة ، وأن الأمثلة والحروف التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات فتكلمت بها العرب ، والفرس ، والحبشة بلفظ واحد ، وذلك مثل قوله تعالى : (س ٧٣ آ ٦٤) « إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ » . قال ابن عباس : نشأ : بلغة الحبشة ، قام من الليل . ومنه قوله تعالى : (س ٥٧ آ ٢٨) « يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ » ، قال أبو موسى الأشعري : كفلان : ضعفان من الأجر بلسان الحبشة . وكذلك قال ابن عباس في القسورة ، ^(١) أنه الأسد بلغة الحبشة ، إلى غير هذا من الأمثلة .

قال الفقيه القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية رضي الله عنه :

والذي أقوله : أن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن بلسان عربي مبين ، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب ، فلا تفهمها إلا من لسان آخر ، فأما هذه الألفاظ ، وما جرى مجراها ، فإنه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالفة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتى قريش ، وسفر مُسَافِرِينَ ، كسفر أبي عمرو إلى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب ، وكسفر عمرو بن العاص ، وعمارة ابن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعمش إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة ، فعلمت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها في أشعارها ، ومحاوراتها حتى

(١) المراد فسورة : في س ٢٤ آ ٧٤ .

جرت مجرى العربى الصريح ، ووقع بها البيان . وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربى فكجهله الصريح بما فى لغة غيره ، كما لم يعرف ابن عباس معنى « فاطر » إلى غير ذلك ، حقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها فى الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربت بها فهى عربية بهذا الوجه ، وما ذهب إليه الطبرى من أن اللغنين اتفقتا فى لفظة لفظة ، فذلك بعيد ، بل إحداها أصل والأخرى فرع فى الأكثر ، لأننا لا ندفع ^(١) أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذاً ^(٢) .

نبذة مما قال العلماء فى إعجاز القرآن

اختلف الناس فى إعجاز القرآن ، بم هو ؟ فقال قوم : إن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة الذات ، وأن العرب كلفت فى ذلك ما لا يطاق ، وفيه وقع عجزها .

وقال قوم : إن التحدى وقع بما فى كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة والغيوب المسدودة ، وهذان القولان : إنما يرى العجز فيهما من قد تقررت الشريعة ، ونبوة محمد عليه السلام فى نفسه .

وأما من هو فى ظلمة كفره ، فإنما يتحدى فيما يتبين له بينه وبين نفسه عجزه عنه ، وأن البشر لا يأتى بمثله ويتحقق مجيئه من قبل المتحدى .

فكفار العرب : لم يمكنهم قط أن ينكروا أن وصف القرآن أو نظمه ، وفصاحته متلقى من قبل محمد عليه السلام . فإذا تحدت بمثل ذلك ، وعجزت فيه علم كل فصيح ضرورة أن هذا نبي يأتى بما ليس فى قدرة البشر الإتيان به ، إلا أن يخص الله تعالى من يشاء من عباده . وهذا هو القول الذى عليه

(١) أى لا نمنع

(٢) أى غير معروف .

الجمهور والحدّاق ، وهو الصحيح في نفسه ، وأن التحدى إنما وقع بنظمه ، وصحة معانيه ، وتوالى فصاحة ألفاظه . ووجه إعجازه : أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحاط بالكلام كله علماً ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطة أيّ لفظة تصلح أن تبين الأدلين ، وتبين المعنى بعد المعنى . ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر معهم الجهل ، والنسيان ، والذهول ، ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قط محيطاً . فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة ، وبهذا النطق يبطل قول من قال : إن العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن . فلما جاء محمد عليه السلام ، حرفوا عن ذلك وعجزوا عنه .

والصحيح : أن الإتيان بمثل هذا القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من الخلقين ، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده ، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً ، ثم تعطى لأحد نظيره فيأخذها بقريحة خاصة ، فيبدل فيها وينقح ، ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل : وكتاب الله لو نزعته منه لفظة ، ثم أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد ، ونحن نتبين لنا البراعة في أكثره ، ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق ، وجودة القريحة ، وميز الكلام .

ألا ترى مَيزَ الجارية نفس الأعشى ، ومَيزَ الفرزدق نفس جرير ، ونفس ذى الرمة ، ونظر الإعرابي في قوله : « عزّ لحكم » ^(١) فقطع إلى كثير من الأمثلة . اكتفيت بالإشارة إليها اختصاراً ، فصورة قيام الحجة بالقرآن على العرب أنه لما جاء محمد عليه السلام به ، وقال : (س ٢ آ ٢٣) « فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ » ،

(١) سمع اعرابي قارئاً يقرأ فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال : ما هذا ؟ فقيل له قرآن فقال : ما هذا بقرآن فنبه القارىء فقال والله عزيز حكيم فقال الاعرابي عز لحكم فقطع .

قال كل فصيح في نفسه : وَمَا بَالُ هذا الكلام حتى لا آتَى بمثله ؟ فلما تأمله وتدبره ميز منه ما ميز الوليد بن المغيرة حين قال : والله ما هو بالشعر ، ولا هو بالكهانة ، ولا بالجنون ، وعرف كل فصيح بينه وبين نفسه أنه لا قدرة لبشر على مثله ، فصح عنده أنه من عند الله تعالى . فمنهم من آمن وأذعن ، ومنهم من حسد كأبي جهل وغيره ففر إلى القتال ، ورضى بسفك الدم عجزاً عن المعارضة حتى أظهر الله دينه ودخل جميعهم فيه . ولم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الأرض قليل من العرب يعلن كفره . وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة ، كما قامت الحجة في معجزة عيسى بالأطباء ، وفي معجزة موسى بالسحرة ، فإن الله تعالى إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهيد^(١) أبرع ما يكون في زمان النبي الذي أراد إظهاره ، فكان السحر في مدة موسى قد انتهى إلى غايته ، وكذلك الطب في زمن عيسى ، والفصاحة في مدة محمد عليهم السلام .

* * *

باب : في الألفاظ التي يقتضى الإيجاز استعمالها

في تفسير كتاب الله عز وجل

اعلم أن القصد إلى إيجاز العبارة قد يسوق المتكلم في التفسير إلى أن يقول : خاطب الله بهذه الآية المؤمنين ، وشرف الله بالذكر الرجل المؤمن من آل فرعون . وحكى الله عن أم موسى أنها قالت « قُصِيَّه »^(٢) . ووقف الله ذرية آدم على ربوبيته بقوله : (س ١٧٢ آ ٧) « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » ، ونحو هذا من إسناد أفعال إلى الله تعالى لم يأتِ إسنادها بتوقيف من الشرع .

(١) أى الأمين في شهادته .

(٢) س ١١٢ آ ٢٨ .

وقد استعمل هذه الطريقة المفسرون ، والمحدثون ، والفقهاء واستعملها أبو المعالي في الإرشاد . وذكر بعض الأصوليين أنه لا يجوز أن يقال : حكى الله ، ولا ما جرى مجراه ، وهذا على تقدير هذه الصفة له وثبوتها مستعملة كسائر أوصافه تبارك وتعالى . وأما إذا استعمل ذلك في سياق كلام ، والمراد منه حكاية الآية أو اللفظ ، فذلك استعمال عربي سائغ ، وعليه مشى الناس . وأنا أتخفظ منه في هذا التعليق جهدي ، لكنني قدمت هذا الباب لما عسى أن أقطع فيه نادراً ، واعتذاراً عما وقع فيه المفسرون من ذلك .

وقد استعملت العرب أشياء في ذكر الله تعالى تحمل على مجاز كلامها . فمن ذلك قول أبي عامر يرتجز بالنبي عليه السلام : فَأَغْفِرْ بَرَاءَ لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا .

وقول أم سلمة : فغرم الله لي في الحديث في موت أبي سلمة ، وابدال الله لها منه رسول الله . ومن ذلك قولهم : الله يدري كذا . وكذا . والدراية إنما هي في التأثير للعلم بالشئ حتى يتيسر ذلك .

قال أبو علي : واحتج بعض أهل النظر على جواز هذا الاطلاق بقول الشاعر :

لَا هُمْ لَا أَدْرِي وَأَنْتَ الدَّارِي

قال أبو علي : وهذا لا تَبَتَّ^(١) فيه لأنه يجوز أن يكون من غلط الاعرابي .

قال الفقيه القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية رضي الله عنه :

وكذلك أقول : إن الطريقة كلها عربية لا يثبت للنظر المنحول شئ منها .

وقد أنشد بعض البغداديين :

لَا هُمْ إِنْ كُنْتَ الذِي بَعْدِي وَلَمْ تَغْيِرْ لِي الْأُمُورَ بَعْدِي

وقد قال العجاج :

فَارْتَاخَ رَبِّي وَأَرَادَ رَحْمَتِي

(١) يعني : لا حجة .

وقال الآخر :

قد يُصْبِحُ اللهُ أَمَامَ السَّارَى

وقال الآخر :

يَا فَتَعَسَى لِمِ أَكَلْتَهُ لِمَهُ لَوْ خَافَكَ اللهُ عَلَيْهِ حَرَمَهُ

وقال أوس :

أَبْنِي لُبْنِي لَا أُحِبُّكُمْ وَجَدَ إِلَهُ بِكُمْ كَمَا أُجِدُّ

وقال الآخر :

وَإِنَّ اللَّهَ ذَاقَ عُقُولَ تَيْمٍ فَلَمَّا رَأَى خِفَّتَهَا قَلَاهَا

ومن هذا الاستعمال الذى بُنِيَ الباب عليه قول سعد بن مُعَاذ : عَرَقَ اللهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ . يقول للراى الذى رَمَاهُ ، وقال : خَذَاهَا وَأَنَا ابْنُ الْعِرْقَةِ .

وفى هذه الأمثلة كفاية فيما نحوناه إذ النظير لذلك كثير موجود ، وإن خرج شئ من هذه على حذف مضاف فذلك متوجه فى الاستعمال الذى قصدنا الاعتذار عنه ، والله المستعان .

* * *

باب : فى تفسير أسماء القرآن وذكر السورة والآية

هو القرآن . وهو الكتاب . وهو الفرقان . وهو الذكر .

فالقرآن مصدر من قولك : قرأ الرجل إذا تلى يقرأ قرآناً ، وقراءة . وحكى أبو زيد الأنصارى ، وقرأ . وقال قتادة : القرآن معناها التأليف . قرأ الرجل إذا جمع وألف قولاً ، وبهذا فسر قتادة قوله تعالى : (س ٧٥ آ ١٧) « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ » ، أى تأليفه . وهذا نحو قول الشاعر :

ذِرَاعَى بِكَرَةٍ إِذْ مَاءٍ بِكَرٍ هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

أى لم تجمع فى بطنها ولدا فهو أبزّه^(١) . والقول الأول أقوى ، لأن القرآن مصدر من قرأ إذا تلى . ومنه قول حسان بن ثابت يريث عثمان بن عفان رضى الله عنه :

صَحَّوْا بِأَشْمَطَ عِنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا
أى قراءة .

وأما الكتاب : فهو مصدر من كتب إذا جمع ، ومنه قيل كتيبة لاجتماعها .
ومنه قول الشاعر :

* واكتبها بأسيار * أى اجمعها .

وأما الفرقان : فهو أيضاً مصدر لأنه فرق بين الحق والباطل ، والمؤمن والكافر فرقاً وفرقاناً .

وأما الذكر : فسمى به لأنه ذكر به الناس آخرتهم وإلههم وما كانوا فى غفلة عنه فهو ذكر لهم . وقيل : سمي بذلك لأنه فيه ذكر الأمم الماضية والأنبياء ، وقيل : سمي بذلك لأنه ذكر وشرف لمحمد وقومه وسائر العلماء به .

وأما السورة : فإن قريشاً كلها ومن جاورها من قبائل العرب ، كهذيل ، وسعد بن بكر ، وكنانة يقولون « سورة » بغير همزة . وتميم كلها وغيرهم أيضاً يهمزون فيقولون « سورة » . فأما من همز فهي عنده كالبقية من الشئ . والقطعة منه التى هى سورة ، وسورة من أسار إذا أبقى ، ومنه سورُ الشراب ، ومنه قول الأعشى ، وهو ميمون بن قيس :

فَبَآنَتْ وَقَدْ أَسَّارَتْ فِي الْفُؤَادِ صَدْعًا عَلَى نَائِيهَا مُسْتَطِيرًا
أى أبقى فيه .

وأما من لا يهمز ، فمنهم من يراها من المعنى المتقدم إلا أنها سهلت همزتها ،

ومنهم من يراها مشبهة بسورة البناء أى القطعة منه ، لأن كل بناء قائماً يبنى قطعة بعد قطعة ، وكل قطعة منها سورة ، وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو ، وجمع سورة البناء ، أى القطعة منه ، هو سورٌ بسكونها .

قال أبو عبيدة : إنما اختلفا في هذا ^(١) . فكأن سور القرآن هى قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن . ويقال أيضاً للرتبة الرفيعة من المجد والملك سورة . ومنه قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر ^(٢) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
فَكَأَنَّ الرِّتْبَةَ أَنْبَتَتْ حَتَّى كَمَلَتْ .

وأما الآية : فهى العلامة فى كلام العرب ، ومنه قول الأسير الموصى إلى قومه : باللغز . بآية ما أكلت معكم حيساً . فلما كانت الجملة التامة من القرآن علامة على صدق الآتى بها ، وعلى عجز المتحدثى بها سميت آية . هذا قول بعضهم . وقيل : سميت آية لما كانت جملة وجماعة كلام ، كما تقول العرب : جئنا بآيتنا ، أى بجماعتنا . وقيل : لما كانت علامة للفصل بين ما قبلها وما بعدها سميت آية . ووزن آية عند سيبويه فعلة بفتح العين ، أصلها ايبة تحركت الياء الأولى وما قبلها مفتوح فجاءت آية . وقال الكسائى : أصل آية ايبة على وزن فاعلة حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الادغام ما لزم فى دابة . وقال مكى فى تعليل هذا الوجه سكنت الأولى وادغمت فجاءت آية على وزن دابة ، ثم سهلت الياء المثقلة .

وقيل : أصلها آية على وزن فعلة بسكون العين ابدلت الياء الساكنة ألفاً استئقالاتاً للتضعيف . قاله الفراء ، وحكاه أبو على عن سيبويه فى ترجمة : (س ١٤٦١٣) « وَكَأَيُّنْ مِنْ نَبِيٍّ » . وقال بعض الكوفيين أصلها ايبة

(١) أى : فى الجمع

(٢) ديوان النابغة (ed Derenbourg) ٨ : ٩

على وزن فَعْلَةٍ بكسر العين ابدلت الياء الأولى ألفاً لثقل الكسر عليها وانفتاح ما قبلها .

باب : القول في الاستعاذة

قال الله عز وجل : (س ١٦ ٩٨١) « فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » . معناه : إذا أردت أن تقرأ وشرعت فاقع الماضي موقع المستقبل لثبوته . وأجمع العلماء على أن قول القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليس بآية من كتاب الله ، وأجمعوا على استحسان ذلك والتزامه في كل قراءة في غير صلاة .

واختلفوا في التعوذ في الصلاة ، فأبن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، وقوم يتعوذون في الصلاة في كل ركعة ، ويمثلون أمر الله بالاستعاذة على العموم في كل قراءة . وأبو حنيفة ، والشافعي يتعوذان في الركعة الأولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة . ومالك رحمه الله لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان ، ولم يحفظ عن النبي عليه السلام أنه تعوذ في صلاة .

وحكى الزهراوى ، عن الحسن أنه قال : نزلت الآية في الصلاة ونُدْبُنَا إِلَى الاستعاذة في غير الصلاة وليس بفرض . قال غيره : كانت فرضاً على النبي عليه السلام وحده ثم تأسينا به .

وأما لفظ الاستعاذة : فالذى عليه جمهور الناس هو لفظ كتاب الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

وروى عن ابن عباس أنه قال : أول ما نزل جبريل على محمد عليه السلام قال له : قل يا محمد : استعِذ بالله من السميع العليم من الشيطان الرجيم . ثم قال : قل بسم الله الرحمن الرحيم .

وروى سليمان بن سالم ، عن ابن القاسم رحمه الله : أن الاستعاذة : أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ، إن الله هو السميع العليم : بسم الله الرحمن الرحيم . وأما المقرءون فأكثرُوا في هذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى ، كقول بعضهم : أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد ، ونحو هذا مما لا أقول فيه نعمت البدعة ، ولا أقول إنه لا يجوز . ومعنى الاستعاذة الإستجارة والتحيز إلى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه ، والكلام على المكتوبة يجيء في بسم الله ، فذلك الموضع أولى به .

وأما الشيطان : فاختلف الناس في اشتقاقه ، فقال الخذّاق : هو فيعال من شطن إذا بعد ، لأنه بعد عن الخير ورحمة الله . ومن اللفظة قولهم : نوى شطون ، أى بعيدة . قال الأعشى :

نَأَتْ بِسَعَادَ عَنْكَ نَوَى شُطُونُ فَبَانَتْ وَالْفُؤَادُ بِهَا رَهِينُ
ومنه قيل للشيطان بعد طرفيه وامتداده . وقال قوم : إن شيطانا مأخوذ من شاط يشيط ؛ إذا هاج واحترق ونحوه ، إذ هذه أفعاله فهو فعلاَن .

قال القاضي أبو محمد رضى الله عنه : ويرد على هذه الفرقة أن سببويه حكى أن العرب تقول : تشيطان فلان ، إذا فعل أفاعيل الشيطان . فهذا بين أنه تَفَعَّلَ من شطن ، ولو كان من شاط لقالوا : تشيط ، ويرد أيضاً عليهم بيت أمية بن أبي الصلت ^(١) .

أَيْمًا شَاطِنَ عَصَاهُ عَكَاهُ ^(٢) ثُمَّ يُلْقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَكْبَالِ
فهذا شاطِن من شطن لاشك فيه . وأما الرجيم : فهو فَعِيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح ونحوه . ومعناه : أنه رجم باللعنة والمقت ، وعدم الرحمة . وقال المهدوى : أجمع القراء على إظهار الاستعاذة في أول قراءة سورة الحمد

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت Schulthess . ص ٦٤ .

(٢) أى قيده

إلا حمزة^(١) فإنه أسرها . وَرَوَى الْمَسِيْبِيُّ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْتَتِحُونَ الْقِرَاءَةَ بِالْبِسْمَةِ .

* * *

القول في تفسير : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

روى عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه أنه قال : البسملة تيجان السور . وروى أن رجلاً قال بحضرة النبي عليه السلام : تعس الشيطان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقل ذلك فإنه يتعاضم عنده^(٢) ، ولكن قل : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فإنه يصغر حتى يصير أقل من ذباب .

وقال علي بن أبي الحسين رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى : (١٧ آ ٤٦) « وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا » . قال : معناه : إذا قلت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

وروى عن جابر بن عبد الله أن النبي عليه السلام قال له : كيف تفتتح الصلاة يا جابر ؟ قلت بالحمد لله رب العالمين . قال : قل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

وروى أبو هريرة أن النبي عليه السلام قال : أتاني جبريل فعلمني الصلاة فقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يحبر بها ، وهذان الحديثان يقتضيان أنها آية من الحمد . ويبين ذلك حديث أبي بن كعب الصحيح ، إذ قال له النبي عليه السلام : هل لك أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ، مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَةِ ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مثلاً ، قال : فجعلت ابطيء في المشي رجاء ذلك . فقال لي : كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة ؟ قال : فقرأت الحمد لله رب العالمين ، حتى أتيت على آخرها . ويردده الحديث الصحيح ، يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بيني

(١) يعني حمزة بن حبيب الزيات من قراء الكوفة

(٢) أي عند ذلك القول

و بين عبدی نصفین ، يقول العبد الحمد لله رب العالمین ^(١) . ويرده أنه لم يحفظ عن النبي عليه السلام ، ولا عن أبي بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان أنهم قرءوا قط في صلاتهم بسم الله الرحمن الرحيم . ويرده عدد آيات السورة ، لأن الإجماع أنها سبع آيات إلا ما روى عن حسين الجعفي أنها ست آيات ، وهذا شاذ لا يعول عليه . وكذلك روى عن عمرو بن عبید الجعفي أنه جعل : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » آية ، فهي على عده ثمان آيات . وهذا أيضاً شاذ .

وقول الله تعالى : (س ١٥ آ ٨٧) « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي » هو الفصل في ذلك .

والشافعي رحمه الله يعد بسم الله آية من الحمد ، وكثير من قراء مكة والكوفة ولا يعدون « أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » .

ومالك رحمه الله ، وأبو حنيفة ، وجمهور الفقهاء والقراء لا يعدون البسملة آية . والذي يحتمله عندی حديث جابر ، وأبي هريرة ، إذا صحّا ، أن النبي عليه السلام رأى قراءة جابر وحكايته أمر الصلاة قراءة في غير صلاة على جهة التعلم ، فأمره بالبسملة لهذا لا لأنها آية .

وكذلك في حديث أبي هريرة رآها قراءة تعليم ، ولم يفعل ذلك مع أبي لأنه قصد تخصيص السورة ووسمها من الفضل بما لها فلم يدخل معها ما ليس منها ، وليس هذا القصد في حديث جابر وأبي هريرة . والله أعلم .

وقال ابن المبارك : إن البسملة آية في أول كل سورة ، وهذا قول شاذ رد الناس عليه .

وروى الشعبي ، والأعمش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يكتب باسمك اللهم ، حتى أمر أن يكتب بسم الله ، فكتبها . فلما أنزلت (س ١٧ آ ١١٠) « قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ » كتب : بسم الله الرحمن ، فلما نزلت (س ٢٧

(١) انظر باقي هذا الحديث في مقدمة القرطبي لتفسيره ١ : ٩٤ .

آ ٣٠) « إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » كتبها .
وروى عمرو بن شرحبيل : أن جبريل أول ماجاء النبي عليه السلام قال له :
قل : بسم الله الرحمن الرحيم .

وروى عن ابن عباس : أن أول ما نزل به جبريل : بسم الله الرحمن الرحيم .
وفي بعض طرق حديث خديجة وحملها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
وَرَقَّةَ ، أن جبريل قال للنبي عليه السلام : قل : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالها .
فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، الحديث .

وبالسمة تسعة عشر حرفاً . فقال بعض الناس : أن رواية بلغتهم أن ملائكة
النار الذين قال الله فيهم : (س ٧٤ آ ٣٠) « عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » ، إنما ترتب
عددهم على حروف بسم الله الرحمن الرحيم ، لكل حرف ملك وهم يقولون في كل
أفعالهم : بسم الله الرحمن الرحيم . فمن هنالك هي قوتهم وباسم الله استضعفوا^(١) .
قال الفقيه الإمام : وهذه من ملح التفسير وليست من متين العلم . وهي
نظير قولهم : في ليلة القدر ، أنها ليلة سبع وعشرين مراعاة للفظه هي في كلمات
سورة : (س ٩٧) « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ » . ونظير قولهم في عدد الملائكة الذين
ابتدروا قول القائل : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فإنها بضعة
وثلاثون حرفاً .

قالوا : فلذلك قال النبي عليه السلام : لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً
يبتدرونها أيهم يكتبها أول . والباء في بسم الله متعلقة عند نخاة البصرة باسم
تقديره ابتدائي مستقر أو ثابت بسم الله . وعند نخاة الكوفة بفعل تقديره
ابتدأت بسم الله . فبسم الله في موضع رفع على مذهب البصريين ، وفي موضع
نصب على مذهب الكوفيين ، كذا أطلق القول قوم .

والظاهر من مذهب سيويته أن الباء متعلقة باسم كما تقدم ، وبسم الله في موضع نصب تعلقاً بثابت أو مُستقر بمنزلة في الدار من قولك : زيد في الدار ، وكسرت باء الجر ليناسب لفظها عملها ، أو لكونها لا تدخل إلا على الاسماء ، فخصت بالخفض الذي لا يكون إلا في الاسماء أو ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسماً ، نحو الكاف في قول الأعشى :

أَتَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَأَلْطَعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ^(١)
وحذفت الألف من بسم الله في الخط اختصاراً ، وتخفيفاً لكثرة الاستعمال .
وأختلف النحاة إذا كتب بسم الرحمن ، وبسم القاهر . فقال الكسائي ، وسعيد الأخفش تحذف الألف . وقال يحيى بن زياد : لا تحذف إلا مع بسم الله فقط لأن الاستعمال إنما كثُر فيه .

قال الفقيه القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية رضى الله عنه :

فأما في غير أسماء الله تعالى فلا خلاف في ثبوت الألف . واسم ، أصله سُمُو بكسر السين أو سُمُو بضمها ، وهو عند البصريين مشتق من السُمُو . يقال : سَمًا يَسْمُو . فعلى هذا تضم السين في قولك سُمُو ، ويقال : سَمِي يَسْمَى ، فعلى هذا تكسر وحذفت الواو من سمو وكسرت السين من سِم كما قال الشاعر :

بسم الذى فى كل سورة سَمُهُ

وسكنت السين من سِم اعتلالاً على غير قياس ، وإنما استدل على هذا الأصل الذى ذكرنا بقولهم فى التصغير سَمَى وفى الجمع أسماء وفى الجمع أَسَامَى . وقال الكوفيون : أصل اسم وسم من السمة وهى العلامة ، لأن الاسم علامة لمن وضع له ، وحذفت فاؤه اعتلالاً على غير قياس . والتصغير والجمع المذكوران يَرُدُّانِ الأشياء إلى أصولها . وأما المعنى فيه فخيذ لولا ما يلزمهم أن يقال فى التصغير وَسِم ، وفى الجمع أوسام ، لأن التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها .

وقد ذكر بعض المفسرين في هذا الموضع الاسم والمسمى هل هما واحد . وقال الطبري رحمه الله : إنه ليس بموضع المسألة ، وأنحى في خطبته على المتكلمين في هذه المسألة ونحوها ، ولكن بحسب ما تردد القول فيها ، فلنقل : إن الاسم كزيد ، وأسد ، وفرس ، قد يرد في الكلام ويراد به الذات . كقولك : زيد قائم ، والأسد شجاع ، وقد يرد ويراد به التسمية ^(١) ذاتها . كقولك : أسد ثلاثة أحرف ، ففي الأول يقال : الاسم هو المسمى بمعنى يراد به المسمى . وفي الثاني : لا يراد به المسمى ، ومن ورود الأول قولك : يا رحمن اغفر لي ، وقوله تعالى : (س ١٥٥ آ ٢) «الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ» ، ومن ورود الثاني : قولك : الرحمن وصف لله تعالى .

وأما إسم الذي هو ألف وسين وميم ، فقد يجرى في لغة العرب مجرى الذات . يقال : ذات ، ونفس ، واسم ، وعين بمعنى . وعلى هذا حمل أكثر أهل العلم وقوله تعالى : (س ٨٧ آ ١) «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» ، وقوله تعالى : (س ٥٥ آ ٧٨) «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ، وقوله تعالى : (س ١٢ آ ٤٠) «مَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ» ، وعضدوا ذلك بقول لبيد :

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اُعْتَدَرَ
وقالوا : إن لبيد أراد التحية . وقد يجرى اسم في اللغة مجرى ذات العبارة وهو الأكثر في استعماله ، فنه قوله تعالى (س ٣١ آ ٢) «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» على أشهر التأويلات فيه ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة . وعلى هذا التحقيق استعمل النحويون الاسم في تصاريف أقوالهم ، فالذي يتنخل ^(٢) من هذا أن

(١) كذلك في الأصل والسواب : الاسم ذاته .

(٢) أَيْ يُسْتَخْلَصُ .

الأسماء قد تجيء ويراد بها ذوات المسميات ، وفي هذا يقال : الاسم هو المسمى ، وقد تجيء ويراد بها ذواتها نفسها لامسمياتها .

ومرّ بي أن مالكا رحمه الله ، سئل عن الاسم أهو المسمى ، فقال : ليس به ولا هو غيره . يريد دائماً في كل موضع ، وهذا موافق لما قلناه .

والمكتوبة التي لفظها « الله » أبهرُ أسماء الله تعالى ، وأكثرها استعمالاً ، وهو المتقدم لسائرهما في الأغلب وإنما تجيء الآخر أوصافاً . واختلف الناس في اشتقاقه . فقالت فرقة من أهل العلم : هو اسم مرتجل لا اشتقاق له من فعل ، وإنما هو اسم موضوع له تبارك وتعالى ؛ والألف واللام لازمة له لا لتعريف ولا لغيره بل هكذا وضع الاسم . وذهب كثير من أهل العلم إلى أنه مشتق من أله الرجل إذا عبده وتألّه إذا تنسك ، ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج ^(١) :

لِلَّهِ دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّةِ ^(٢) سَبَّحْنَ وَأُسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلَّهِ

ومن ذلك قول الله تعالى : (س ١٢٧١٧) « وَيَذَرِكْ وَءَاهِتَكَ » على هذه القراءة ، فإن ابن عباس وغيره قال : « وعبادتك » . قالوا : فاسم الله مشتق من هذا الفعل لأنه الذي يَأْلَهُ كُلُّ خَلْقٍ وَيَعْبُدُهُ . حكاه النقاش في صدر سورة ال عمران (س ٣) فإلاه فعال من هذا ، واختلف كيف تصرف إلآه حتى جاء الله فقيل : حذفت الهمزة حذفاً على غير قياس ، ودخلت الألف واللام للتعظيم على لآه ، وقيل : بل دخلنا على إله ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام فجاء اللآه . ثم أدغمت اللام في اللام . وقيل : إن أصل الكلمة لآه وعليه دخلت الألف واللام والأول أقوى .

وروى عن الخليل إن أصل إله ولآه وإن الهمزة مبدلة من واو كما هي في إشاح وإشاح ، وإسادة ، ووسادة . وقيل : إن أصل الكلمة ولآه كما قال الخليل

(١) ديوان رؤبة بن العجاج ٥٨ : ٧ (ed Ahlwardt) ص ١٥٦

(٢) أى المادحات .

إلا أنها مأخوذة من وَلِهَ الرجل إذا تحير ، لأنه تعالى تتحير الأبواب في حقائق صفاته ، ، والفكر في المعرفة به . وحذفت الألف الأخيرة من الله لثلاث يُسْكَلَ بخط اللات ، وقيل : طرحت تخفيفاً ، وقيل : هي لغة فاستعملت في الخط ، ومنها قول الشاعر :

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْرِدُ حَرْدَ الحية المغلة

والرحمن : صفة مبالغمة من الرحمة ، ومعناها : إنه انتهى إلى غاية الرحمة كما يدل سكران وغضببان على نهاية السكر والغضب^(١) . وهي صفة تختص بالله ولا تطلق على البشر وهي أبلغ من فعيل ، وفعليل أبلغ من فاعل لأن راحماً يقال لمن رَحِمَ ولو مرة واحدة ، ورحيماً يقال لمن كثرت منه ذلك ، والرحمن النهاية في الرحمة .

وقال بعض الناس : الرحمن الرحيم بمعنى واحد كالندمان والنديم . نعم إنهما من فعل واحد ، ولكن أحدهما أبلغ من الآخر .

وأما المفسرون فعبروا عن الرحمن الرحيم بعبارات ، فمنها : أن العرزمي قال : معناه الرحمن بجميع خلقه في الأمطار ونعم الحواس ، والنعم العامة ، الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم واللطف بهم .

ومنها : أن أبا سعيد الخدري ، وابن مسعود روي أن رسول الله عليه السلام قال : الرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة .

وقال أبو علي الفارسي : الرحمن إسم علم في جميع أنواع الرحمة يختص به الله ، والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين كما قال تعالى : (س ٣٣ آ ٤٣) : « وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » .

قال أبو محمد : وهذه كلها أقوال تتعاضد . وقال عطاء الخراساني : كان الرحمن ، فلما اختزل وسمى به مسيامة الكذاب قال الله لنفسه الرحمن الرحيم . فهذا

(١) في الأصل : يدل على انتهاء سكران وغضببان .

الاقتران بين الصفتين ليس لأحد إلا الله تعالى . وهذا قول ضعيف لأن بسم الله الرحمن الرحيم كان قبل أن ينجم أمر مسيلة ، وأيضاً فتسمى مسيلة بهذا لم يكن مما تأصل وثبت .

وقال قوم : إن العرب كانت لاتعرف لفظة الرحمن ، ولا كانت في لغتها واستدلوا على ذلك بقول العرب : (س ٢٥ آ ٦٠) « وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا » ؟ وهذا القول ضعيف ، وإنما وقفت العرب على تعيين الإله الذي أمروا بالسجود له لا على نفس اللفظة . واختلف في وصل الرحيم بالحمد . فروى عن أم سلمة ، عن النبي عليه السلام : الرَّحِيمُ الْحَمْدُ تسكن الميم ويوقف عليها ويبتدأ بألف مقطوعة . وقرأ به قوم من الكوفيين ، وقرأ جمهور الناس الرحيم الحمد يعرب الرحيم بالخفض وتوصل الألف من الحمد . ومن يشأ أن يقدر أنه أسكن الميم ثم وصل حركتها للالتقاء ولم يعتد بألف الوصل فذلك سائغ . والأول أخصر . وحكى الكسائي عن بعض العرب أنها تقرأ الرحيم الحمد بفتح الميم وصلة الألف كأنه سكنت الميم وقطعت الألف ، ثم أقيت حركتها على الميم وحذفت ، ولم ترو هذه القراءة عن أحد فيما علمت ، وهذا هو نظريحي بن زياد في قوله تعالى : (س ١٣ آ ١) « الم الله » .

بيان الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
٥	١٤	الْحَدِيثَ	الْحَدِيثِ	١١٢	١٨	١٧٢ آ	١٧٧ آ
١٣	٢١	سَرِيحَ	سَرِيح	١١٨	٧	خَوْفَ عَلَيْكُمْ	خَوْفُ عَلَيْكُمْ
١٧	١٣	الْأَنْبَارِي	الْأَنْمَارِي	١٢٠	١٢	أَلَا نَفْسُ	أَلَا نَفْسُ
٣١	١٤	هُدًى	هُدًى	»	١٦	عبد الرحمن	عبد الله
٤٦	٢٠	إِنَّا	إِنَّا	١٢٣	١٥	فَشَرُّوا	فَشَرُّوا
٦٢	٧	مِنْكُمْ	مِنْكُمْ	١٢٧	١	وَقَالَ	قال
»	١١	تَتَّخِذُونَ	تَتَّخِذُونَ	١٢٨	٤	أَتَتْ	آتَتْ
٦٩	١٠	عَلَيْكُمْ	عَلَيْكُمْ	١٣١	١٢	كَانُوا أَشَدَّ	كَانُوا هُمْ أَشَدَّ
٨٠	٥	نَجْدَ	نَجْدَةَ	»	١٣	آ ٢٣) « حَتَّى	آ ٢٢) « حَتَّى
٨٣	٧	س ٣٢	س ٣٣	»	١٥	شَرُّابًا	شَرُّابًا
٨٥	١٩	س ٣	س ٢	١٣٢	٢٠	س ٢٢	س ٢٣
»	»	نَأَتْ	نَأَتْ	١٣٣	٩	خَوْفَ	خَوْفَ
٩٠	٣	الحسين	الحسن	١٤٨	١٤	بالراي	بالزاي
»	٤	عن معقل بن عبد الله	ومعقل بن عبيد الله	١٤٩	٨	آ ٢٤٨	آ ٢٤٧
٩٨	٥	وَأَخْرَيْنَ	وَأَخْرَيْنَ	١٥٢	١١	س ٣	س ٢
»	٧	أَمَّنُوا	أَمَّنُوا	١٥٥	٢٠	أَنْذَرْتَهُمْ	أَنْذَرْتَهُمْ
»	١٣	عَلَيْهِمْ	عَلَيْهِمْ	»	»	ثَمُودًا	ثَمُودًا
٩٩	١١	آ ٦٨	آ ٦٧	»	٧٦	ثَمُودًا	ثَمُودًا

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
١٧٣	٣	أبو عمرو وعثمان	أبو عمرو وعثمان	٢٣١	١٨	تَقَرُّبُوا	تَقَرُّبُوا
١٧٦	١٥	الْحَدِيثَ	الْحَدِيثِ	٢٣٧	١٣	قَدَمْتُ أَنْفُسَهُمْ	قَدَمْتُ لَهُمْ
»	٢٠	س ١١٣	س ١١٢			أَنْفُسَهُمْ	أَنْفُسَهُمْ
»	٢١	إِلَهُ	إِلَهِ	٢٣٨	٤	إِذَا	إِذَا
١٧٨	١٧	نَجَوِيكُمْ	نَجَوَاكُمْ	»	٦	آ ٦٥	آ ٦٠
»	١٩	عِنْدَ	عِنْدَ	»	١٨	يَخْرُجُونَ	يَخْرُجُونَ
١٨٣	١٠	جَبِيلَةَ	جَبِيلَةَ	٢٤٠	٢٢	بن نصر	بن نصر
١٩٢	٢٣	جدعان	جدعان	٢٤٤	٧	الْبَيْتِ	الْبَيْتِ
١٩٣	١٤	حبير	حبير	٢٤٥	٢١	الحسن بن أحمد	الحسين بن أحمد
٢٠١	٨	لُدًّا	لُدًّا				
»	١٣	س ٢٠	س ٢١				
»	»	لَهُمْ	لَهُمْ				
٢٠٣	١٠	الْمُرُوءَةَ	الْمُرُوءَةَ				
٢٠٦	٣	أَمْوَالَكُمْ	أَمْوَالَكُمْ				
٢١٠	١٤	حكيم حرام	حكيم بن حزام				
٢١٧	٦	س ٣٧	س ٣٦				
٢٢٥	٥	وَعَذَابٍ	بِعَذَابٍ				
»	١٠	٢٠١	١٧١				
٢٢٦	٢	لَثَلَا	لَثَلَا				
٢٣٠	٧	لابي كعب	لابي بن كعب				
٢٣١	٨	تَقَرُّبُهُنَّ	تَقَرُّبُهُنَّ				

فهرس الأعلام

١١٥ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ،

١٦٥ ، ١٨٦

ابن ثلثة انظر - محمد بن أحمد

ابن جريج ٣٣ ، ٣٤

ابن الزبير (عبد الله) ١٩ ، ٨٥ ، ١٠٢ ،

١١١ ، ٢٧٥

ابن سيرين ٤٩ ، ٩٣ ، ١٢٩ ، ١٩٧ ،

٢٢٩ ، ٢٤٦ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥

ابن شهاب انظر - الزهرى

ابن شهاب عبد ربّه ٨٠

ابن عامر (عبد الله) (قارىء أهل

الشام) ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨

ابن عباس ٨ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٧ ،

٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ،

٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٨٥ ، ٩٠ ،

٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٦ ، ١٢٧ ،

١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ،

١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،

٢١٣ ، ٢٣٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

(١)

أبان ٨٦ ، ٢٣٥

أبان بن سعيد بن العاص (الأموى)

٢١ ، ٢٧٥

إبراهيم بن سعد بن سعد الزهرى (١)

١٧ ، ١٨ ، ٤٤

إبراهيم بن طهمان ٢٣٥

إبراهيم بن محمد الطرماحى ٢٨

إبراهيم بن المطيب ٨٦

إبراهيم بن المهاجر ٢٦

إبراهيم بن مهديّ ٩٤

إبراهيم بن يوسف ١٠ ، ١٢ ،

إبراهيم التيمى ٢٤٢

إبراهيم (النخعى) ٢٨ ، ٣٥ ، ٩٥ ،

٢٣٠ ، ٢٨٥

ابن أبى إسحاق (عبد الله) ١٥٦

ابن أبى السرى ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ،

ابن أبى شيبه (أبو بكر) ٣٥ ، ٤٣ ، ٥٥

ابن أبى مليكة ٦٣ ، ٩٩ ، ١٩٣ ، ١٩٨

ابن الأنبارى ٨٤ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٣

(١) فى تهذيب التهذيب لابن حجر

١٢١٠:١ هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم

٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،

٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٣ ،

ابن المسيب انظر - سعيد بن المسيب
أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريف

٤٠ ، ٦٤ ، ٩٠

أبو الأحوص ٢٩

أبو إدريس الخولاني ٩١

أبو إسحاق ٢٧ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥١ ،

٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٢١١

أبو إسحاق الحليسي ١٤٠

أبو إسماعيل المؤدب ٩٤

أبو الأسود الدؤلي ١١٥ ، ٢٧٦ ،

أبو الأشعث ١٦٥

أبو أمامة ٦٠ ، ٦٤

أبو بردة ٢٧

أبو بشر ٥٥

أبو بكر (راوى عاصم الكوفي) ١٦٨

أبو بكر الصديق ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ،

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ،

٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٣ ،

٤٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٨ ،

٦٠ ، ٦٣ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ،

٨٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٠ ،

١٤٠ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ،

١٩٠ ، ٢٦٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٨ .

٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،

٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ،

ابن عمر ٩٤ ، ١٤٠

ابن عون ٩٣ ، ١٠٢

ابن عيينة = انظر - سفيان بن عيينة

ابن فضيل ٩٤ ، ١٤١

ابن كثير (قارىء أهل مكة) ٨٤ ،

٩٢ ، ١٠٢ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ،

١٥٧ ، ٢٤٦ ،

ابن المبارك ٢٨٨

ابن مجاهد ٢٧٦

ابن محيصن ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٩

ابن مسعود ١٣ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ،

٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ،

٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٧ ،

٥٩ ، ٧٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١١٣ ،

١٤٠ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٠ ،

٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،

٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٨ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ،

أبو الحسين محمد بن حامد انظر -

محمد بن حامد

أبو حمزة ١١٦

أبو حنيفة ٢٨٨، ٢٨٥، ٢٣٠، ١٧٠

أبو خزيمة (الأنصاري) ٢٧٥، ١٩، ١٨

أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ٤٠

أبو ذؤاد ١١٣

أبو الدرداء ٢٦٠، ٢٣٠، ٢٢٩

أبو ذرّ ٩٥، ٥٠

أبو ذرّ عثمان ١١٥

أبو ذؤيب ٢٢٣

أبو الربيع ١٦٥

أبو رجاء العطاردي ٥٥، ٤٢

أبو الزبير ٢٩

أبو الزناد ١١٢

أبو زياد ٥٥

أبو زيد الأنصاري ٢٨٢

أبو سعيد الاصطخري (القاضي)

٢٠٨، ٢٠٧

أبو سعيد الخدري ٢٩٣

أبو سعيد محمد بن يوسف الجوسقي ٢٨

أبو سفيان بن الحارث ١٨٨

أبو سفيان سعيد بن مسلم ٩٤

أبو سلمة ٢٩

أبو سلمة بن عبد الرحمن ٤٢

أبو بكر بن أبي شيبة انظر - ابن أبي شيبة

أبو بكر بن الطيب ٢٦٥، ٢٦٦،

٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٥

أبو بكر بن عياش ٤١، ١٠٣، ١٩٧

أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ١٠٠

أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس ٢٨

أبو جعفر (المدني) وهو يزيد بن

القعقاع ٩٢، ٢٤٧

أبو جعفر الرواس ١٦٦

أبو جعفر محمد بن أحمد بن جعفر ٨٦، ٨٧

أبو جعفر محمد بن معاذ الماليني ٥٣

أبو الجلد ٢٣٥

أبو حاتم السجستاني ٢٢١

أبو حارث بن الأسود ٦٧

أبو الحارث بن أبي الأسود ٩٩

أبو حاضر ١٩٨

أبو حذيفة ٤٤، ٥٥

أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن

مطرف الجراحي ٩٤

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي

السري البكائي ١٧ - انظر - ابن

أبي السري

أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد

الدراق ٩٤

أبو الحسن الكارزي ٢٨

أبو عبيد (القاسم بن سلام) ٣٣ ،

١٦٥ ، ٢١٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠

أبو عبيدة ٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٧٧ ،

٢٨٤

أبو عبيدة معمر بن المثنى ١٣٦

أبو عثمان ١١٣

أبو علي ٢١٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٤

أبو علي أحمد بن محمد بن يحيى السجستاني

١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ،

٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،

أبو علي الفارسي ٢٦٤ ، ٢٩٣

أبو عمار الحسين بن حارث ٣٠

أبو عمر (راوي الكسائي) ١٦٨

أبو عمرو ٢٧٧

أبو عمرو بن العلاء (قارىء أهل البصرة)

٦١ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١١٢ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥ ،

١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٢٦ ،

أبو عمرو عثمان بن بقية المازني ١٧٣ ،

١٧٤

أبو عمرو المسرافي ٢٧٦

أبو عون ١٠٢

أبو عيسى الترمذي ٢٧

أبو الفرج ٢٧٦

أبو السمال ٢٧٤

أبو سهل محمد بن محمد بن علي الطالقاني

الأتماري ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ،

١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٩ ،

٥١ ، ٥٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ،

أبو الشعثاء ٣٠ ، ١٨٩

أبو شعيب الحراني ٩٤

أبو صالح ٨ ، ٢٩ ، ٤١ ، ١٤١ ،

١٩٩ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٦٤ ،

أبو صالح باذام (باذان) مولى أم هاني

١٩٦ ، ١٩٧

أبو طلحة شريح بن عبد الكريم

التميمي ١٣

أبو ظبيان ٢٥

أبو العالية الرياحي ١٩٦ ، ٢٦٢

أبو العباس أحمد بن يحيى ٢١٨

أبو العباس محمد بن محمد الأنصاري ٥٣

أبو عبد الرحمن السلمي انظر - السلمي

أبو عبد الرحمن ١٩٣

أبو عبد الله محمد بن علي ٨ ، ١٦ ،

١٧ ، ٥٣ ،

أبو عبد الله محمد بن المنتصر ٦٤

أبو عبد الله محمد بن الهيصم انظر -

محمد بن الهيصم

أبو عبد الله محمد بن يزيد النيسابوري ٥٥

- أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي -
انظر جعفر الصادق
أبو الفضل العباس بن حماد بن فضالة ٦٤
أبو القاسم عبد الله بن محمّاذ ٨، ١٦
أبو القاسم ٢٨٦
أبو قرة ٤٢
أبو كبير الهذلي ٢٢٦
أبو لهب ٧٤
أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن سليم ١٣
أبو مخلد لاحق بن حميد ١٩٦
أبو المعالي ٢٨١
أبو معاوية ٣٥
أبو المنذر - انظر يوسف بن عطية
أبو منصور الأزهرى (محمد بن أحمد)
٣٧، ٥٧
أبو منصور الحسن بن أحمد ٢٧
أبو موسى ٤٢، ٢١٢
أبو موسى الأشعري ٥١، ٩٧، ٩٩
١٠١، ٢٧٧
أبو مية ١٧
أبو ميسرة ٢١١، ٢١٢
أبو النجم ١٣٣
أبو النضر محمد بن علي الطالقاني ٨،
١٠، ١٢، ٥١، ٢٤٠
أبو نضرة ١٩٣
أبو نمير ٢٨
أبو هريرة ٢٩، ٩٢، ١٤١، ١٩٢،
٢٢٢، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٨٧، ٢٨٨
أبو وائل ٣٠، ٩٥
أبو واقد ٢٩
أبو الوليد ٥١
أبو يعقوب يوسف بن علي الطالقاني ١٣
أبو يعقوب يوسف بن موسى ٢٠
أبو يعلى الموصلى ٩٤
أبو يوسف (قاضي القضاة) ١٩٧
أبي بن كعب ٢٤، ٣٤، ٣٥، ٤٢،
٤٤، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠،
٥١، ٥٢، ٦٤، ٦٥، ٧٤،
٧٥، ٧٦، ٨٢، ٨٣، ٨٤،
٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١،
٩٢، ٩٥، ١٠٢، ١١٣، ١٢٣،
١٤٠، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٢٧،
٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣،
٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨،
٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥،
٢٨٧، ٢٨٨
الأجلح ١٩٨
أحمد بن عبد الله بن يونس ١٤٠
أحمد بن عبد الملك بن واقد الحراني ٩٤
أحمد بن محمد (من ولد القاسم) ٢٣٥، ٢٤٥

الأعرج انظر - حميد الأعرج
 الأعشى (الشاعر) ٢٧٩، ٢١٤، ٣٢، ٢٨٦، ٢٩٠
 أعشى الحرمان ١٣٦
 الأعمش (سليمان بن مهران) ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٥، ٥٤، ٩٤
 ٢٨٨، ٢٧٧، ١٦٦، ١٤١، ٩٥
 أم هانئ بنت أبي طالب ١٩٧، ١٩٦
 أم سلمة ٢٨١، ٢٩٤
 امرؤ القيس ٣٧، ١٥٧، ١٧٧
 أمية بن أبي الصلت ٢٨٦
 أنس بن مالك ١٨، ٢٧، ٢٩، ٨٦
 ١٤٠، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٦
 ٢٢٩، ٢٣١، ٢٥٦، ٢٥٧
 ٢٥٨، ٢٧٢
 الأتماري انظر - أبو سهل سويد
 بن سعيد
 أوس (الشاعر) ٢٨٢
 إياس بن معاوية ٢٦٢
 (ب)

البخاري ٤٤، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٧٢
 ٢٧٥، ٢٧٣
 البراء بن عازب ٢٩، ٤١، ١٩٠
 ٢١٣

أحمد بن محمد بن الجراح ٩٤
 أحمد بن محمد الشقيرى الكوفي ١٤١
 أحمد بن منصور الرمادي ٢٠٨، ٢٠٧
 أحمد بن نجدة بن العدنان ٨٠
 أحمد بن الهيثم ١٤٠
 أحمد بن يحيى ثعلب انظر - ثعلب
 أحمد بن يحيى الحلواني ١٤٠، ١٤١
 ١٤٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٤
 ١٥٦، ١٥٧، ١٦١، ١٦٥
 ١٦٧، ١٦٩
 الأخفش ١٦١، ١٩٧، ١٩٨، ٢٩٠
 إدريس بن عبد الكريم ١٤٦
 إدريس الحداد ١٤١
 أراكة ٢٢٥
 الأزهرى ٢١٨
 أسامة ٢٤
 إسحاق ٣٤
 إسحاق (راوى نافع المدني) ١٦٣
 إسحاق بن إبراهيم (البُستى) ٣٥
 ٣٧، ٥٣
 إسحاق بن الحسن بن صدقة الجوزجاني ١٣
 إسرائيل ٤٤، ٢٢٣
 إسماعيل بن جعفر ٢٤٦
 إسماعيل بن محمد البغدادي ٥١
 أسيد بن حضير ٣٠، ٢٥٩

جمعة بن عبد الله (أبو بكر السامي

البلخي) ١٧

(ح)

الحارث ٥٩

حازم بن حسين ١٤٠

حبيلة ١٨٣

حترش بن ثمال ٢٢١

حجاج ٣٣

الحجاج بن منهل ٢٣٩

الحجاج بن يوسف ٢٥٠ ، ٢٧٦

حذيفة ٢٨ ، ٩٧

حذيفة بن اليمان ١٨ ، ٢٢ ، ٢٧٣ ،

٢٧٥

حسان بن ثابت ٥٨ ، ٢٨٣

حسان الجعفي ٢٣ ، ٢٨٨

الحسن ٨٠ ، ١٧٦ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ ،

٢٨٥ ، ٢٧٦ ، ٢٦٢ ، ٢٣٢

الحسن البصري ١٢٩ ، ١٦٨ ، ١٩٦ ،

١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١

الحسن بن أبي الحسن ٢٦٠ ، ٢٦٤

الحسن بن الحسن المروزي ٢٨

الحسن بن ذكوان ٢١٥

الحسن بن الربيع ١٤٠

البريق (الشاعر) ٢٢٣

بشر بن أبي حازم ١٠٨

بكير بن عبد الله بن الأشج ٥١

بلال ٢٩

(ت)

تأبط شرًا (الشاعر) ١٨٨

الترمذي ٢٧٥

(ث)

ثابت ١٤٦ ، ١٩٧

ثابت بن قيس ٢٥٩ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠

ثعلب (أحمد بن يحيى) ١٢٧ ، ١٣٩

(ج)

جابر ٢٩

جابر بن عبد الله ٤٢ ، ٢٦٢ ، ٢٨٧ ،

٢٨٨

الجاحظ ٢٧٦

جرير (الشاعر) ٧٦ ، ٢٧٩

جرير بن حازم ٥٧

جرير بن عبد الحميد ٢٠٢

جعفر بن محمد انظر - جعفر الصادق

جعفر الصادق ١٣ ، ١٧٥ ، ٢١٢ ،

٢٨٧ ، ٢٥٧

الجعفي انظر - حسان الجعفي

الحسن بن سفيان ١٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ،

٣٥ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٩٠

الحسن بن الطيب بن حمزة الشجاعى ١٧

الحسين بن أحمد بن قيصر الدامغانى ٥٦

الحسين بن أحمد الزعفرانى ٢٤٥ ، ٢٣٥

الحسين بن الحسن المروزى ٥٣

الحسين بن عبد الله بن أيوب الحرّمى ٤١

حفص ٢٨

حفصة بنت عمر ١٨ ، ٢٢ ، ٦٤ ، ٢٧٥

حماد بن سلمة ٩٧ ، ١٩٧ ، ٢٣٠

حماد بن زيد ١٤ ، ١٨٣

حماد بن سلمة ١١٥

الحمانى (راشد أبو محمد) ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،

٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦

حمزة بن جبلة ١٤٦

حمزة الزيات (قارىء أهل الكوفة)

١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ،

١٦٦ ، ٢٨٧

حميد الأعرج ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧

حميد بن سعيد ٢٥٧

حميد بن عمرو ٢٣٥ ، ٢٤٦

(خ)

خارجة بن زيد (بن ثابت) ١٩ ،

٢٠ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ١١٢

خارجة بن مُصعب ٢٠

خالد بن سلمة الخزومى ١١٥

خالد الخذاء ٥٣

خديجة (زوج النبي) ٤٢ ، ٢٨٩

خزيمة بن ثابت (الأنصارى) ١٨ ،

٢١ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

خلفه ١٤٦

الخليل بن أحمد ٥٣ ، ١٠٥ ، ١٦٠ ،

١٧٣ ، ٢٩٢

خليل بن سالم البراد البصرى انظر -

سالم البراد

خيشمة ٩٤

(د)

داود ٤٣

داود بن أبى هند ٩٩

داود بن خالد ١٩٢

دعلج بن أحمد ٥٥

(ذ)

الذمارى (يحيى بن أبى الحارث) ٢٤٧

ذو الرمة (الشاعر) ٢٢٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩

(ر)

راشد أبو محمد الحمانى انظر - الحمانى

الربيع بن خثيم ٧٧ ، ١٨٤ ، ١٩٤

٣١ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ،

٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ،

٥٢ ، ٧٤ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٥ ،

٢٢٧ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

زيد بن عبد الواحد (أبو المعافى) ٢٤٦

(س)

ساعدة بن جوية ٢٢٦

سالم (مولى أبي حذيفة) ٩٥،٩٤،٤٤

سالم بن عبد الله ١٨٣

سالم بن محلق ١٩٧

سالم البراد البصرى ٥٣

السدّى (إسماعيل) ١٩٧، ٢١٢، ٢٦٤

السرى ٢٣

السرى بن إسماعيل ٢٣

سعد بن معاذ ٢٨٢

سعيد ٥٥

سعيد بن إبراهيم ١١٥

سعيد بن أبي عروبة ٢٣١

سعيد بن جبير ٤١، ٥٣، ٥٤، ٥٥،

٨٥، ٩٠، ٩٢، ١٩٣، ١٩٦،

٢١٢، ٢١٣، ٢٦٣، ٢٦٤

سعيد بن العاص ١٩، ٤٥، ٥٢، ٢٧٥

سعيد بن المسيب ١٤، ٣٧، ٥١،

٧٩، ١٨٣، ٢٦٣

ربيعة بن أبي عبد الرحمن ١٩٢

الرمادى ٥١، ٢٠٨، انظر - أحمد

ابن منصور

(ز)

زائدة ٢٥

الزبيدي ٢٧٦

الزبير (بن العوام) ١٤٠، ١٩٢،

الزبير أبو خالد ١١٥

الزجاج (أبو إسحاق) ١٩٨، ٢٦٤،

زر بن حبش ٨٢، ٨٤، ٩١، ٩٢،

١٠٣، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٨،

الزغفرانى ٢٤٦

الزهرأوى ٢٨٥

الزهرى (مسلم بن شهاب) ١٧، ١٨،

١٩، ٢٠، ٢٢، ٣١، ٣٢،

٣٧، ٣٨، ٤٤، ٥٧، ١٤٠،

١٩٢، ٢٠٧، ٢٦٥

زهير ٣٢، ٩٤، ١٤٠

زياد بن أبي سفیان ٢٧٦

زياد بن علاقة ٢٢٣

زيد بن أبي أنيسة ٥١

زيد بن أسلم ٦٤

زيد بن ثابت ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠،

٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٣٠،

سعيد بن منصور ٨٠

سفيان ٢٣ ، ٣٠ ، ٩٧

سفيان (بن عيينة) ١٣ ، ٢٣ ، ٣٧ ،

٤١ ، ٥٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٤٦ ،

١٩٧ ، ٢٢٣

سفيان الثوري ٢٨ ، ١٩٧

سامة ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ،

سامة بن ثمام ٢١٣

سامة بن عبد الرحمن ٢٠٨

سامة بن كهيل ٥٥

السلي (أبو عبد الرحمن) ٢٥ ، ٥١ ،

٦٠ ، ١٠٣ ، ٢٤٦ ،

سلمان بن سالم ٢٨٦

سليمان بن حرب المكي ١٤

سليمان بن مهران انظر - الأعمش

السمول بن عاديا ١٨٩

سويد بن سعيد الأثماري ١٧

سويد بن عطية ٤٥ ، ٤٦ ،

سيبويه ١٣١ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ،

٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩

(ش)

الشافعي ١٠١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨

شبابه ٤٤

شبل بن عباد ١٤٦ ، ١٦٩

شجاع بن أبي نصر ١٦٣

الشعبي (هو عامر الشعبي) ٢٣ ، ٦٣ ،

١٨٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٨٨ ،

شعيب ٩١

شقيق (بن سلمة) ٥٤

شهاب بن شريقة ٢٣٦ ، ٢٤١ ،

شيبه بن نصاح ٢٤٦

(ص)

صالح بن علي ١٦٦

صالح بن محمد الترمذي ٨

صبيح ١٠٢

صعصعة بن صوحان ٢٣

صفوان بن يعلى بن مئنة ٨٦

صهم بن جوهر ١٣٧

(ض)

الضحاك بن مزاحم ١٩٦ ، ٢٦٤ ،

(ط)

طاؤس ٥٤

الطبري (محمد بن جرير) ٢٦٤ ، ٢٧٤ ،

٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٩١ ،

طرفة (الشاعر) ١٢٦

طلحة بن زيد الأنصارى ٢٨

طلحة (بن عبيد الله) ١٤٠ ، ١٩٢ ،

طلحة بن عمرو ١٩٨

(ع)

عائشة (زوج النبي) ١٦ ، ٣٣ ، ٣٤ ،

٨١ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٠ ،

١٠٤ ، ١١٥ ، ١٨٣ ، ١٩١ ،

٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٦٣ ،

عاصم (قارىء أهل الكوفة) =

عاصم بن أبي النجود ٨٤ ، ٩١ ،

١٠٣ ، ١١٣ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ،

عاصم بن كليب ٥٣ ، ٥٤ ،

عاصم الجحدري ١١٢ ، ١١٣ ، ١٦٠ ،

٢٤٧

عاصم بن عبد الله بن الزبير ١٩٢

عاصم الشعبي انظر - الشعبي

عباد بن العوام ٤٣

عباد بن كثير ١٤٠

عبادة بن الصامت ٨٦

العباس بن إبراهيم القراطيسي ١٤١

العباس بن سهل ٨٥

العباس بن عبد المطلب ٢٧

عبد بن أبو زيد ٢٨

عبد بن حميد ١٩٨

عبد خير ٢٣

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ١٩ ،

٢٧٥

عبد الرحمن بن شماس المهرى ٤٩

عبد الرحمن بن عبد القاهر ٢٠٧

عبد الرحمن بن عوف ٥٢ ، ٥٧ ،

٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

عبد الرحمن بن القاسم ٥١

عبد الرحمن بن مهدي ١٧ ، ٩٩ ،

عبد الرحمن بن يزيد ٩٣

عبد الرزاق (بن همام) ٥١ ، ١٩٢ ،

٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٦٤ ،

عبد العزيز بن محمد بن عمار بن غزية

٢٢ ، ٣٣ ،

عبد الله بن أبي إسحاق انظر - ابن

أبي إسحاق

عبد الله بن أبي بكر ٨٧

عبد الله بن بريدة ٢١٣

عبد الله بن الزبير ٢٠١

عبد الله بن الزبير انظر - ابن الزبير

عبد الله بن عباس انظر - ابن عباس

عبد الله بن عبيد الله بن كرز ١٤٠

عبد الله بن عمر ٢٢ ، ١٨٣ ، ١٩٩ ،

عبد الله بن عمرو بن العاص ٢٧ ،

٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ،

٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٠ ،

٦١ ، ٦٤ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٨ ،

٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٣ ،

١٤٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٢ ، ٢٦٨ ،

٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ،

عثمان بن الهيثم ٤٠

العجاج ١٩٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٢ ،

عروة بن (الزير) ١٠٤ ، ١١٥ ، ٢٠٧ ،

عطاء (بن أبي رباح) ٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ،

عطاء الخراساني ٢٩٣

عطاء بن السائب ٥٤

عطية بن قيس ٩١

عقيل بن خالد ١٤٠

عكرمة (مولى ابن عباس) ٤٣ ، ٥٣ ،

٥٧ ، ٨٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ،

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٦٤ ،

عكرمة بن خالد ٩٠

عكرمة بن أبي جهل ١٩٦

عكرمة بن سليمان ٢٤٦

العلاء بن المسيب ٢٨ ، ٢٠٢ ،

علقمة ٣٥ ، ٩٥ ، ٢٦٤ ،

علقمة بن قيس ٨٥

علقمة بن مرثد ٤٥

على ٨٦

على بن أبي الحسين ٢٨٧

عبد الله بن كثير انظر - ابن كثير

عبد الله بن المبارك ٢٨ ، ١٩٧ ،

عبد الله بن محمد بن سليم ٨

عبد الله بن مسعود انظر - ابن

مسعود

عبد الملك (بن عبد الرحمن) ٢٣٦ ،

٢٣٧ ، ٢٤١ ،

عبد الملك بن مروان ٢٧٦

عبد الملك بن ميسرة ١٩٦

عبد الواحد بن زياد ٥٣

عبد الوارث بن سعيد ٥٣

عبيد بن الأبرص ٧٦

عبيد بن أسباط بن محمد القرشي ٢٧

عبيد بن السباق ١٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٤ ،

عبيد بن عقيل ٢٠ ، ١٤٦ ،

عبيد الله بن عتبة ٥٧

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة (الزهري

عنه) ٢٠ ، ٣٧ ،

عبيدة ٢٨ ، ٦٣ ،

عبيدة السلماني ٢٨

عتبة بن عامر ٢٦٠

عثمان بن عطاء (الخراساني) ١٠ ، ١٣ ،

عثمان (بن عفان) ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ،

٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ،

٣٤ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ،

٣١ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٩ ،
 ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
 ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
 ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ،
 ٨٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
 ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٤٠ ،
 ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ،
 ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ،
 ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،
 ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

عمر بن عبد العزيز ٢٠٢

عمر بن هارون ١٠ ، ١٢

عمران بن حصين ١٩٣

عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن

زرارة ٨٧ ، ١٠٠

عمرو ١٤٦

عمرو بن حزم ٨٩

عمرو بن دينار ٤١ ، ٥٤ ، ٩٩ ، ١٠٢

عمرو بن شرحبيل ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٨٩

عمرو بن العاص ٢٧٧

عمرو بن عبيد الجعفي ٢٨٨

عمرو بن مرة ٢٨ ، ١٨٧

عمرو بن ميمون بن مهران ١٩٨

عنقرة (الشاعر) ٢٢٥

علي بن أبي طالب ١٤ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٣ ،

٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٨ ، ٨٥ ،

٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٤٠ ،

١٨٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ،

٢٤٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤

علي بن أبي طلحة ١٩٦ ، ٢٦٤

علي بن الأثرم ٢٥٩

علي بن أحمد بن موسى (الفقيه

الفارسي) ١٧٢

علي بن الحسين ٣٠

علي بن زيد ٩٧

علي بن زيد بن جذعان ١٤ ، ١٩٢ ،

١٩٣

علي بن عاصم ٩٩

علي بن عبد العزيز ١٧

عمار ٨٦

عمار بن رجاء ٥٦

عمارة بن الوليد ٢٧٧

عمارة بن غزية ٢٠

عمارة ٢١٣

عمر بن أبي زائدة ٢١٢

عمر بن أحمد اسماعيل الشنغامي ٥٣

عمر (بن الخطاب) ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ،

٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ،

١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢١٣،

٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٨٢،

فتيبة بن سعيد ٢٢

قطبة بن مالك ٢٢٣، ٢٧١،

قطرب ١٩٨

القطعي - انظر محمد بن يحيى

قيس بن مروان ٩٤

(ك)

الكسائي ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١١،

١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧،

١٦٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨،

١٩٧، ٢٥٩، ١٨٤، ٢٩٠،

٢٩٤

كعب (الأخبار) ١٩٩

كعب بن عمرو ١١٥

كعب بن لؤي ١١٥

الكلبي - انظر محمد بن السائب

(ل)

ليبد بن أعصم (اليهودي) ١٦

ليبد (الشاعر) ٢٢٠، ٢٩١،

ليث ١٧٣

الليث بن سعد ٣٧

(م)

المازني ١٣٠

العوام بن حوشبة ٦٠

عوف (بن أبي جميلة) ٤٠

عوف الأعرابي ٨٠

العيزار ٤٥

عيسى بن أحمد القستلاني ٣٣

(غ)

غفار بن مسلم الصفار ٩٧

(ف)

الفراء ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨،

١٠٩، ١١٠، ١٢٤، ١٢٥،

١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢،

١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١،

١٤٤، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩،

١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠،

١٦١، ١٦٦، ١٩٧، ١٩٨،

٢٨٤

الفرزدق ٧٦، ٢٧٩

الفضل بن العباس ١٣٦

(ق)

القاسم بن أبي بزة ١٣٥، ٢٤٥،

القاسم بن الحكم ١٢٣

القاسم بن محمد ١٨٣

قالون (راوى نافع المدني) ١٥٢، ١٦٠،

قتادة (بن دعامة) ٢٩، ٥١، ١١٥،

محمد بن حاتم الجوزجاني ١٠ ، ١٢ ،
٢٢ ، ٣٣ ، ٣٤

محمد بن حامد بن هارون (أبو الحسن) ١٧

محمد بن خالد البرزاز ٢٣٥ ، ٢٤٥

محمد بن السائب (الكلبي) ٤١ ،

١٧٦ ، ١٩٧

محمد بن سلامة ٥١

محمد بن شراحيل ١٨٧

محمد بن عبد الرحيم ١٦٥

محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ٨٠

محمد بن عبد الله بن نمير ٩٤

محمد بن علي ٢٧ ، ٨٥

محمد بن عيسى البياضي ١٤٠

محمد بن غالب ٥٥

محمد بن فراس (الطالقاني) ١٣

محمد بن الفضل بن نباتة ٤٩

محمد بن كعب القرظي ٤٧ ، ٢٥٩

محمد بن المثني ٣٥

محمد بن مروان الكلبي ٨

محمد بن مطهر بن خالد الربعي ٢٤١

محمد بن نصر الطالقاني ٤٩

محمد بن الهيصم (أبو عبد الله) ٤٧ ،

١٧٠ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ،

٢١٧ ، ٢٤٠

محمد بن يحيى القطعي ٢٠ ، ١٤٠ ،

مالك بن أنس ١٠٠ ، ١٠١ ، ٢٠٣ ،

٢٣٥ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢

مالك بن دينار ١٤٠

مالك بن سليمان الهروي ١٩٨ ، ٢٣٥

المأمون (الخليفة) ١٩٠ ، ٢٧٦

المبرد (أبو العباس) ٢٧٠ ، ٢٧٦

المتلمس ١٠٩

مجالد ٢٣

مجاهد (بن جبر) ١٣ ، ٢٦ ، ٩٢ ،

١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢١٢ ،

٢١٣ ، ٢٤٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،

٢٦٤

محبّر بن محمد ١٣

محبوب ١٤٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤١

محمد بن إبراهيم بن بومرد ٥٦

محمد بن أبي العالية ٢٣٥

محمد بن أحمد بن جعفر ٢٧

محمد بن أحمد بن حماد (ابن ثلة) ٢٧ ،

٩٤

محمد بن الأزهرى ١٣ انظر - أبو منصور

محمد بن إسحاق السعدي ٣٧ ، ٥٧ ،

٨٦

محمد بن جرير : انظر - الطبري

محمد بن جهم ١٠٢

محمد بن الجهم ١٤٩

المنذرى ٢١٨

منصور ١٣ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٣٠

منصور بن العباس (البوسنجي) ١٧ ،

٣٠ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٥

المهدوى (أبو العباس) ٢٥٥ ، ٢٦٤ ، ٢٨٦

موسى بن إسماعيل ٤٤

موسى بن عيسى أبو عمران الطالقاني ٢٢

مولك ٣٠

ميمونة (زوج النبي) ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦

ميمون بن قيس ٢٨٣

(ن)

النابعة (الشاعر) ١٣٧ ، ٢٨٤

نافع بن أبي نعيم (قارىء أهل المدينة)

٩٩ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ،

١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٨٣

النحاس (أبو جعفر) ٢٦٤

نصر بن عاصم ٢٧٦

النضر بن شميل ١٩٠

النعمان بن بشير ٢٩

النقاش (أبو بكر) ٢٦٤ ، ٢٩٢

نهيك بن سنان ٣٠

(هـ)

الهادى (الإمام أبو عبد الله محمد بن

كرام) ٢٠٩ ، ٢١٠

هرمز بن كثير ٦٤

٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠

المختار بن أبي عبيد ٤٥

المدققي ٢٤

مسروق ٩٧ ، ١٩٣ ، ٢٦٢

مسلم (صاحب الصحيح) ١٩٣ ، ٢٦٥

مسلم بن شهاب الزهرى: انظر - الزهرى

مسرور بن خزيمة ٩٩ ، ٢٠٧

المسيب بن رافع ٢٠٢

مصعب بن سعد ٤٤ ، ٥١ ، ٥٢

مطرف ٢٧

مطهر ٢٣٦: انظر - محمد بن مطهر

معاذ (بن جبل) ٥٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٤٠

معاذ بن العلاء ٦١

معاوية (الخليفة) ١٩٨ ، ١٩٩

المعتمر بن سليمان ٥٥ ، ٧٣

معقل بن عبيد الله ٩٠

المعلّى بن عيسى ١١٢

معمر ٥١ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٧

معمر بن أسيد ١٩٧

معمر بن الحسن ٢٣٥

المغيرة بن سلمة الخزومي ٥٣

المفضل العبدى ٢٢٦

المفضل ٢٦٤

مكي بن أبي طالب ٢٦٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤

يحيى بن أبى كثير ٤٢
 يحيى بن آدم ٣٠ ، ١٠٣
 يحيى بن إسحاق السالحونى ٤٩
 يحيى بن أيوب ٤٩
 يحيى بن حبيب بن عديّ ٦٤ ، ٧٣
 يحيى بن الربيع ٣٧ ، ٥٧
 يحيى بن زياد ٢٩٠ ، ٢٩٤
 يحيى بن سعيد (الأنصارى) ٣٧
 يحيى بن عبد الحميد ١٤٠
 يحيى بن محمد الصاعد ٢٨
 يحيى بن يحيى ٢٨
 يحيى بن يعمر ١٥٩ ، ٢٧٦
 يزيد بن أبى حبيب ٤٩
 يزيد بن النضر (المجاشعى) ٢٣٦
 يزيد الرقاشى ٤٠
 اليزيدى (قارىء أهل البصرة) ١٥١
 يعقوب (القارىء البصرى) ١٥١
 يعلى بن حكيم ٥٧
 يعلى (بن مُنَيَّة) ٨٦
 يوسف بن اسباط ٢٦١
 يوسف بن عطية الباهلى (أبو المنذر)
 ٨٣ ، ٦٤
 يوسف بن ماهك ٣٣ ، ٣٤
 يوسف بن موسى ٢٣٦ ، ٢٤٠

هشام ١٣٠ ، ١٣١
 هشام بن عروة ٢٠٣
 هشام بن حكيم بن حزام ٢٠٧ ، ٢١٠ ،
 ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢
 هشام بن حسان ٧٣
 هشام النحوى ١٥٤
 هشيم ٥٣ ، ٥٥
 هشيم بن بشير ١٩٧
 هام ٨٦
 هام بن الحارث ٢٢٩ ، ٢٣٩
 هام بن يحيى ١٩٧
 (و)
 الواقدى ٩٨
 ورش (راوى نافع المدنى) ١٤٨ ،
 ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩
 ورقة ٢٨٩
 ورمان المنافق ٩٨
 وكيع ٩٣
 وكيع بن الجراح بن مليح (الرواسى)
 ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٣
 الوليد بن المغيرة ٢٨٠
 وهب بن جرير ٥٦
 (ى)
 يحيى بن أبى الحارث - انظر الذمارى

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	الآية	الصفحة	السورة	الآية
١٥٨	٢	٩٨	١٣٤	٢	١
١٥٢		١٠٤	٢١٩ ، ١٥٩		٤
١٥٣ ، ٨٥		١٠٦	١٥٤ ، ٣٣ ، ٣١		٢ ٢
١٢٢ ، ١١٨		١١٦	١٥٥		٦
٢٢٤		١٢٤	١٥٩ ، ١٥٢		٩
٢٣٣		١٢٥	١٥٣		١٤
١١٧		١٣٢	١٥٢		٢١
١١٦ ، ١٠٤		١٣٧	٢٧٩ ، ٢٧		٢٣
٦٢ ، ٥٩		١٤٤	١٨١		٢٦
١٤٩		١٥٠	٢٩١		٣١
٢٠٣		١٥٨	٢٢٤		٣٧
١١٢		١٧٢	١٥١		٤١
١٠٥ ، ١٠٤		١٧٧	١٨٥		٤٣
١٨٦		١٨٣	١٥٩ ، ١٥٢		٥١
٢٠٧		١٨٨	١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٥٨		٦١
٢٣١		١٩١	١٢٢ ، ٦٢		٦٧
٢٣٢		١٩٥	٦٢		٧٢
٢٣٣		١٩٦	٢٧٧ ، ٢١٢		٧٤
١٧٧		٢١٠	١٥٢		٨٠
٢٣١		٢٢٢	١٥٢		٨١
٦٢		٢٣٤	١٩٤		٨٣
٦٢		٢٤٠	٢٢٠		٩٦

السورة	الآية	الصفحة	السورة	الآية	الصفحة
٣	١٠٤	١٠٢	٢	٢٤٧	١٣٩
	١٠٦	٢٢		٢٤٨	٢١
	١١٠	٢٤٥		٢٤٩	١٧٩ ، ١٢٣
	١٣٣	١٢٢ ، ١١٨ ، ١١٧		٢٥٥	٢٩
	١٤٣	٢٤٣		٢٥٦	٢٥٦
	١٤٤	١٠٠		٢٥٩	٢٣٢ ، ٢١٦ ، ١١٨
	١٤٦	٢٨٤			٢٦٦
	١٥٤	٩٨		٢٦٠	٢١٣
	١٦١	٢٠		٢٦٥	٢٢٢
	١٦٧	٢٤٤		٢٦٦	٢٤٠
	١٦٨	٩٨		٢٦٩	٢٦٢
	١٧٣	٢٠٠		٢٧٨	١٦٨
	١٨٤	١٢٣ ، ١١٨		٢٨٠	٢١٦
	١٩٣	٢٥٩		٢٨١	٤١
	١٩٧	٢٤١	٣	١	٢٩٤
٤	١٥	٨٦	٧		١٨٢ ، ١٧٦
	٢٠	٢٤٢		٢٦	١٣٤
	٣٧	٢١٦		٥٠	١٥١
	٤١	٢٨		٥٧	١٥٥
	٥٦	٢٤١		٥٩	٢٢٠ ، ٢١٩
	٥٧	٢٣٩		٧٢	٢٢٨ ، ١٧٨
	٥٩	١٧٣		٩٢	٢٤٤
	٦١	٢٤٠		٩٣	٢٠٣
	٦٦	١٢٣ ، ١١٨		٩٧	١٩٤

الصفحة	الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة
١٣٢ ، ١٢١	٦٣		٢٣٩	٧٦	٤
٢١٣	٧٥		٨٥	٨٢	
١٦٣	٨٠		١٨٨ ، ١٨٣	٨٥	
٢٤٤	٩٥		٢٣١	٩٤	
١٧٦	١٠١		٢٣٨	١٤٢	
١٢٤ ، ١١٨	١٣٧		١١٢ ، ١٠٦ ، ١٠٤	١٦٢	
١٩٥	١٤١		١١٥		
٢٠٧	١٥١		٢١٩	١٧٢	
٢٠١	١٦٤		٢٣٨ ، ٤١	١٧٦	
٢٣٧	١٦٥		١٥١	٣	٥
٢٤١ ، ٢٣٧	٢	٧	٢٣٠	٦	
١٢٦ ، ١١٩	٣		٨٢	٤٥	
١٢٢ ، ١١٩	٤٣		١٢٣	٥٢	
٧٦	٤٤		١٢٣ ، ١١٨ ، ١١٧	٥٣	
٢٤٢	٥٠		١٢٤ ، ١١٧ ، ١٠٠	٥٤	
١٤٩	٦٩		١٥٣	٦٧	
١٢٧ ، ١١٩	٧٥		١١٢ ، ١٠٧ ، ١٠٤	٦٩	
٢٧١	٨٩		١١٥	٧١	
٢٩٢	١٢٧		٢٤٤ ، ٢٣٧	٨٠	
١٢٦ ، ١١٩	١٤١		٦٢ ، ٦٠	٩٠	
١٦٥ ، ١٥٢	١٤٢		٢٤٥ ، ٢٣٨	١٠٧	
٢٤١	١٤٧		٢٤٠	١٢	٦
١٥٣	١٦١		١٢٤ ، ١١٨	٣٢	
٢٢٥	١٦٥		١٢٦ ، ١١٩	٥٢	
			٢٤٣	٥٣	

السورة	الآية	الصفحة	السورة	الآية	الصفحة
٧	١٦٧	٢٣٩	١٠	٥٨	٢٥٩
	١٧٠	٢٤٠ ، ٢٣٣		٦٠	٢٤٠
	١٧٢	٢٨٠	١١	١	١٧٦
	١٧٥	١٧٥		١٣	٢٧
	١٧٨	١٤٩		١٧	٢٢٥
٨	٣٢	٢٤٤		٤٠	٢٤٢
	٣٦	٢٤٠		٤٤	٢٢٧ ، ٢١٢
	٤٢	١٧٧		٦٨	١٦٦
	٧٥	٢٤٥		٧٥	٢١٢
٩	٢٩	٦٢		٧٨	٢٦٥ ، ٢٤٢ ، ٢١٦
	٤٧	١٤٢ ، ١٤١		١٠٥	١٥١ ، ١٤٩
	٦٧	٩٩	١٢	٣	٢٥٨
	٦٨	٢٣٦		١٢	١٥٣
	٨٠	٢٠٩		٣١	٢٣٣ ، ٢٢٧ ، ٢١٢
	٩٠	٢٤٣ ، ٢٣٨ ، ٢٣٦		٣٥	٢٢٠
	١٠٧	١٢٧ ، ١١٩ ، ١١٧		٤٠	٢٩١
	١١٠	١٢٧		٤٥	٢٣٢ ، ٢١٦
	١١٤	٢١٢		٤٦	٢٤٤ ، ٢٣٧
	١٢٢	٢٤٤		٩٠	٢٤٥ ، ٢٣٨ ، ١٥٣
	١٢٨	٣٥ ، ٢١٠ ، ١٨ ، ١٠		١١٠	١٦٧
	١٢٩	٢٣٨	١٣	٣١	٢٢٥
١٠	٢	١٧٨		٣٥	٢٤١
	٢٢	١٣١ ، ١٢٧ ، ١١٩		٣٩	١٧٨
	٣٣	١٢٧ ، ١١٩	١٤	٤	٢٠٢ ، ٢٠١

الصفحة	الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة
١٤٩	١٧	١٨	٢٣٩	٢٢	١٤
٢٤٦ ، ٢٣٧	١٩		٢٤٠	٢٥	
١١٩	٢٨		١٩٩	٤٨	
١٢٨	٣٣		٢٢٦	٢	١٥
١٢٨ ، ١١٩ ، ١١٧	٣٦		٢٧٢ ، ١٠١ ، ٨٨ ، ٣٩	٩	
٢١٣	٦١		٢٤٠	٤٩	
١٥٢	٦٤		٢٨٨	٨٧	
٢٤٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦	٦٧		٢٤٣	١١	١٦
٢٤٦ ، ٢٤٤			١٧٨	٢٦	
١٦٩	٧٠		٢٤٤	٣٦	
٢٤٠	٧٤		١٩٥ ، ١٨٦	٤٤	
١٩٨	٨٦		٢٧١	٤٧	
٢٤٢	٩٤		١٨٦ ، ٨٥	٨٩	
٢١٣	١٠٧		٢٨٥	٩٨	
٢٤٥ ، ٢٣٩ ، ٦٦	١١٠		١٥٢	١١	١٧
١١٦	٢٥	١٩	٢٦٥ ، ٢٣٣ ، ٣٣	٢٣	
١٦٣	٧٤		٢٣١	٣٢	
٢٠١	٩٧		٢١٣	٣٥	
٢١٢	١	٢٠	٢٨٧	٤٦	
٢١٢	١٢		٣١	٧٩	
٢٢٤ ، ٢١٧ ، ١٠٢	١٥		١٢٧ ، ١١٩	٩٣	
١١٢ ، ١٠٩ ، ١٠٤	٦٣		١٤٩	٩٧	
٢٢٧ ، ١٦٤			٤٣	١٠٦	
١٤٩ ، ١٣٧	٩٤		٢٨٨	١١٠	

الصفحة	الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة
١٦٦	٣٨	٢٥	٢٢٨، ١١٤، ١٠٤	٣	٢١
٢٩٤، ٢٤٥، ٢٣٨	٦٠		١٣٢، ١٢١	٤	
٢٣٢	٦٤	٢٦	١٦٨	٨٨	
١٥١	٧٩		٢٠١	٩٨	
٢١٣	١٨٢		٢٠١	١٠١	
٢١٤	١٩٥		٢٦٦	١١	٢٢
١٢٩، ١١٩، ١١٧	٢١٧		١٦٠	٢٣	
٢٤٢	٢٢٧		٢٤٣	٣٠	
٢٤٢	١٣	٢٧	٢٤٤	٣٣	
١٤٢، ١٤١	٢١		٢٤١	٦٧	
١٥٧	٢٥		٢١٣	١١	٢٣
١٦٣، ١٦٢	٣٦		٢٣٩	٤٩	
١٢٩، ١٢٠	٦٧		٢٤٠	٥٥	
٢٨٠	١١	٢٨	١٢٨، ١١٩	٨٥	
٢٢٠	١٥		١٣٢، ١٢١	١١٢	
٢٤٠	٢١		١٣٢، ١٢١	١١٤	
١٣٨	٤٨		٢٤٠	١١٨	
٢٣٦	٧١		٢٣٢، ٢١٦	١٥	٢٤
٢٦٢	٨٥		٢٠٦	٣٠	
٦٧	٨٨		١٥٢، ١١٩	٣١	
١٦٦	٣٨	٢٩	٢١٢	٣٥	
، ٢٣٨، ٢٣٦، ٦٢	٤٦		١٣٦	٣٧	
٢٤٣			٢٤٥، ٢٣٧	٢١	٢٥
٦	٤٩		٤٣	٣٢	

الصفحة	الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة
٢٣٩	١٨		١٨٥	٥١	٢٩
٢٦٥، ٢٣٣، ٢١٦	١٩		٢٢٥	٦٠	
٢٤٠	٢٠		٢٤٤	٦٢	
٢٣٣، ٢١٦	٢٣		٢٣٩	٦٩	
٢٤٠	٤٥		١٤٩	٣٩	٣٠
٢٥٨	٣٢	٣٥	٣١	١٦	٣٢
١٦٠	٣٣		٢٠١، ١٥٢	١	٣٣
٢٢٣، ٢١٦	٢٩	٣٦	٩٨	٩	
٢١٧	٣٥		١٦٤	١٠	
٢٢٠	٦٠		٩٨	١٢	
٢٣٧	٨٣		٣٥، ٢١، ١٩	٢٣	
٢٤٢، ٢٣٧	١٤٨	٣٧	٢٧٥، ٤٤		
٢٦٦، ٢٤٢، ٢١٧	٢٣	٣٨	٢٤٥	٣١	
٢٠٢، ١٨٥	٢٩		٨٣	٣٣	
٢١٣	٥٧		٨٦، ٨٣، ٨١	٣٤	
١٥٥	٧	٣٩	٢٤١	٣٦	
٧٧	٩		٢٩٣	٤٣	
١٦٣	١٧		٨٣	٥٠	
٢١٣، ١٧٦، ٥	٢٣		٢٤٥	٦٠	
٢٥٨			٢٠٠	٦٤	
١٧٨، ١٧٦	٥٦		١٦٤	٦٦	
١٢٩، ١٢٠	٦٤		١٦٤	٦٧	
٢٣٧	٧٥		٢١٢	١٠	٣٤
٢٤٣	١٠	٤٠	٢١٦	١٧	

الصفحة	السورة	الآية	الصفحة	السورة	الآية
١٣٢، ١٢١	٤٦	١٥	١٣١، ١٢٠		٢١
٢٣٩	٤٦	٣٥	١٢٩، ١١٧	٤٠	٢٦
٣٠	٤٧	١٥	٢٤٤		٢٩
٢٠٢		٢٤	٢٤٠		٤٠
٢٤١	٤٨	٦	١٢٠		٦٧
١٠٠		١٦	٢١٤	٤١	٣
٩١		٢٦	٨٨، ٤٠، ٤٠		٤٢
٢٤٠		٢٩	٢٤٥، ٢٣٧		٤٦
٢٣٩	٤٩	٢	٢٠١، ١٦٤، ١١٦	٤٢	١١
٢٣١		٦	٢٧١		
٢٤٠		١٨	٢٤٥، ٢٣٨		١٢
٢٧١، ٢٢٣	٥٠	١٠	١٥٢		٢٤
٢٦٦، ٢١٧		١٩	١٣١، ١٢٠، ١١٧		٣٠
٣١	٥١	١٧	٢١٩، ١٣٠، ١٢٠	٤٣	١٩
٢٦٠	٥٢	٧	١٣٠، ١٢٠		٢٤
١٤٨		٣٧	٢٢٥		٣٥
١٩٥	٥٣	٣	١٣٠، ١٢٠		٣٨
٢٤٢		١٠	١٥٢، ١٢٩، ١٢٠		٤٩
١٦٦		٥١	١٦٧		٥١
١٥١	٥٤	٥	١٣٣، ١١٨، ٦٩		٦٨
٢٦١		١٧	١٣٠، ١٢٠، ١١٧		٧١
٢٤٣		١٨	٢٢٥		٧٧
٣٤	٤٦		٢٢٩	٤٤	٤٤
٢٩١	٥٥	١	٢٣٨	٤٥	٣٥

الصفحة	الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة
٥٩	١	٧٢	١٢٠ ، ١٣١	١٢	٥٥
٢٦١ ، ٢٢٥	٥	٧٣	١٥٢ ، ١٢٩ ، ١٢٠	٣١	
٢٧٧ ، ٢٧٢ ، ٢١٢	٦		٢٩١ ، ١٢٠ ، ١٣١	٧٨	
١٩٨	٤	٧٤	٢٤٣	١٣	٥٦
٢٨٩	٣٠		٢٦٦ ، ٢١٧	٢٩	
٢٨٢ ، ٤٠	١٧	٧٥	٢٤٤	٨٩	
١٠٠ ، ٨٦	١٨		١٣٣ ، ١٢٠	١٠	٥٧
١٩٥	١٩		٩٨	١٤	
١٦٦ ، ١٢١	١٥	٧٦	١٢١ ، ١٣١ ، ١١٨	٢٤	
١٣١	٢١		٢١٧		
٢٢٣	١١	٧٧	٢٤٥	٢٦	
٢١٢	١٦	٧٩	٢٧٧ ، ٢١٢	٢٨	
١٩٠ ، ١٨٣ ، ٥٤	٣١	٨٠	٢٤٥ ، ٢٢٦	٢٩	
١١٢	٢٤	٨١	١٧٨	١٢	٥٨
١٦٢	٣	٨٣	١٧٨	٢	٥٩
٢٢٨	١٤		١٩٠	٩	
١٩٨	١٧	٨٤	١٧٦	٢٣	
٢٩١	١	٨٧	٩٨	٣	٦٢
١٥٣	٦		٢٧٣ ، ٢٢٢	٩	
٢١٣	٢٥		١١٣ ، ١١٢ ، ١٠٤	١٠	٦٣
١٤٩ ، ١٤٨	٢٢	٨٨	١٥٠		
١٥١	١٥	٨٩	٢٤٠	١٨	٦٤
٩٨	٢٠		١٩٨	١٣	٦٨
١٧٧	٢٢		٢٢٥	٢٨	٦٩

الصفحة	الآية	السورة	الصفحة	الآية	السورة
٢٦٦، ٢٢٢، ٢١٦	٥	١٠١	١٣٢، ١٢١، ١١٨	١٥	٩١
١٠٣	١	١٠٣	٢٢٨	١	٩٣
٣٣	١	١٠٩	٢٢٩	١	٩٤
١٥١	٦		١٧٠	٢	٩٤
٥٣	١	١١٠	١٥٢	١٨	٩٦
١٠٥	٤	١١١	٢٠١، ٤٦، ٤٣	١	٩٧
١٧٦	١	١١٢	٢٢٨، ٩٠	١	٩٨
٢١٩	٢	١١٤	٨٢	٣	

مكتبة

١٩٧٩

١٩٨٠

١٩٨٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت ١٧٠٧٩

script, and all have folios missing, but fortunately they supplement one another, so that the text is complete. The variations in reading among them were so insignificant that no purpose would have been served by recording them. Both writers use their local Andalusian style of Arabic and it has been difficult at times to restrain our Egyptian friends from altering various expressions in the texts to conform to what is considered in Egypt to be correct Arabic.

The thanks of all readers of these texts are due to Shaikh Sayyid Nawwar who did the preliminary reading through of them with me and solved many a problem they presented, to Dr Butrus Abd al-Malik who has allowed me to draw on the well of his learning during the process of preparing the texts for publication, to the enterprise of the Brothers al-Khaniji which has made their appearance in print possible, and to Izzet al-Attar and the workmen at the Press whose patience and unfailing courtesy have lightened the toil of the Editor. Absence from my own Library and the necessity of hurrying through the printing during the last weeks of my stay in Cairo have made the editing fall short of what it ought to have been, but at least we may hope to have presented here a readable text of these two important Introductions to Qur'anic studies from the Western school of Islamic scholarship.

Qur'anic references are to the standard Egyptian text of 1342 A.H., and references to Materials are to my Materials for the History of the Text of the Qur'an Leiden, 1937.

Cairo, August 1954.

ARTHUR JEFFERY

PREFACE

The two texts here presented to our friends both in the Orient and the Occident who are interested in Qur'anic studies have in each case considerable interest for the history of the development of the orthodox Islamic doctrine of Scripture. Both were used by Nöldeke when he was working on his now famous Geschichte des Qorans, and again by his pupil Schwally while preparing the second edition of that work. Schwally there says of them (II, 184, 185):

“das Kitab al-Mabani viel Brauchbares enthælt so dass eine Druckausgabe höchst erwünscht waere. Ebenso wertvoll ist die Einleitung zum Kitab al-Gami' al-muharrar ... des Ibn 'Atiyya”.

and when the late Professor Bergstraesser was in Cairo in 1929-30 he spoke at length with me about the possibility of printing here both these Muqaddimas. Difficulties with regard to procuring photostats of the MSS in Berlin presented themselves then, and after Bergstraesser's untimely death in 1933 a sad world situation increased the difficulties, so that it was only in the course of the current academic year (1953-54) that it proved possible, through the kind offices of Dr. Joerg Kraemer and the Director of the Library at Tuebingen University to procure the necessary photostats and make at least an attempt to fulfil Bergstraesser's desire.

Of the Kitab al-Mabani we possess only the unique MS (Wetzstein 103) of the Berlin State Library. The author is unknown, for the MS lacks the essential first folio, but he tells us that he commenced his work in the year 425 A. H. (1033 A. D.) It is written in a rather crabbed Maghribi hand, but on the whole is fairly legible, save in spots where water has damaged the writing. For the Muqaddima of Ibn 'Atiyya (d. c. 542 A. D. 1147 A.D.) to his al-Jami al-muharrar we were able to use besides the Berlin Codex Sprenger 408, two MSS in the Egyptian Library in Cairo, one in the Taimur collection, (Tafsir, 168), and one belonging to the recent acquisitions (24031 B). All three are in rather difficult Maghribi

TO THE MEMORY OF
GOTTHELF BERGSTRÆSSER
DEVOTED SCHOLAR
AND
FAITHFUL FRIEND

TWO MUQADDIMAS TO THE QUR'ANIC SCIENCES

The Muqaddima to the Kitab al-Mabani and the Muqaddima
of Ibn 'Atiyya to his Tafsir, edited from the
MSS in Berlin and in Cairo

by

ARTHUR JEFFERY

Professor of Semitic Languages in Columbia University
Annual Director of the American Research Centre
in Egypt (1953 - 1954)

CAIRO

Printed for the Brothers al-Khaniji, Booksellers
and Publishers, Sharia Abd al - Aziz

1954

TWO MUQADDIMAS TO THE QUR'ANIC SCIENCES

The Muqaddima to the Kitab al-Mabani and the Muqaddima
of Ibn 'Atiyya to his Tafsir, edited from the
MSS in Berlin and in Cairo

by

ARTHUR JEFFERY

Professor of Semitic Languages in Columbia University
Annual Director of the American Research Centre
in Egypt (1953 - 1954)

CAIRO

Printed for the Brothers al-Khaniji, Booksellers
and Publishers, Sharia Abd al - Aziz

1954

13.
FEB 13 1956



COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU13152050